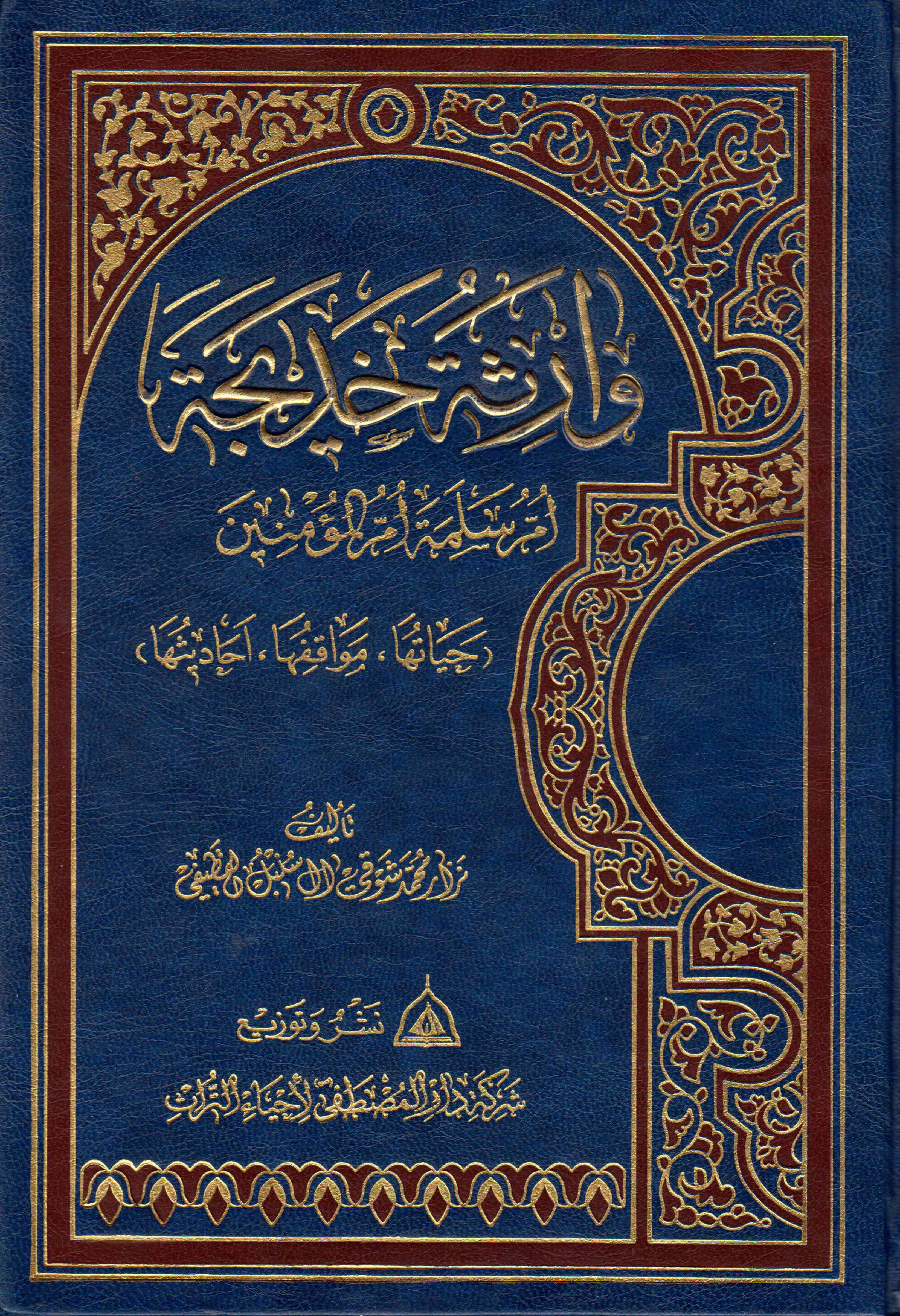


وارثة خديجة
أم سلمة أم المؤمنين
(حياتها، مواقفها، أحاديثها)
تأليف
نزار محمد شوقي آل سنبل القطيفي
نشر وتوزيع
شركة دار المصطفى لإحياء التراث



وارثة خديجة

أم سلمة أم المؤمنين



٣١

وارثة خديجة

أم سلمة أم المؤمنين

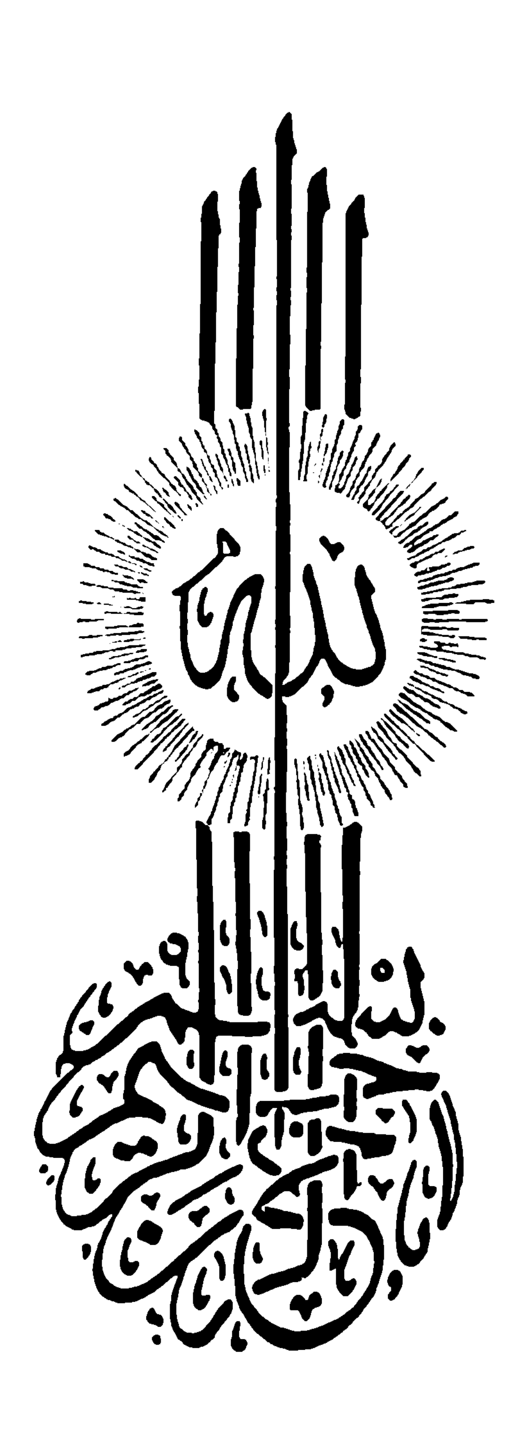
(حياتها، مواقفها، أحاديثها)

تأليف

نزار محمد شوقي آل سنبل القطيفي

نشر

شركة دار المصطفى لإحياء التراث


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

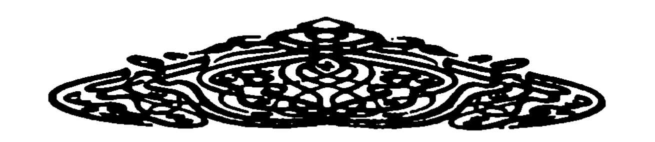


لبنان ـ بيروت ـ ص.ب: ٢٤/١٩٧

يطلب من:

لبنان - بيروت - جادة السيد هادي - مفرق الرويس - بناية اللؤلؤة - ط١-
ص.ب: ٢٤/١٩٧ - برج البراجنة - بعبدا ٢٠٢٠ ١٠١٧ - هاتف: ٠٠٩٦١١٥٤٠٦٧٢
سوريا - دمشق - ص.ب: ٧٣٣ - السيدة زينب - تلفاكس: ٠٠٩٦٣١١ ٦٤٧٠١٢٤
إيران - قم - خ سمية - ١٦ مترى عباس آباد بلاك ٢٤ هاتف: ٧٧٣٨٨٦٥ - فاكس: ٧٧٣٨٨٥٥
البريد الإلكتروني: INFO@DAR-ALMUSTAFA.NET
الموقع: WWW.DAR.ALMUSTAFA.NET

اسم الكتاب: .... وارثة خديجة أم سلمة أم المؤمنين
نشر وتوزيع: .... شركة دار المصطفى عليه‌السلام لإحياء التراث
الطبعة: .... الأولى ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته المخلصين ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

فقد تمر على الإنسان لحظات تكون الكلمة الهادفة والمقصودة من دواعي توفيقه غير المترقب، ومن شواهد ذلك كلمة الإمام موسى بن جعفر الكاظمعليه السلام لجارية بشر الحافي التي غيرت مسار تأريخه، فإن الإمامعليه السلام عندما مرّ على دار بشر وصادف خروج جاريته وكان صوت اللهو والطرب يخرج من الدار قال لها: لمن هذه الدار؟

قالت: لسيدي.

قال: سيدك عبد أو حر؟

فتفاجأت من هذه الكلمة، فقالت: أقول لك لسيدي فتقول عبد هو أو حر! هو حر!

قال: صدقت، لو كان عبداً لأطاع مولاه، ومشى الإمامعليه السلام لسبيله.

فأخبرت سيدها بما سمعت، فأثرت فيه هذه الكلمة فكانت فيها نجاته فخرج من حياة اللهو والطرب واتجه لمولاه الحقيقي فكان أحد الزهاد المشهورين.

وقصة هذا الكتاب الماثل بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ مصداق من مصاديق التوفيق غير المترقب الذي كان منشأه كلمة هادفة، فقد جمعتنا الأيام في مجلس أحد الأخوان بالعلامة المحقق حجة الإسلام السيد علي الميلاني حفيد المرجع الكبير السيد هادي الميلاني، وصاحب الكتب الكثيرة في العقائد والتي منها

الكتاب العظيم (... الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار)، فدار بيننا الحديث، والحديث ذو شجون، ومن جملة ما ذكره السيد الجليل في ذلك المجلس أن أم المؤمنين أم سلمة (رض) كانت كثيراً ما تصحح أحاديث روتها بعض نساء النبيﷺ، فتروي الأولى شيئاً وتروي أم سلمة ما يصححه، وحبّذا لو كتب حول هذا المضمون، فأخذت هذه الكلمة من نفسي، وحدثتها بأن أقوم بهذا العمل، فمرّت على ذلك المجلس شهور بل قد طالت إلى سنين ـ سنتين أو ثلاث ـ والفكرة لا زالت ترن في نفسي، إلى أن وفق الله سبحانه وتعالى فعزمت على القيام بهذا العمل، فتطورت الفكرة إلى أن أكتب حول أحاديث أم سلمة (رض) في أهل البيتعليهم السلام، فشرعت في ذلك في شهر رمضان المبارك من سنة ١٤١٨ هـ باعتباره عطلة رسمية للحوزة العلمية، وقطعت في ذلك الشهر الكريم مشواراً معتداً به، ثم هلَّ العيد وجاء شهر شوال فتركته متجهاً للدرس الذي من أجله هاجرت من وطني حتى حل الصيف وبدأت العطلة الصيفية، فكنت أستغل أيام العطلة لتكميل البحث الذي أنا بصدده، وعند نهاية الشوط تطورت الفكرة لأن أكتب حول حياة هذه السيدة الجليلة وسيرتها، ويكون البحث في الأحاديث أحد فصول الكتاب، إذ لم أجد كتاباً خص هذه المرأة العظيمة بدراسة مستقلة عن حياتها مع ما هي عليه من الجلالة والعلم والمعرفة والإيمان، وما لها من الحقوق على المسلمين، وكونها إحدى أمهات المؤمنين، فاستقر الرأي على ذلك فواصلت البحث في طريق غير معبدة، وسير غير متواصل، إذ لم يكن هناك كتاب أسير على ضوئه، والدراسة تأخذ من وقتي الشيء الكثير، فاستقريت ـ تقريباً ـ كل الروايات التي حدثت بها وتحدثت عنها في بطون الكتب، من حديث وتاريخ وتراجم وفقه وو...، لعلي أجد ضالتي في شيء منها، فبارك الله لي في هذا السعي

فكان هذا الكتاب المائل بين يديك.

ثم وأنا في اللمسات الأخيرة للكتاب أطلعني بعض الأخوة على كتاب من الحجم الرقعي يتحدث عن حياة السيدة أم سلمة فاطلعت عليه سريعاً إلا أنه لا يعني بالنسبة لما كتبته وتوصلت إليه شيئاً فلم أدرجه في قائمة المصادر التي اعتمدت عليها.

وفي الأخير وعندما بلغ الكتاب مرحلة الطبع أطلعني أخ آخر على كتاب من جزئين عن حياة أم سلمة للكاتبة آمنة الحسني من المغرب العربي، طبع عام ١٤١٩ هـ، فاضطررت إلى أن أمر عليه ولو سريعاً فوجدته وافياً بالموضوع وإن اختلفت معها في بعض النتائج، فرجعت إليها في موردين رأيت الإغفال عنهما مضراً بالبحث، وأثبت ذلك في الهامش من موضعهما.

ومما تجدر الإشارة إليه عنوان الكتاب (وارثة خديجة) فلعل القارئ يتعجب من ذلك، ولكنه حينما يقرأ الكتاب يدرك أن السيدة أم سلمة (رض) هي أكثر سيدات بيت النبي ﷺ إخلاصاً للرسول ﷺ واحتراماً له وطاعة، فلذا اخترت هذا الاسم، فإني أراها الوريثة من بين زوجات الرسول ﷺ للسيدة خديجة عليها السلام مع الفارق بين المقامين.

وفي الأخير أشكر كل من وقف معي في هذا الكتاب، أو شجعني على مواصلة البحث فيه وهم كثيرون، وأخص بالذكر سماحة السيد الميلاني حفظه الله الذي غرس بذرة الكتاب في نفسي، والذي قرأه بكامله وأتحفني بملاحظاته القيمة، والعلامة الفاضل الشيخ محسن المعلم القطيفي حفظه الله، الذي قرأ الكتاب أيضاً وأفادني بملاحظاته القيمة، والقائمين على مركز المصطفى، فقد بذلوا لي كل ما طلبته منهم حول الموضوع فجزاهم الله خير جزاء من أحسن عملا، وأشكر أيضاً

أصحاب دار المصطفى لنشر التراث، فقد فتحوا لي مكتبة الدار لأستفيد منها ما أريد.

وفي الختام أرجو من الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا العمل القليل، وأن يجعل ثوابه نوراً يستضيء به والدي في قبره، وأن يكون في ميزان أعماله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه هو الكريم الرحيم.

اللهم ثبتنا على القول الثابت واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاك، واغفر لنا ما يعلمون وما لا يعلمون إنك على كل شيء قدير، وصل وسلم على خير خلقك محمد بن عبد الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نزار آل سنبل القطيفي

ذو القعدة ١٤٢١ هـ



الباب الأول

يحتوي على خمسة فصول:

الفصل الاول: هويتها الشخصية

الفصل الثاني: أم سلمة في ظل الإسلام

الفصل الثالث: مميزات شخصيتها

الفصل الرابع: مكانتها الاجتماعية

الفصل الخامس: مواقفها العقائدية



الفصل الأول

الهوية الشخصية

نسبها

■ ١ـ اسمها:

هند بنت أبي أمية المخزومية، وقيل: إن اسمها (رملة)، وهو خلاف المشهور حتى قال في الإصابة: (وقال أبو عمرو: يقال: اسمها رملة وليس بشيء)[١].

عرفت في الوسط الإسلامي قديماً وحديثاً بكنيتها (أم سلمة).

■ ٢ـ أبوها:

حذيفة ويقال: (سهيل) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى بأبي أمية وأبي مناف، يعرف عند العرب بزاد الراكب أو (الركب) لكرمه، قال في الإصابة: (ويلقب بزاد الراكب لأنه كان أحد الأجواد فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد بل يكفي رفقته من الزاد)[٢].

وقال الطبري في تأريخه: (وكان اسم أبي أمية بن المغيرة سهيل ـ وهو زاد الراكب ـ وكان إذا سافر أنفق على أصحابه وأهل رفقته فسمي بذلك زاد الراكب)[٣].

وجاء في أسد الغابة: (.. ويعرف بزاد الركب، وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم)[٤].

ويظهر من كلام لأم سلمة أن أباها كان يتمتع بشهرة واسعة وسمعة عالية عند

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٤ : ٤٥٨.
(٢) الإصابة ٤ : ٤٥٨.
(٣) تأريخ الطبري ١١ : ٥٣٩.
(٤) أسد الغابة ٦ : ٢٩٣.

العرب وكان محترماً في أوساطهم، ولعله كان من أجل ما اشتهر به من الجود والكرم، لحب العرب هذه الصفة واحترام صاحبها، قالت أم سلمة (رض): (إنها لما قدمت المدينة أخبرتهم أنها ابنة أبي أمية بن المغيرة فكذبوها، ويقولون: ما أكذب الغرائب! حتى أنشأ ناس منهم إلى الحج فقالوا: ما تكتبين إلى أهلك؟ فكتبت معهم فرجعوا إلى المدينة يصدقونها فازدادت عليهم كرامة ..)[1].

وهو خال أبي طالب عليه السلام وقد رثاه بقوله:

كأن على رضراض قص وجندل	من اليبس أو تحت الفراش المجامر[2]
على خير حاف من معد وناعل	إذا الخير يرجى أو إذا الشر حاسر
ألا إن زاد الركب غير مدافع	بسرو سحيم غيبته المقابر[3]
تنادوا بأن لا سيد اليوم فيهم	وقد فجع الحيان كعب و عامر
وكان إذا يأتي من الشام قافلاً	تقدمه قبل الدنو البشائر
فيصبح آل الله بيضاً ثيابهم	وقدماً حباهم و العيون كواسر
أخو جفنة لا تبرح الدهر عندنا	مجعجعة تدمى وشاء و باقر[4]
ضروب بنصل السيف سوق سمانها	إذا أرسلوا يوما فإنك عاقر
فيا لك من راع رميت بآلة	شراعية تخضر منها الأظافر[5]

■ ٣ـ أمها:

عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية من بني فراس[6]، وزاد في الطبقات

---

(١) مسند أحمد الحديث رقم ٢٥٤٠٣.

(٢) الرضراض: الحصى الصغار، القص: لغة في الجص، عن كتاب العين. والجندل: صخرة مثل رأس الإنسان، عن لسان العرب.

(٣) السرو: سخاء في مروءة، وسرو الأرض ما انحدر من حزونة الجبل، عن كتاب العين.

(٤) الجفنة: ما يوضع فيه الطعام، ويظهر أن المراد من المجعجعة الإبل، والشاء والباقر الغنم والبقر.

(٥) شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٩١.

(٦) الإصابة ٤ : ٤٥٨.

بعد مالك: ابن جذيمة بن علقمة جذل الطعان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة[١].

وذكر صاحب إعلام الورى قولاً آخر حيث قال في تعداد زوجات النبي ﷺ: (السابعة: أم سلمة وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب، وقيل: هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة..)[٢].

وقال في ص ١٤٥ في ذكر عمات النبي ﷺ: (وكانت عاتكة عند أبي أمية بن المغيرة المخزومي ..)، فيحتمل للجمع بين القولين أن عاتكة بنت عبد المطلب عليها السلام زوجة أبيها لا أمها، ويؤيده ما ذكره في أسد الغابة في ترجمة عاتكة بنت عبد المطلب: (تزوجها أبو أمية بن المغيرة المخزومي فولدت له زهيراً وعبدالله ابني أبي أمية، وهما أخوا أم سلمة زوج النبي ﷺ لأبيها)[٣].

■ **٤ـ قبيلتها:**

ترجع أم سلمة في نسبها إلى بني مخزوم، وبنو مخزوم من قبائل قريش الكبيرة، لها مكانتها ووجاهتها في قريش وعند العرب، وكان بينها وبين بني هاشم مصاهرة، وتسمى ريحانة قريش، وعلل ذلك بما لنسائها من الحظوة عند الرجال، ولعل ذلك لما عرف عنها من الجمال، وقد جاء عن الإمام علي عليه السلام قوله: **«أما بنو مخزوم فريحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم»**[٤].

وكان يضرب ببني مخزوم المثل في الكبر والتيه[٥]، وقد اشتهر منها رجال كان لهم الدور البارز في الجاهلية والإسلام وتمتعوا بشهرة واسعة النطاق، فكانت لبعضهم الكلمة الأولى والأخيرة في قريش، وقد أكثر شعراء العرب في مدح بعض

---

(١) الطبقات لابن سعد ٨ : ٦٩.
(٢) إعلام الورى ص ١٤١.
(٣) ١٣ /١ /٣١.
(٤) نهج البلاغة ٤ : ٢٨.
(٥) شرح نهج البلاغة ١٩ : ٣٥٥.

شخصياتها، ونذكر على سبيل المثال ما قاله شاعر من بني هوازن أحد بني أنف الناقة حين سقى إبله عبد الله بن أبي أمية المخزومي بعد أن منعه الزبرقان بن بدر:

أتدري من منعت سيال حوض ... سليل خضارم منعوا البطاحا[١]

أزاد الركب تمنع أم هشاما ... وذا الرمحين أمنعهم سلاحا

هم منعوا الأباطح دون فهر ... ومن بالخيف و البلد الكفاحا

بضرب دون بيضهم طِلَخْفٍ ... إذا الملهوف لاذ بهم و صاحا[٢]

وما تدري بأيهم تلاقي ... صدور المشرفية والرماحا[٣]

وقد اجتمع في قبيلة مخزوم النقيضان من ناحية دينية فكان منهم طغاة المشركين ومن حارب الله ورسوله علناً بكل ما أوتي من قوة وقدرة كأبي جهل لعنه الله، ومنهم الذي دخل في الإسلام يوم كان وليداً كأبي سلمةﷺ، وسوف نلم ببعض رجالهم لماماً بدون تفصيل:

١ـ هشام بن المغيرة: شخصية جاهلية بارزة عرفت في الأوساط العربية بالكرم والشجاعة والوجاهة، وقد مدحه الشعراء كثيراً وأشادوا بذكره، وهو خال أبي طالبعليه السلام وقد افتخر به في شعره على أبي سفيان حيث قال:

وخالي هشام بن المغيرة ثاقب ... إذا همّ يوماً كالحسام المهنّدِ[٤]

وإن رجلاً يفتخر به أبو طالبعليه السلام وهو سيد البطحاء لعظيم الشأن في قومه، وقد روي عن الرسولﷺ قوله: **«لو دخل أحد من مشركي قريش الجنة لدخلها هشام بن المغيرة، كان أبذلهم للمعروف، وأحملهم للكَلّ[٥]»[٦]**.

---

(١) الخضرم بكسر الخاء والراء وسكون الضاد: الجواد الكثير العطية، والجمع خضارم وخضارمة، عن لسان العرب.

(٢) الطِلَخْف: الطعن الشديد، عن العين ولسان العرب.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٩٠.

(٤) شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٨٥.

(٥) الكَلّ: اليتيم، والذي هو عيال وثقل على صاحبه.

(٦) شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٩٣.

ومما يشير إلى بعض صفاته الحسنة ما روته أم سلمة حيث قالت: قلت يا رسول الله إن عمي هشام بن المغيرة كان يطعم الطعام ويصل الرحم ويفعل ويفعل فلو أدركك أسلم، فقال رسول الله ﷺ: كان يعطي للدنيا وحمدها وذكرها وما قال يوماً قط: اللهم اغفر لي يوم الدين[١].

٢ـ الوليد بن المغيرة: أخو هشام المتقدم ذكره، وكان من أثرياء قريش وأصحاب الوجاهة والرياسة فيهم، وهو أحد العظيمين الذين عناهما القرآن في قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾[٢]، والثاني عروة بن مسعود الثقفي من الطائف لأنهما كانا عظيمي قومهما وذوي الأموال الجسيمة فيهما، ولهذا دخلت الشبهة على مشركي قريش لظنهم بأن الأحق بالنبوة هو من كان ثرياً، وفيه نزل أيضاً قوله تعالى: ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالاً ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً** ﴾[٣].

٣ـ أبو جهل عمرو بن هشام طاغية قريش وفرعون أهل الشرك، قتل في غزوة بدر كافراً.

٤ـ خالد بن الوليد.

٥ـ الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقد اجتمع الرسول ﷺ مع المسلمين في داره الواقعة على الصفا أيام سرية الدعوة، قال عنه الشيخ الطوسي ﷺ: (صحابي شهد بدراً)[٤].

٦ـ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، وهو ابن أم هانئ أخت الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، كان فقيهاً فارساً شجاعاً ذا لسان وعارضة قوية، وفي الرواية عن الإمام الصادق ﷺ: «**وكان معه ـ أمير المؤمنين ﷺ ـ جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير**

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١: ١١٨.
(٢) الزخرف: ٣١.
(٣) المدثر: ١١ ـ ١٤.
(٤) رجال الطوسي: ص٦.

المؤمنين عليه السلام خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما هذه الشدة في الحرب من قبل خالك، فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك[١]، وجعدة هذا هو القائل:

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ... ومن هاشم أمي لخير قبيل

فمن ذا الذي ينأى علي بخاله ... كخالي علي ذي الندى وعقيل[٢]

ويروى أنه صلى بالناس الغداة يوم ضرب أمير المؤمنين عليه السلام، قال الخوارزمي: (وتأخر علي فدفع في ظهر جعدة بن هبيرة المخزومي فصلى بالناس الغداة)[٣]، قال عنه أصحاب الرجال: (تابعي ثقة)[٤]، وعدّه بعضهم من الصحابة، وقال آخرون كانت له رؤية ولم تكن له صحبة[٥]، وهو من رواة أحاديث أم سلمة في كتابنا هذا.

٧ـ ابنه عبد الله بن جعدة بن هبيرة، وهو الذي فتح القهندر وكثيراً من خراسان فقال فيه الشاعر:

لولا ابن جعدة لم تفتح قهندركم ... ولا خراسان حتى ينفخ الصور[٦]

٨ـ خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، قاتل ابن أثال الطبيب الذي أغراه معاوية بسم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان خالد بن المهاجر مخالفاً لبني أمية ومنقطعاً إلى بني هاشم[٧].

■ مولدها ووفاتها

لم يشر المؤرخون قديماً وحديثاً إلى سنة ولادتها غير أنه بالإمكان أن نعرف

---

(١) الاختصاص: ص٧٠. (٢) أسد الغابة ١: ٢٨٥.
(٣) المناقب: ص ٣٨٣. (٤) تهذيب التهذيب ٢: ٧٠.
(٥) تهذيب التهذيب ٢: ٧٠، جامع الرواة ١: ١٤٨. (٦) شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٠٨.
(٧) شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٠٧.

ذلك ولو بوجه التقريب بمعرفة أمرين: سنة وفاتها، وعمرها، ومن سوء الحظ أن المؤرخين قد اختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً غير أنا لا نعدم الوجه القريب، ونقول في تحقيق ذلك:

■ وفاتها

اختلف المؤرخون وأصحاب الرجال في ذلك على أقوال، بعد أن اتفقوا على أنها آخر زوجات النبي ﷺ وفاة:

الأول: أنها توفيت سنة ٥٧ هـ، ذكره ابن الأثير كقول[١].

الثاني: توفيت سنة ٥٨ هـ، ذكره ابن منظور[٢].

الثالث: توفيت سنة ٥٩ هـ، نقله عن الواقدي كل من مختصر تاريخ دمشق، والإصابة، وتهذيب الأسماء، وعمدة القارئ، والطبري، وغيرهم[٣].

الرابع: توفيت سنة ٦١ هـ، يوم عاشوراء، انفرد به الدميري[٤].

الخامس: توفيت سنة ٦١ هـ، بعد أن سمعت باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، جاء في الإصابة: (وقال ابن حبان: ماتت في آخر سنة إحدى وستين بعد ما جاءها نعي الحسين بن علي عليه السلام..)، وذهب إليه غيره أيضاً[٥].

السادس: توفيت سنة ٦٢ هـ في خلافة يزيد بن معاوية (لع)[٦].

وترد الأقوال الأربعة الأولى بما ورد من الروايات الكثيرة التي صرحت

---

(١) الكامل في التاريخ ٢: ٥١٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق المجلد ٤: جزء ٧: ١٥٤، عن الواقدي.

(٣) المختصر المجلد ١: الجزء ٢، ص٢٨٠، التهذيب ١٢: ٤٨٣، الإصابة ٤: ٤٥٩، عمدة القارئ للعيني المجلد ١: الجزء ٢، ص١٧٢، الطبري ١١: ٦٠٣، واختاره ابن قتيبة في المعارف ص١٣٦.

(٤) حياة الحيوان الكبرى ١: ١٦٨.

(٥) مختصر تاريخ دمشق المجلد ١ الجزء ٢ ص٢٨٠، تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٥، الإصابة ٤ : ٤٦٠ وغيرهم.

(٦) راجع الإصابة ٤: ٤٦٠، مجمع الزوائد ٩ : ٢٤٦، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٨٣.

بوجودها يوم قتل الحسين عليه السلام، وأنها أول صارخة في المدينة عليه عليه السلام، وقد أعلمت بذلك من سمعها من أهل المدينة حيث أعطاها الرسول صلى الله عليه وآله التربة الحمراء التي جاء بها جبرئيل عليه السلام وقال لها: «**إن فاضت دماً فاعلمي بأن الحسين عليه السلام قد قتل**»، وقد تعرضنا لهذه الروايات، والروايات التي تنص على أنها سمعت نواح الجن على الحسين عليه السلام في الفصل المختص بحديثها فراجع، مضافاً إلى الروايات التي دلّت على أن من المسلمين من دخل عليها يعزيها بقتل الحسين عليه السلام، وأنها نددت وأرسلت إلى أهل العراق في ذلك.

فهذه الروايات تدل على أنها كانت موجودة إلى ما بعد العاشر من المحرم من سنة ٦١ هـ، فيدور الأمر بين القول الخامس والسادس، والأقرب منهما السادس حيث ورد في صحيح مسلم أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعبد الله بن صفوان دخلا على أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية فسألا عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك حين جهز يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بعسكر الشام لغزو المدينة المنورة وكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين[١].

وقد استشهد بهذا الخبر صاحب الإصابة[٢] لرد قول الواقدي من أن وفاتها في سنة ٥٩ هـ، والذي يظهر لنا بعد التتبع والتدقيق: أنها كانت موجودة في سنة ٦٣ هـ فيحتمل وفاتها فيها، ووجه الاستظهار ما جاء في كتاب الإمامة والسياسة في أحداث غزو المدينة المنورة في عصر يزيد بن معاوية (لع) بواسطة قائد جيشه مسلم بن عقبة (لعن)، فإنه قال: (.. فجاء عمرو بن عثمان بن عفان بيزيد بن عبد الله بن زمعة، وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وكان عمرو قال لأم سلمة: أرسلي معي ابن ابنتك، فجاء به إلى مسلم..)[٣]، فإن هذه الجملة تنص على وجودها أيام

---

(١) صحيح مسلم ٨: ١٦٦. (٢) الإصابة ٤ : ٤٦٠.
(٣) الإمامة والسياسة ٢ : ١٥.

وقعة الحرة التي وقعت سنة ٦٣ هـ، فيحتمل أن وفاتها فيها على أقل تقدير، ولم أرَ من ذهب إلى ذلك أو أشار إليه وهو أقرب الاحتمالات.

■ عمرها

ما وجدت من تعرض لبيان عمرها الشريف إلا مصدرين:

المصدر الأول: الطبقات الكبرى لابن سعد وهذا نص روايته: (أخبرنا محمد بن عمر، عن الزبير بن موسى، عن مصعب بن عبد الله، عن عمر بن أبي سلمة قال: نزلت في قبر أم سلمة أنا وأخي سلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية وعبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي، فكان لها يوم ماتت أربع وثمانون سنة)[1].

المصدر الثاني: النجوم الزاهرة للاتابكي قال: وطال عمرها وعاشت ٩٠ سنة وأكثر[2]، وقد ذكر هذا الرأي أيضاً صاحب كتاب نساء أهل البيت عليهم السلام[3].

والآن وعلى ضوء ذلك يمكن لنا أن نحدد وقت ولادتها التقريبي فنقول: أما على المصدر الأول فتكون ولادتها قبل البعثة بثماني سنوات، وذلك لأن عمرها يتوزع على ثلاث وستين سنة بعد الهجرة، وإحدى وعشرين سنة قبل الهجرة، منها ثلاث عشرة سنة بعد البعثة وثماني سنوات قبل البعثة.

وأما على المصدر الثاني فتكون ولادتها قبل البعثة بأربع عشرة سنة، وذلك لأن عمرها المبارك يتوزع كالتالي: ثلاث وستين سنة بعد الهجرة، وسبع وعشرين سنة قبل الهجرة، منها ثلاث عشرة سنة بعد البعثة، والباقي وهو أربع عشرة سنة قبل البعثة.

وحينما نريد أن نقرب أحد القولين بالموازين الطبيعية فسوف نقرب الرأي الثاني، وذلك لأن أم سلمة من أول الداخلات في الإسلام كما سيأتي في نقطة

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ : ٧٦، تهذيب الأسماء ٢: ٣٦٢.

(٢) النجوم الزاهرة المجلد ١ الجزء ١ ص ١٥٥. (٣) نساء أهل البيت عليهم السلام ١ : ٢٦٩.

لاحقة فهي من العشرة الأوائل أو بعدهم بواحد، وكانت حينها متزوجة بابن عمها أبي سلمة، فإذا أسلمت في السنة الأولى من البعثة فسوف تكون ـ على الرأي الأول ـ متزوجة مدخولاً بها وعمرها ثماني سنوات، وهو بعيد بل غير مقبول عادةً، وأما على الرأي الثاني فسوف يكون عمرها حين زواجها ـ على فرض أنها تزوجت سنة البعثة ـ أربع عشرة سنة وهو مقبول عادةً إن لم يكن هو المتعارف عليه في ذلك الزمان.

■ مدفنها

وحينما توفيت تولت تغسيلها أم أيمن[١] ونقلت إلى بقيع الغرقد ودفنت هناك كما نص على ذلك السمهودي في وفاء الوفاء[٢] تبعاً لعمر بن شبة النميري في تاريخ المدينة كما يظهر من السند، ونص الثاني في ذلك هو: (حدثنا محمد بن يحيى قال: سمعت من يذكر أن قبر أم سلمة بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي قريباً من موضع فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأنه كان حفر فوجد على ثماني أذرع حجراً مكسوراً مكتوباً في بعضه أم سلمة زوج النبي ﷺ فبذلك عرف أنه قبرها، وقد أمر محمد بن زيد بن علي أهله أن يدفنوه في ذلك القبر بعينه، وأن يحفر له عمق ثماني أذرع فحفر كذلك ودفن فيه)[٣].

ويوجد الآن في مقبرة البقيع محل يقال عنه قبور نساء النبي ﷺ وهو قريب من المكان المدفون فيه الأئمة الأربعة من أهل البيت عليهم السلام، الإمام الحسن والسجاد والباقر والصادق عليهم السلام، وهو المكان الذي قال عنه النميري قريباً من موضع فاطمة عليها السلام، إلا أن قبرها ـ فاطمة عليها السلام ـ مردد بين أماكن متعددة، وهذا المكان المذكور هو أحد الأمكنة التي تزار فيها السيدة فاطمة عليها السلام لاحتمال دفنها فيه، والقبر

---

(١) الطبقات لابن سعد ٨ / ٣٤.
(٢) وفاء الوفاء المجلد ٢ الجزء ٣ ص٩١٢.
(٣) تاريخ المدينة ١: ١٢٠.

الموجود الآن ويعرف بقبر فاطمة هي فاطمة بنت أسدﷺ أم أمير المؤمنينﷺ، وأما سائر نساء النبيﷺ فهل دفن هنا أو في مكان آخر أو بعضهن هنا وبعضهن في مكان آخر؟ فالذي يظهر من بعض الروايات التاريخية أن بعضهن في غير هذا المكان وتحقيقه في محل آخر.

■ **زوجها الأول**

تزوجت أم سلمة أولاً بابن عمها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وتلتقي معه في الجد الثاني أعني (عبد الله بن عمر)، وهو من أوائل من آمن برسالة السماء فقيل إنه الحادي عشر[١]، وقيل إنه أول من هاجر إلى الحبشة مع زوجته أم سلمة[٢]، وسوف نأتي على ذكر ذلك في الحديث عن إسلام أم سلمة (رض) وهجرتها إلى الحبشة، وهو أخو الرسولﷺ من الرضاعة أرضعتهما كما أرضعت حمزة بن عبد المطلبﷺ قبلهما ثويبة مولاة أبي لهب كما قيل[٣]، وهو ابن عمة الرسولﷺ برّة بنت عبد المطلبﷺ[٤].

وذكر البعض أنه أول من هاجر إلى المدينة أيضاً واختلفوا في وقت هجرته، فقال ابن الأثير: قبل بيعة الأنصار في العقبة[٥]، بينما ذهب ابن خلدون إلى أن هجرته بعد بيعة الأنصار الثانية فقال: (فلما تمت بيعة الأنصار ـ ويعني الثانية ـ... أمر رسول اللهﷺ أصحابه ممن هو بمكة بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالاً، وأول من خرج أبو سلمة ونزل في قبا)[٦].

ومن الحكايات التي تروي في حياته أول إسلامه ما نقله غير واحد من: أن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لما وثب عليه قومه ليعذبوه و يفتنوه عن الإسلام

---

(١) أسد الغابة ٣: ١٩٦. (٢) أسد الغابة ٣: ١٩٦، وغيره.
(٣) تاريخ الطبري ٣ : ١٦٤، أسد الغابة ٣: ١٩٥.
(٤) إعلام الورى ص١٤١، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٤، أسد الغابة ٣: ١٩٥، ذخائر العقبى ص١٨٢.
(٥) أسد الغابة ٣: ١٩٦. (٦) تاريخ ابن خلدون ٣: ١٤.

هرب منهم فاستجار بأبي طالب﷤، وأم أبي طالب﷤ مخزومية وهي أم عبد الله والد رسول الله ﷺ فأجاره، فمشى إليه رجال من بني مخزوم وقالوا له: يا أبا طالب هبك منعت منا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي، فارتفعت أصواتهم وأصواته..[1].

ولدت له أم سلمة (رض) سلمة، وعمر، وزينب، ودرة، قال مصعب بن عبد الله: إنها ولدتهم في الحبشة[2].

والذي يواجهنا في حياة هذا الصحابي الجليل سنة وفاته وكيفية موته حيث ذهب المؤرخون إلى أقوال، وإليك ما ذكره ابن الأثير: (قال مصعب الزبيري: توفي أبو سلمة بعد أحد سنة أربع من الهجرة، وقيل: توفي في جمادى الثانية سنة ثلاث من الهجرة، وقال أبو عمر: أنه توفي سنة اثنتين بعد وقعة بدر، وقال ابن إسحاق توفي بعد أحد)[3].

ومن الروايات التي بينت وقت الوفاة وسببها ما رواه ابن سعد بسنده إلى عمر ابن أبي سلمة قال: (خرج أبي إلى أحد فرماه أبو سلمة الجشمي في عضده بسهم فمكث شهراً يداوي جرحه ثم برئ الجرح، وبعث رسول الله ﷺ، أبي إلى (قطن)[4] في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً فغاب تسعاً وعشرين ليلة ثم رجع فدخل المدينة لثمان خلون من صفر سنة أربع، والجرح منتقض، فمات منه لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة..)[5].

ولنا تأمل في صحة هذه الأقوال جميعاً؛ لأن هناك من الروايات والأحداث التاريخية ما يدل على أن وفاته قبل التواريخ التي تقدمت، فمنها الروايات التي

---

(١) أسد الغابة ٣: ١٩٦، شرح نهج البلاغة ١٤ : ٥٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ١: ١٥١.
(٣) أسد الغابة ٣: ١٩٦.
(٤) قطن: اسم جبل لعبس، عن كتاب العين.
(٥) الطبقات ٨: ٦٩.

حكت زواج السيدة الزهراءعليها السلام الآتي ذكرها إن شاء الله في فصل لاحق، فإنها تدل على أن أم سلمة في ذلك الوقت كانت زوجة للرسولصلى الله عليه وآله، وقد زفّ الرسولصلى الله عليه وآله فاطمةعليها السلام علىٰ عليعليه السلام في دار أم سلمة، وكان لأم سلمة دور ملموس في حركة ذلك الزواج المبارك من أول الخطبة حتى الزفاف، وقالت في تلك المناسبة شعراً أيضاً، وقد عقد الإمام عليعليه السلام على السيدة فاطمة في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة في الشهر الذي وقعت فيه غزوة بدر، وبنىٰ بها في ذي الحجة من نفس السنة كما هو المشهور[١]، فكيف حضر أبو سلمة بدراً وأحداً ومات في السنة الثالثة أو الرابعة؟!

ويؤيد ذلك ما رواه ابن سعد في الطبقات: (إن رسول اللهصلى الله عليه وآله يوم خرج إلى أحد نزل عند الشيخين ـ اسم مكان ـ فأصبح هناك فجاءته أم سلمة بكتف مشوية فأكلها..)[٢].

والذي يظهر أنها كانت زوجته وإلا لكان من المناسب أن يتقدم بالكتف المشوية أبو سلمة.

فمن المحتمل أنه توفي في السنة الأولى من الهجرة، أو أوائل السنة الثانية منها ولم يشهد بدراً، ويشهد لذلك أمور:

الأول: ما رواه الحاكم بسنده إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: تزوج رسول اللهصلى الله عليه وآله قبل وقعة بدر في سنة اثنتين من التاريخ أم سلمة، واسمها هند..[٣].

ورواها الطبري أيضاً فقال: قال الحارث: وحدثني محمد بن سهيل عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: تزوج رسول اللهصلى الله عليه وآله بالمدينة قبل وقعة بدر في سنة اثنتين من التاريخ أم سلمة واسمها هند[٤].

---

(١) الصحيح من سيرة الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله ٤: ٢٥.
(٢) الطبقات ٣: ٦٣.
(٣) مستدرك الحاكم ٤: ٢٠.
(٤) تاريخ الطبري ١٠: ٩٦.

الثاني: ما رواه السمهودي عن أبي عمر: تزوجها رسول الله ﷺ سنة اثنتين بعد بدر في شوال[١]، ويؤيده ما ذكره في تهذيب التهذيب أولاً: (تزوجها سنة اثنتين من الهجرة بعد بدر وبنى بها في شوال)[٢].

فإذا كانت بدر في شهر رمضان فلابد أن أبا سلمة مات قبل ذلك التأريخ.

ولما توفي أبو سلمة حضره الرسول ﷺ ودعا لها بالمغفرة، وروي ضمرة بن حبيب أن رسول الله ﷺ، دخل على أم سلمة يعزيها بأبي سلمة فقال: اللهم عزّ حزنها واجبر مصيبتها وأبدلها به خيراً منه.

قال: فعزّى الله حزنها وجبر مصيبتها وأبدلها خيراً منه وتزوجها رسول الله ﷺ[٣].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: أن رسول الله ﷺ، دخل على أم سلمة حين توفي أبو سلمة فذكر ما أعطاه الله وما قسم له وما فضّله، فما زال يذكر ذلك ويتحامل على يده حتى أثر الحصير في يده مما يحدثها[٤].

■ أولادها

ولدت أم سلمة ولدين وابنتين وكلهم لأبي سلمة زوجها الأول كما تقدم، وقد اختلف المؤرخون في ذكر أعمارهم وأيهم الأكبر، وما سنذكره في ترجمة كل واحد منهم ما هو إلا مجرد تقريب لأحد الاحتمالات، وإلا فتحقيق ذلك خارج عن وضع الكتاب فلا يهمنا البحث عنه بأكثر مما سنذكره، وأبناؤها هم:

١ـ سلمة بن أبي سلمة: الثمرة الأولى لحبها الأول، فهو وليدها البكر، وبه كانا يكنيان، ولم يذكر المؤرخون سنة ولادته، وغاية ما ذكره بعضهم: أنه ولد في الحبشة، وقد زوجه الرسول ﷺ أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب بعد قضية صلح

---

(١) وفاء الوفاء ج٢ الجزء ٣: ٩١٢.
(٢) تهذيب التهذيب ١٢: ٤٨٣.
(٣) الطبقات ٨: ٧١.
(٤) الطبقات ٨: ٧٢ ـ ٧٣.

الحديبية الواقعة في السنة السابعة للهجرة، وكان يقولﷺ: **«هل جازيت سلمة؟»** لأنه هو الذي ولي عقد أمه عند زواجها بالنبيﷺ[١].

فمن هذا ومن معرفتنا لوقت هجرة والديه إلى الحبشة وهي في السنة الخامسة للبعثة يمكن أن يقرب تاريخ ولادته بأن لا ينقص عن السنة الخامسة للبعثة ولا تزيد على السنة السابعة لها، إذ من المستبعد أن يتزوج وعمره لم يبلغ السادسة عشرة، ولو ولد في السنة الثامنة للبعثة وما بعدها لكان عمره حين زواجه ثلاث عشرة سنة أو أقل منها وهو بعيد.

ويمكن أن نطرح احتمالاً آخر وهو أنه ولد قبل الهجرة إلى الحبشة، فإن زواج أم سلمة بأبي سلمة كان على أقل تقدير في سنة البعثة، وأسلما وبقيا في مكة حتى السنة الخامسة بعد البعثة ثم هاجرا إلى الحبشة، فليس من البعيد أنه ولد في إحدى هذه السنين الخمس ولا سيما على الرواية القائلة إنه هو الذي ولي عقد أمه على النبيﷺ، ويترجح هذا الاحتمال بعد ملاحظة ما سيجيء في الفصل الثاني، عند الكلام حول هجرة أم سلمة إلى الحبشة، فإن أحد الاحتمالات أنها لم تبق في الحبشة إلا ثلاثة أشهر في المدة القصوى، وأنها ولدت زينب في الحبشة وهو أكبر منها، وليس تحقيق ذلك بمهم.

ولم يحفظ لسلمة رواية عن الرسولﷺ، وقيل: إنه حضر حرب الجمل مع عليعليه السلام، وستأتي الرواية في ترجمة أخيه (عمر)، وبقي سلمة إلى خلافة عبد الملك بن مروان، وليس له عقب[٢].

٢ـ عمر بن أبي سلمة: على ما عليه أكثر المؤرخين وعلماء الرجال، وضبطه الشيخ الطوسي (عمرو) في موضع[٣]، وقال في موضع آخر: (محمد بن أبي سلمة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢: ٣٣٧، السيرة النبوية لابن كثير ٣: ١٧٤، التاريخ الكبير للبخاري ٤: ٨٠.
(٢) تاريخ الطبري ١٠: ٥٨، أسد الغابة ٢: ٣٣٧. (٣) رجال الشيخ الطوسي ص ٥٠.

عبد الله بن عبد الأسد.. شهد مع علي‌عليه السلام وأخوه سلمة، وأمهما أم سلمة زوج النبي‌صلى الله عليه وآله، أتت بهما إلى علي‌عليه السلام فقالت: هما عليك صدقة، فلو يصلح لي الخروج لخرجت معك، وقيل: سلمة وعمرو إبنا أبي سلمة، قال ابن عقدة: هذا أصح)[١]، وجاء في أسد الغابة عنوانان: الأول: (عمر بن أبي سلمة)[٢]، والآخر: (محمد بن أبي سلمة)[٣]، والصحيح أنهما واحد.

وهو من الصحابة الأجلاء الموالين لأمير المؤمنين‌عليه السلام، قال عنه ابن الأثير: (عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي، ربيب رسول الله‌صلى الله عليه وآله لأن أمه أم سلمة زوج النبي‌صلى الله عليه وآله.. يكنى أبا حفص ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة، وقيل: إنه كان له يوم قبض النبي‌صلى الله عليه وآله تسع سنين، وكان يوم الخندق هو وابن الزبير في أطم حسان بن ثابت الأنصاري، وشهد مع علي الجمل واستعمله على البحرين، وعلى فارس، وتوفي بالمدينة أيام عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وثمانين روى عن النبي‌صلى الله عليه وآله أحاديث روى عنه سعيد بن المسيب وأبو أمامة بن سهل ابن حنيف وعروة بن الزبير)[٤].

وقد ذكر صاحب السير ما يكون رداً على قول ابن الأثير من أنه ولد في سنة اثنتين للهجرة في الحبشة حيث قال: (ولد قبل الهجرة بسنتين أو أكثر، فإن أباه توفي في سنة ثلاث من الهجرة وخلف أربعة أولاد هذا أكبرهم وهم: عمر وسلمة وزينب ودرة. ثم كان عمر هو الذي زوج أمه بالنبي‌صلى الله عليه وآله وهو صبي.

ثم إنه في حياة النبي‌صلى الله عليه وآله تزوج وقد احتلم وكبر فسأل عن القبلة للصائم، فبطل ما نقله أبو عمر في (الاستيعاب) من أن مولده بأرض الحبشة سنة اثنتين. ثم إنه كان في سنة اثنتين أبواه - بل وسنة إحدى - بالمدينة وشهد أبوه بدرا. فأنى يكون

---

(١) رجال الشيخ ص ٢٩.
(٢) أسد الغابة ٤: ٧٩.
(٣) أسد الغابة ٤: ٣١٩.
(٤) أسد الغابة ٤: ٧٩.

مولده في الحبشة في سنة اثنتين بل ولد قبل ذلك بكثير...

وقال: وروي عن ابن الزبير قال: عمر أكبر مني بسنتين. وقيل: طلب علي من أم سلمة أن تسير معه نوبة الجمل فبعثت معه ابنها عمر. وطال عمره وصار شيخ بني مخزوم. قال محمد بن سعد: توفي في خلافة عبدالملك بن مروان. ونقل ابن الاثير: أن موته كان في سنة ثلاث وثمانين)[١].

ولا يخفى ما في كلام الذهبي من الخبط أيضاً كما يتضح مما تقدم من أن أبا سلمة لم يشهد بدراً، وأن الذي زوج أمه هو سلمة وقد جازاه الرسول صلى الله عليه وآله بتزويجه بابنة حمزة وأنه هو أكبر ولد أبي سلمة لا عمر، نعم هناك روايات تدل على أن عمر هو الذي زوج أمه.

ثم إن الإمام علياً عليه السلام لم يطلب من أم سلمة الخروج معه، بل ردّ على من أشار عليه بذلك فإنه العارف بحكمها ووضعها، وقد أرسلت هي ابنها عمر يوم الجمل ابتداء منها مع اعتذارها من عدم القدرة على الخروج معه، وقد نقلنا كلامها فيما تقدم، وسيأتي في الفصل المختص بحديثها وفي حوارها مع عائشة ما يشفي الغليل، وقول الذهبي نابع من حقده على الإمام عليه السلام لما عرف عنه من النصب والبغض والعداء للإمام علي عليه السلام ومن يشايعه!

ونكتفي الآن بما ذكره الطبري في تأريخه: وقامت أم سلمة فقالت: يا أمير المؤمنين لولا أن أعصي الله عزوجل، وأنك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابني عمر، والله لهو أعز علي من نفسي يخرج معك فيشهد مشاهدك، فخرج فلم يزل معه، واستعمله على البحرين..[٢].

ويكفي أن نذكر في فضله ما قالته أمه أم سلمة عنه، وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام له في رسالته له وهذا نص كتاب الدرجات الرفيعة فيما يرويه عن (الكلبي) من

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣: ٤٠٧ ـ ٤٠٨. (٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٠.

جملة كلام لأم سلمة (رض) في رسالة وجهتها إلى الإمام علي عليه السلام: (.. ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيوت، لم أدع الخروج إليك والنصرة لك، ولكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة، فاستوص به ـ يا أمير المؤمنين ـ خيراً).

قال ـ يعني الكلبي، والكلام الآن لصاحب كتاب الدرجات ـ: (فلما قدم عمر على أمير المؤمنين عليه السلام أكرمه، ولم يزل مقيماً معه حتى شهد مشاهده كلها، ووجهه علي أميراً إلى البحرين، وقال لابن عم له: بلغني أن عمر يقول الشعر، فابعث إلي من شعره، فبعث إليه بأبيات له أولها:

جزتك أمير المؤمنين قرابة ... رفعت بها ذكري جزاء موفّرا

ولم يزل عمر المذكور عاملاً لأمير المؤمنين عليه السلام على البحرين حتى عزله، واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين مكانه، ولما أراد عزله كتب إليه عليه السلام: أما بعد فإني وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، نزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك، فقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة، فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم، فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام، وأحببت أن تشهد معي، فإنك ممن أستظهر به على جهاد العدو وإقامة عمود الدين إن شاء الله تعالى)[1].

وذكر هذا الكتاب السيد الرضي رحمه الله في نهج البلاغة، ويظهر من هذه الكلمات أنه كان مؤمناً قوي الإيمان، وفارساً شجاعاً يستظهر به على جهاد العدو.

توفي في سنة ٨٣ هـ كما مرّ، أو سنة ٨٦ هـ كما ذكره ابن الأثير في كتابه التاريخ.

٣ـ زينب بنت أبي سلمة: جاء في أسد الغابة: (زينب بنت أبي سلمة بن عبد

---

(١) الدرجات الرفيعة ص١٩٨، عن كتاب الجمل للكلبي.

الأسد القرشية المخزومية، ربيبة رسول اللهﷺ، وأمها أم سلمة زوج النبيﷺ، كان اسمها برة فسماها رسول اللهﷺ زينب، ونقل مثل هذا عن زينب بنت جحش رضي الله عنها، ولدتها أمها بأرض الحبشة وقدمت بها معها..، وتزوجها عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي فولدت له، وكانت من أفقه نساء زمانها، روى جرير بن حازم عن الحسن قال: لما كان يوم الحرة قتل أهل المدينة فكان في من قتل ابنا زينب ربيبة رسول اللهﷺ، فحملا فوضعا بين يديها مقتولين، فقالت: ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾، والله إن المصيبة فيهما علي لكبيرة..)[١].

وفي هذا النص تصريح بأنها ولدت في الحبشة، وهناك نص آخر رواه الإمام أحمد في مسنده عند ذكره لقصة زواج أم سلمة بالرسولﷺ يدل على أن ولادة زينب كانت في المدينة، ومحل الشاهد من النص هو: (.. قالت: فلما وضعت زينب جاءني النبيﷺ فخطبني..)[٢].

ومن مفارقات المؤرخين والمحدثين هنا أنهم يقولون: بأن زينب ولدت في الحبشة، ومع ذلك يروون في قصة زواج الرسولﷺ بأم سلمة: إن الرسولﷺ لما عقد على أم سلمة كان يأتيها فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان رسول اللهﷺ حيياً كريماً يستحي فيرجع، فعل ذلك مراراً..[٣].

والجمع بين هذين لا يصح على قولهم من أن الرسولﷺ تزوج أم سلمة في السنة الرابعة للهجرة، ولكنه يصح على ما قربناه من أن زواجها بالرسولﷺ كان في السنة الأولى من الهجرة، وهذا أحد ما نؤيد به احتمالنا الراجح، ولا يكون ذلك أيضاً إلا على احتمال أن أبا سلمة عاد ثانية إلى الحبشة، وأما إذا قلنا بأنه لم يعد وبقي في مكة المكرمة فلا يمكن أن تكون ـ حين زواج النبيﷺ بأمها ـ طفلة

---

(١) أسد الغابة ٥: ٤٦٨ ـ ٤٦٩.
(٢) مسند الإمام أحمد الحديث رقم: ٢٥٤٠٣.
(٣) كما في الطبقات ٨: ٧١، وغيره.

ترضع، وسيأتي الكلام حول عودة أبيها إلى الحبشة.

كما أن فرض كونها رضيعة حين زواج الرسولﷺ بأمها لا يصح على قول من قال: بأن أم سلمة ولدت زينب أولاً، ثم من بعدها سلمة، ثم عمر ثم درة كما هو صريح رواية الحاكم[1]، وعليه فإن صحت رواية الرضاع وأن زينب ولدت في الحبشة فمن المحتمل أن التي كانت ترضعها أم سلمة هي أختها درة، ولكن النساخ أو الرواة قد خلطوا بينهما، وليس تحقيق ذلك مما يهمنا الآن.

وزينب من رواة هذا الكتاب، ولها روايات في أهل البيتعليهم السلام لم نذكرها في الكتاب لأنها ليست عن أم سلمة، ومن نماذج ذلك ما رواه الذهبي: (ابن لهيعة: عن عمرو بن شعيب: حدثتني زينب بنت أبي سلمة: أن رسول اللهﷺ كان عند أم سلمة فجعل الحسن من شق والحسين من شق وفاطمة في حجره فقال: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت)[2].

وتعد زينب من فقيهات النساء، فقد جاء في رواية: (وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأة في المدينة)[3].

توفيت قريبا من سنة أربع وسبعين[4].

ثم إنه جاء في أسد الغابة هذا العنوان: (أم كلثوم بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية، ربيبة رسول اللهﷺ، أمها أم سلمة، إلى أن قال: عن موسى بن عقبة، عن أمه، عن أم كلثوم بنت أبي سلمة قالت: لما تزوج النبيﷺ أم سلمة قال لها: إني قد أهديت للنجاشي هدية ولا أراها إلا سترجع إلينا..)[5].

وعلى فرض أن تكون النسبة إلى أبي سلمة صحيحة فالظاهر أنها زينب بنت أبي سلمةٌ إذ لم يذكر لأبي سلمة بنت ثالثة، ويحتمل أن تكون الراوية امرأة أخرىٌ

---

(١) المستدرك ٤: ١٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٣: ص٢٠١.
(٣) تفسير ابن كثير ٢٠٥/١
(٤) السابق.
(٥) أسد الغابة ٥: ٦١٣.

فإن بعض من روى هذه الرواية أطلق الكلام وقال: (عن أم كلثوم) ولم ينسبها[١]، والله العالم.

٤ـ درة بنت أبي سلمة: جاء في أسد الغابة: (درة بنت أبى سلمة بن عبد الأسد القرشية المخزومية ربيبة رسول الله ﷺ، أمها أم سلمة زوج النبي ﷺ، ..، وقال أبو عمر: إنها معروفة عند أهل العلم بالسير والخبر والحديث في بنات أم سلمة ربائب النبي ﷺ، وقال الزبير: ولد أبو سلمة بن عبد الأسد، سلمة وعمرو ودرة وزينب، أمهم أم سلمة بنت أبي أمية)[٢].

■ أخوتها وأخواتها

١ـ زهير بن أبي أمية: ورد ذكره في كتاب: (أسد الغابة) في ترجمة أمه عاتكة بنت عبد المطلب: (تزوجها أبو أمية بن المغيرة المخزومي فولدت له زهيراً وعبد الله ابني أبي أمية، وهما أخوا أم سلمة زوج النبي ﷺ لأبيها)[٣].

وقال في الإصابة: (زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي أخو أم سلمة أم المؤمنين..)[٤].

وذكر ابن خلدون في تاريخه: (واستجار رجلان من بني مخزوم بأم هانئ بنت أبي طالب، يقال: إنهما الحرث بن هشام، وزهير بن أبي أمية أخو أم سلمة، فآمنتهما وأمضى رسول الله ﷺ أمانها، فأسلما..)[٥].

٢ـ عبد الله بن أبي أمية: جاء في أسد الغابة: عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، واسم أبي أمية حذيفة، وهو أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ،وكان يقال لأبيه أبي

---

(١) صحيح ابن حبان ١١: ٥١٦.
(٢) أسد الغابة ٥: ٤٤٩.
(٣) ١: ٣١
(٤) الإصابة ٢/٥٧٢.
(٥) ٣: ٤٤.

أمية زاد الركب، وزعم الكلبي أن أزواد الركب من قريش ثلاثة: زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد مناف، قتل يوم بدر كافراً، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية، وأبو أمية ابن المغيرة، وهو أشهرهم بذلك، وإنما سموا زاد الركب لأنهم كانوا إذا سافر معهم أحد كان زاده عليهم،وقال مصعب والعدوي:لا تعرف قريش زاد الركب إلا أبا أمية وحده.

وكان عبد الله بن أبي أمية شديداً على المسلمين مخالفاً لرسول الله ﷺ، وهو الذي قال له: ﴿ **لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل..** ﴾[١] الآية، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، ولم يزل كذلك إلى عام الفتح، وهاجر إلى النبي ﷺ قبيل الفتح هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فلقيا النبي ﷺ في الطريق.

أخبرنا أبو جعفر بن السمين البغدادي بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن اسحق قال: (وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية قد لقيا رسول الله ﷺ بثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول فمنعهما، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله! ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وصهري قال لي بمكة ما قال! ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما وحسن إسلامهما، وشهد عبد الله مع رسول الله ﷺ فتح مكة مسلماً وحنيناً والطائف، ورمي من الطائف بسهم فقتله ومات يومئذ ..)[٢].

٣ـ عامر بن أبي أمية: في أسد الغابة: (عامر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ أسلم عام الفتح روى عن أم سلمة)[٣].

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠.
(٢) أسد الغابة ٣: ١١٨.
(٣) أسد الغابة ٣: ٧٨.

٤ـ مسعود المخزومي أخو أم سلمة[١].

٥ـ المهاجر بن أبي أمية: ذكر الطبري في تاريخه: (أخو أم سلمة ابنة أبي أمية زوج النبي ﷺ لأبيها وأمها، وقال: كان المهاجر بن أبي أمية قد وجد عليه رسول ﷺ، فقال لأم سلمة كلمي لي رسول الله ﷺ فهذا يومه عندك، فأدخلته في بيتها، فلما دخل رسول الله ﷺ لم يرعه إلا مهاجراً آخذ بحقويه من خلفه، فضحك رسول الله ﷺ، قالت أم سلمة: إرض عنه رضى الله عنك فرضي عنه، وولاه صنعاء فانطلق حتى أتى مكة فبلغه أن العنسي قد خرج بصنعاء، فرجع إلى المدينة فلم يزل بها حتى توفي النبي ﷺ وولاه أبو بكر صنعاء فمضى في ولايته)[٢].

وقيل كان اسمه الوليد فغيره الرسول ﷺ إلى المهاجر، قال في الإصابة: الوليد بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة بنت أبي أمية أم المؤمنين تقدم ذكره في ترجمة المهاجر، وكان اسمه الوليد بن أبي أمية فغيره النبي ﷺ حين أسلم قاله بن عبد البر، وقد ذكر ذلك الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي حدثنا حماد بن سلمة وابن جعدبة وبين سياقيهما اختلاف، قالا جميعا: دخل النبي ﷺ على أم سلمة وعندها رجل فقال: من هذا؟ قالت: أخي الوليد قدم مهاجراً فقال: هذا المهاجر، فقالت: يا رسول الله هو الوليد فأعاد فأعادت فقال: إنكم تريدون أن تتخذوا الوليد حنانا، انه يكون في أمتي فرعون يقال له الوليد[٣].

٦ـ عمار بن ياسر: الصحابي الجليل، قيل: إنه أخو أم سلمة لأمها[٤]، وقيل: إنه أخوها من الرضاعة[٥] وهو الصحيحُ فإن أمه (سمية) أول شهيدة في الإسلام، وهي غير أم (أم سلمة) المتقدم ذكرها.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١: ١٧١.

(٢) تاريخ الطبري ١٠: ٤١.

(٣) الإصابة ٦/٦١٣.

(٤) الطبقات لابن سعد ٨: ٧١.

(٥) المستدرك للحاكم ٤: ١٧.

٧ـ قريبة بنت أبي أمية: جاء في أسد الغابة (قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، لها ذكر في حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ، وهي أختها)[١].

وجاء في ترجمة عبد الله بن زمعة: (عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أمه قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة، أخت أم سلمة أم المؤمنين، كان من أشراف قريش، وكان يأذن على النبي ﷺ)[٢].

وذكر أيضاً في ترجمة يزيد بن زمعة: (يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أمه قريبة بنت أبى أمية المخزومية، أخت أم سلمة، أسلم قديماً وكان من مهاجرة الحبشة قاله هشام بن الكلبي: وصحب النبي ﷺ، وروى عنه هو وأخوه عبد الله بن زمعة وإليه كانت المشورة في الجاهلية، وذلك أن قريشاً لم يجمعوا على أمر إلا عرضوه عليه، فإن رضيه سكت، وإن لم يرضه منع منه وكانوا له أعوانا حتى يرجع، وكان من أشراف قريش قاله الزبير، وقال أيضا: إنه قتل مع النبي ﷺ بالطائف، وخالفه غيره، فقال ابن شهاب وعروة وموسى بن عقبة وابن اسحق: انه قتل يوم حنين)[٣].

٨ـ ريطة بنت أبي أمية بن عبد الله بن عمر بن مخزوم: المخزومية أخت أم سلمة كانت زوج صهيب بن سنان ذكرها البلاذري[٤].

■ مواليها

كانت لأم سلمة (رض) مجموعة من الموالي والإماء، أعتقت بعضهم وكاتبت آخرين وأهدت إلى النبي ﷺ بعضهم، وسوف نستعرض أسماء ما توصلنا إليه من

---

(١) أسد الغابة ٥: ٥٣٤.
(٢) أسد الغابة ٣: ١٦٤.
(٣) أسد الغابة ٥: ١١٠.
(٤) الإصابة ٧/٦٦٠.

خلال البحث في كتب الرجال والتاريخ:

١ـ أفلح بن حميد.

٢ـ ثابت مولى أم سلمة، وروى عنها[١].

٣ـ خيرة أم الحسن البصري.

٤ـ أبو صالح: مولى طلحة بن عبيدالله ويقال: مولى أم سلمة اسمه زاذان[٢].

٥ـ سائب مولى أم سلمة مديني، روى عنها[٣].

٦ـ سفينة. وجاء فيه: سفينة بسين مهملة وفاء وقبل آخره نون، فهو سفينة مولى رسول الله ﷺ، يقال: كان مولى أم سلمة فوهبته للنبي ﷺ يكنى أبا عبد الرحمن[٤].

وجاء في التهذيب في تعداد موالي الرسول ﷺ: وسفينة مولى أم سلمة أم المؤمنين أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ حياته فقال: لو لم تشترطي علي ما فارقته[٥]، وقال: سفينة واسمه مهران بن فروخ مولى أم سلمة[٦].

وجاء في معجم رجال الحديث ما لفظه: (سفينة أبو ريحانة: من أصحاب رسول الله ﷺ، رجال الشيخ (٢١).

أقول: عدَّ بعضهم سفينة هذا من الممدوحين، واستند في ذلك إلى عدّة روايات: منها: ما ورد في كف الأسد عنه وخضوعه له، وقد رواه المحدث النوري في المستدرك ج ٣ باب السين من الفائدة ١٠، من الخاتمة، ورواه الكليني ج ١ باب مولد الإمام الحسين عليه السلام (١١٦) الحديث ٨

ومنهاك ما رواه في المستدرك أيضاً عن عمار بن ياسر، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، في غزوة ذات السلاسل: فرجعنا منها ظاهرين ولحقنا سقي من السماء..

---

(١) الجرح والتعديل ٢: ٤٦١.

(٢) تهذيب الكمال ٣٣: ٤٢٠.

(٣) الجرح والتعديل ٤: ٢٤٣.

(٤) إكمال الكمال ٤: ٣٠٨، تاريخ الطبري ١٠: ١٥٧.

(٥) تهذيب الكمال ١: ٢٠٧.

(٦) عيون الاثر ٢: ٣٩٨.

حتى ورد رسول الله ﷺ الوادي فنظر إلى شدة جريانه وقلة الناس في عبوره، فقال رسول الله ﷺ: تسفن يا سفينة على الوادي، فنزل سفينة عن فرسه ووضع عنه سلاحه فرمى بنفسه في عرض الوادي دونه وصار كالسفينة، فنزل رسول الله ﷺ فمشى على ظهر سفينة حتى صار في جانب الوادي ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فنزل وعبر على سفينة ثم قال له رسول الله ﷺ: قم يا سفينة فحسبك هذا افتخاراً.. الحديث.

ثم إن اسم سفينة ـ على ما ذكره ابن شهر آشوب والكفعمي ـ قيس إلا أن البرقي قال: سمه عبد الرحمن بن قيس)[١].

٧ـ السرجسي: بالراء الساكنة والجيم المكسورة بين السينين المهملتين نسبة إلى سرجس، وهو اسم لجد شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب السرجسي مولى أم سلمة قارئ أهل المدينة[٢]، وقال ابن حجر: شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني القاري مولى أم سلمة، أتي به إليها وهو صغير فمسحت رأسه وكان ختن يزيد بن القعقاع[٣]، والذي يظهر من بعض الكلمات أن مولى أم سلمة هو أبو شيبة أعني نصاح.

٨ـ صالح بن أبي صالح[٤].

٩ـ صبيح: بضم الصاد وفتح الباء الموحدة، مولى أم سلمة، وقيل مولى لزيد بن أرقم، روى إبراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولى أم سلمة عن جده صبيح قال: كنت بباب رسول الله ﷺ فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين فجلسوا ناحية فخرج رسول الله ﷺ فقال: إنكم على خير وعليه كساء خيبرى فجللهم به، وقال: أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم[٥].

---

(١) معجم رجال الحديث ٨: ١٦٣، بتصرف واختصار.

(٢) الأنساب ٤: ٢٤٣، الجرح والتعديل ٤: ٣٣٥. (٣) تهذيب التهذيب ٤: ٣٣٠.

(٤) كتاب المجروحين ١: ٣٦٦. (٥) أسد الغابة ٣: ١١، الجرح والتعديل ٤: ٤٤٩.

١٠ـ عبد الله بن رافع أبو رافع: ويقال: عبد الله بن أبي رافع، وسئل أبو زرعة عن ذلك فقال:الصحيح ابن رافع،وسئل عنه فقال:مديني ثقة، روى عن أم سلمة[١].

١١ـ عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي أبو عبد الرحمن المدني، مولى أم سلمة[٢].

١٢ـ قيس: ذكره ابن حبان في (الثقات) وكناه أبا قدامة[٣].

١٣ـ مخوض[٤].

١٤ـ المهاجر: قال في الإصابة: (المهاجر مولى أم سلمة يكنى أبا حذيفة صحب النبيﷺ وخدمه وشهد فتح مصر واختط بها، ثم تحول إلى طحا فسكنها إلى أن مات، ذكره أبو سعيد بن يونس، وأخرج الحسن بن سفيان، وابن السكن، ومحمد بن الربيع الجيزي، والطبري، وابن منده، من طريق بكير مولى عمرة سمعت المهاجر يقول: خدمت رسول اللهﷺ سنين فلم يقل لي لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته)؟[٥]

١٥ـ ناعم بن أجيل الهمداني، أورده جعفر وقال: كان في بيت شرف في همدان، وكان من أصحاب رسول اللهﷺ، روى عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد: أنه من الصحابة قاله البردعي، أخرجه أبو موسى، وقال الأمير أبو نصر: وأما أجيل بضم الهمزة وفتح الجيم وسكون الياء فهو ناعم بن أجيل الهمداني أبو عبد الله مولى أم سلمة، أصابه سباء في الجاهلية فصار إليها فأعتقته، كان أحد الفقهاء بمصر، روى عن عثمان وعلي وابن عباس وغيرهم.

وقال أبو أحمد العسكري: ناعم مولى رسول اللهﷺ، لا أعلم له حديثاً مسنداً وروى بإسناده عن كعب بن علقمة، عن ناعم مولى رسول اللهﷺ، قال: حضرت

---

(١) الجرح والتعديل ٥: ٥٣.
(٢) تهذيب التهذيب ٥: ١٩٢، الجرح والتعديل ٥: ٦٠.
(٣) تعجيل المنفعة: ٣٤٦.
(٤) تهذيب الكمال ٢٣: ١٥١.
(٥) الإصابة ٦/٢٣٠

علياًعليه السلام بالكوفة أو بالبصرة فخطب على بعير ثم نزل ودعا بكبش أقرن فذبحه وقال: هذا عن علي وعن آل علي[١]، وناعم بن أجيل مولى أم سلمة يكنى أبا قدامة[٢].

١٦ـ نبهان مولى أم سلمة، يكنى أبا يحيى[٣]، نبهان أوله نون مفتوحة وبعدها باء ساكنة معجمة بواحدة فهو نبهان مولى أم سلمة كنيته أبو يحيى حدث عن أم سلمة[٤]، نبهان المخزومي أبو يحيى المدني مولى أم سلمة ومكاتبها، ذكره ابن حبان في الثقات[٥].

١٧ـ نعيم أبو إبراهيم: قال ابن الأثير: مولى أم سلمة زوج النبيصلى الله عليه وآله أورده الحسن بن سفيان في الصحابة، وروى بسنده إلى نعيم أبي إبراهيم أنه قال: كنت عبداً لأم سلمة فكنت أبيت على فراش رسول اللهصلى الله عليه وآله وأتوضأ في مخضبه أخرجه أبو نعيم وأبو موسى[٦].

١٨ـ أبو أسماء[٧].

١٩ـ أبو سليمان[٨].

٢٠ـ أبو كثير: مولى أم سلمة زوج النبيصلى الله عليه وآله، روى عن مولاته أم سلمة[٩].

٢١ـ أبو ميمونة مولى أم سلمة زوج النبيصلى الله عليه وآله، وكان قارئ أهل المدينة في زمانه وعليه قرأ نافع بن أبي نعيم[١٠]، ويحتمل أنه السرجسي.

■ **شمائل وصفات**

امتازت أم المؤمنين أم سلمة (رض) بصفات جمالية وكمالية جعلتها الأنموذج

---

(١) أسد الغابة ٥: ٧.
(٢) تاريخ الطبري ١٠: ١٦١.
(٣) تاريخ الطبري ١٠: ١٦١.
(٤) إكمال الكمال ١: ٥٢٠.
(٥) تهذيب التهذيب ١٠: ٣٧٢.
(٦) أسد الغابة ٥: ١٣٣.
(٧) تهذيب الكمال ٣٣: ٣٥.
(٨) لسان الميزان ٧: ٥٧.
(٩) تهذيب الكمال ٣٤: ٢٢٣.
(١٠) تاريخ الطبري ١٠: ١٥٨.

الرائع والبارز في نساء النبي ﷺ، مما جعلها تأخذ مكاناً كبيراً في قلب الرسول ﷺ من بين نسائه ﷺ بعد السيدة خديجة ﷺ، ونحن وإن كنا سنذكر بعض تلك المميزات التي اختصت بها هذه المرأة الصالحة فيما بعد، ولكن هذا لا يمنعنا أن نذكر ما يتناسب مع هذا الفصل الخاص بهويتها الشخصية، وننقل بعض الكلمات وما جاءت به الروايات في ذلك:

قال ابن حجر: (وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب)[١].

وقال ابن كثير: (وكانت من حسان النساء وعابداتهن)[٢].

وقالت عائشة: (لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها فرأيت والله أضعاف ما وصفت..)[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (إنها أجمل نساء النبي ﷺ)[٤]، وورد في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: (مات الوليد بن المغيرة فقالت أم سلمة للنبي ﷺ: إن آل المغيرة قد أقاموا مناحة فأذهب إليهم؟ فأذن لها فلبست ثيابها وتهيأت وكانت من حسنها كأنها جان، وكانت إذا قامت فأرخت شعرها جلل جسدها وعقدت بطرفيه خلخالها فندبت ابن عمها بين يدي رسول الله ﷺ فقالت:..)[٥].

ولعل هذا أحد الأسباب التي دعت بعض أمهات المؤمنين إلى أن يغرن منها، فقد روى النسائي في سننه أن أم سلمة أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فُهر[٦] ففلقت به الصحفة، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة ويقول: كلوا غارت أمكم مرتين، ثم أخذ

---

(١) الإصابة ٤: ٤٥٩. (٢) البداية والنهاية ٨: ٢٣٤.

(٣) الإصابة ٤: ٤٥٩، الطبقات لابن سعد ٨: ٧٥. (٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٢: ١٨٦.

(٥) الكافي ٥: ١١٧.

(٦) الفهر بضم الفاء وسكون الهاء هو الحجر ملأ الكف، وقيل الحجر مطلقاً.

رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة عائشة[١].

ومن خلال ما تقدم من وصفها، وما ذكره المؤرخون والرواة من وصف غيرها من نساء النبي ﷺ بالجمال، يمكن لنا أن نتعرف على أمر ذي بال، وهو أن تسليط الضوء الجمالي على بعض نساء النبي ﷺ بالخصوص أعني عائشة ما هو إلا محاولات جادة لإخفاء حقيقة مهمة، كانت مؤثرة في نفوس بعضهن إلى درجة كبيرة، تدعو إلى الغيرة غير المتعارفة في النساء، فضلاً عن نساء النبي ﷺ وبمرأى ومسمع منه، فإن المتتبع في الروايات يكتشف أن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ فقد غارت من السيدة خديجة عليها السلام[٢] وهي لم تجتمع معها في بيت واحد، وغارت من أم المؤمنين أم سلمة (رض) كما تقدم، وغارت من أم المؤمنين زينب بنت جحش[٣]، وغارت من أم المؤمنين صفية بنت حيّي بن أخطب[٤]، وغارت من أم المؤمنين جويرية بنت الحارث[٥]، وغارت من مارية القبطية[٦].. إلى غيرهن من أزواج النبي ﷺ، ويجمع ذلك قول العسقلاني والقسطلاني: (.. وإن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ، لكن كانت تغار من خديجة أكثر..)[٧]، وقد صرحت هي بذلك أيضاً، فقد روى البخاري وغيره قول عائشة: ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة[٨].

والروايات التي تعرضت إلى غيرتها تشير إلى أن منشأ غيرتها هو الجمال الذي اتصفن به، ولم نجد من الروايات الثابتة ما يشير إلى غيرة أمهات المؤمنين من

---

(١) سنن النسائي: الحديث رقم: ٣٨٩٤.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٣٤، وأسد الغابة ٥: ٤٣٨، وغيرهما.

(٣) الإصابة ٤: ٣١٤، وغيره.

(٤) الإصابة ٤: ٣٤٧.

(٥) الإصابة ٤: ٢٦٥.

(٦) الإصابة ٤: ٤٠٥.

(٧) فتح الباري ٧: ١٣٦، إرشاد الساري ٦: ١٦٦،تحفة الأحوذي ٦: ١٣٤.

(٨) البخاري ٣/ ١٣٨٨، مسلم ٤/ ١٨٨٨، المستدرك ٣/ ٢٠٥.

جمال عائشة، فمحاولة التنصيص على كونها أجمل نساء النبيﷺ، ومن ذلك سميت بالحميراء محاولة فاشلة، ولا يمكنها الصمود أمام النقد الموضوعي النزيه، والتتبع في الأخبار ونصوص المؤرخين، ولا سيما إذا عرفنا أن الروايات التي أشادت بجمالها روايات منسوبة إليها نفسها، وإلى ابن أختها عروة، وفي هذا ما يغني اللبيب، والبحث في هذا الموضوع بأكثر مما أشرنا إليه خارج عن دائرة الكتاب، فمن شاء أن يعرف الحقيقة فعليه أن يقرأ سير أمهات المؤمنين وأخبارهن وأحوالهن بتدبر وإمعان، وقد استوفى بعض الموضوع العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه (الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ) فراجع[1]، ولكن نكتفي تأييداً للمقصود بهذه الرواية.

قال ابن اعثم الكوفي انه دعا عليعليه السلام بعبد الله ابن عباس فقال له: اذهب الى عائشة فقل لها ان ترتحل الى المدينة كما جاءت ولا تقيم بالبصرة، فدخل عليها وتكلم عندها بكلام حتى بكت بكاءً شديداً ـ إلىٰ ان قال لها إني عباس:.. وبنا سميت أم المؤمنين لا بتيم وعديّ، فقالت عائشة: يا بن عباس! اتمنون عليّ برسول اللهﷺ؟ فقال: ولم لا نمنّ عليك برسول اللهﷺ ولو كانت فيك شعرة منه أو ظفر لمننت علينا وعلى جميع العالمين بذلك!! وبعد فانما أنت إحدىٰ حشايا من حشاياه! لست بأحسنهن وجهاً ولا بأكرمهن حسباً ولا بأرشحهن عرقاً، وأنت الآن تريدين أن تقولي ولا تعصين وتأمري ولا تخالفين، ونحن لحم الرسولﷺ ودمه وفينا ميراثه وعلمه... الخ[2].

---

(١) ٢: ١٨٣ ـ ١٨٩.

(٢) كتاب الفتوح، لابن أعثم الكوفي:٣٣٧/٢،طبع دار الندوة الجديدة،بيروت لبنان،وهو مطبوع علىٰ طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الركن، الهند، الطبعة الاولىٰ بإعانة وزارة المعارف للحكومة الهندية. وينبغي الإشارة هنا الىٰ الأيدي الأمينة الساهرة أعينها علىٰ حفظ التاريخ الاسلامي، فقد تلكأت يد علىٰ شيري،ماجستير في التاريخ الاسلامي،محقق إحدىٰ طبعات كتاب الفتوح أعني طبعة دار الأضواء سنة ١٤١١هـ، ج٢،ص ٤٨٦،فصعب عليها أن تثبت كلمات ابن عباس كاملة فبترها بتراً يضحك منه القارئ علىٰ المحقق، فقال:(ولم لا نمن عليك يخرجن مع عائشة الىٰ المدينة)، فاقرأ وتعجب.



الفصل الثاني

أم سلمة في ظل الإسلام

إسلامها

بزغ نور الإسلام في مكة المكرمة بعد أن عاشت مكة والجزيرة العربية في ظلام الجاهلية الدامس سنين متمادية، وحينما بعث نبي الرحمة النبي محمد ﷺ بالدين الجديد وأشرق ذلك النور السماوي على أرض الحجاز لم يُفاجئ به الناس علناً ليبشرهم به، خوفاً على رسالة السماء أن توأد وهي في المهد، فاتخذ طريق العمل السري وأخذ يدعو الناس على انفراد، وأول من آمن بدعوته المباركة الإمام علي عليه السلام ولم يكن كافراً كما نصت عليه أم سلمة في بعض رواياتها الآتية، ثم من بعده السيدة خديجة عليها السلام، وكان ثالثهما جعفر ابن أبي طالب عليه السلام، كما يستفاد من جملة من الروايات، ولا ننسى شيخ البطحاء عليه السلام فهو من أوائل من آمن برسالة ابن أخيه النبي ﷺ، وكذلك زوجه فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم بدأ المسلمون يزدادون واحداً واثنين وهكذا..

وما إن سمعت السيدة أم سلمة بنبوة النبي ﷺ حتى أسرعت إليه مبادرة هي وزوجها أبو سلمة فكانت من أوائل من أسلم بالدين الجديد، فلم يسبقها إلا القليلات من النساء، وهن: السيدة خديجة وبناتها وأم الفضل زوج العباس وأم أيمن الحبشية[1]، وتقدم أن أبا سلمة أسلم بعد عشرة أنفس هو وزوجته، وقال بعض المؤرخين أن إسلام أبي سلمة كان قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم[2]، وهو لا يتنافى مع ما نقلناه سابقاً فإن الرسول ﷺ لم يدخل دار الأرقم إلا بعد أن أصبح

---

(١) نساء أهل البيت لخليل جمعة ١: ٢٢٣. (٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ١: ٢٠١.

عدد المسلمين ثلاثين نفراً وصعب تخفيهم.

قال ابن الأثير: (أخبرنا عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس عن ابن إسحاق قال: وانطلق أبو عبيدة بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور، قال: ثم أسلم ناس من العرب، منهم سعيد بن زيد، وذكر جماعة)[1].

حياتها في مكة

لم تكن أم سلمة في مكة المكرمة في ذلك الوقت إلا فتاة كسائر الفتيات اللاتي يعشن مع أزواجهن أو في بيوت آبائهن لا يملكن لأنفسهن نفعاً ولا ضراً، فلذا لم نجد مصدراً يتحدث عن حياتها آنذاك، وهو أمر طبيعي بالنسبة إلى فتاة لم تدخل العشرين من عمرها وفي بيئة كمكة المكرمة وظرف كالجاهلية، فلا أظن أن هذا الأمر يفاجئ مؤرخاً أو باحثاً يريد أن يعرف عن مترجمه كل شيء، فحياة أم سلمة ووضعها قبل الإسلام كسائر الفتيات اللاتي يعشن في ذلك الوضع، غير أنها ابنة زاد الركب وسليلة بني مخزوم فسوف لن تعدم الحياة الهانئة.

وأما حياتها بعد الإسلام فهي مربوطة بالحدث العام الذي أصبح حديث المجالس والمحافل، وهمّ قريش الأكبر، ألا وهو الدين الذي سفّه أحلام المشركين وأهان آلهتهم، فهي واحدة من أولئك الذين منّ الله عليهم بالإسلام فدخلوا فيه مطمئنة قلوبهم به، وأصبحوا يتخفون بإسلامهم خوفاً على أنفسهم من العذاب الذي يصبه طغاة المشركين على ضعفاء المسلمين، وحذراً من أن يفتنهم قومهم عنه فيعودوا إلى ملتهم الأولى خاسرين، خصوصاً وأن من أولئك الطغاة

---

(١) أسد الغابة ٥: ٢١٨.

شخصيات بني مخزوم الذين منهم أم سلمة وزوجها.

فكان هذا هو الوضع العام للمسلمين، ولا سيما لأولئك النفر الذين لم تكن عندهم قبيلة تحميهم من الأشرار، أو جوار يقيهم من الكفار، ويا لسوء الحظ عندما يكون المسلم أحد أولاد حملة الحقد المشرك على النبي ﷺ ورسالته، وقد مرّ علينا في ترجمة أبي سلمة استجارته بأبي طالب عليه السلام من إيذاء عشيرته وقومه فأجاره ومنعه منهم.

واستمرت هذه الحالة بالمسلمين حتى كثروا وأصبح من الصعب أن يتخفوا بإسلامهم، أو يحافظوا عليه وهم في رفاهية من العيش، فأمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشةُ فإن فيها ملكاً من أهل الكتاب لا يظلم عنده أحد.

وقد لخص اليعقوبي مجمل الأحداث بقوله: (.. ولما رأى رسول الله ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب، وما هو فيه من الأمن بمنع أبي طالب عمه إياه قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشيُ فإنه يحسن الجوار، فخرج في المرة الأولى اثنا عشر رجلا، وفي المرة الثانية سبعون رجلا سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأولون فكان لهم عند النجاشي منزلة وكان يرسل إلى جعفر فيسأله عما يريد ..)[1].

في طريق الحبشة

هاجر المسلمون إلى الحبشة عن طريق البحر، فقد ذهبوا متخفين عن أعين الشرك، متسللين أرسالاً كما في رواية أم سلمة الآتية حتى بلغوا شاطئ البحر، ومن حسن طالعهم وجدوا سفينة أو سفينتين تريد أن تبحر نحو الحبشة فركبوا فيها، وأقلّتهم إلى حيث مقصدهم، فلم تدركهم قريش التي علمت بأنهم فروا بدينهم

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٩.

فأرسلوا عصابة من ورائهم، وهي التي لا زالت تلح على ثنيهم عن الاستضاءة بالنور الجديد وإرجاعهم إلى ظلمة الشرك مرة أخرى، تقول أم سلمة في ضمن رواية مطولة: (لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمّه، لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار..)[١].

وكانت الهجرة إلى الحبشة في العام الخامس من البعثة النبوية[٢]، فقد ذكر الطبري في تأريخه: (الهذلي عن الحارث بن الفضيل قالا: خرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سراً، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة حتى انتهوا إلى الشعيبة، منهم الراكب والماشي، ووفق الله للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبأ رسول الله صلى الله عليه وآله، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً)[٣].

وقد جعل عليهم الرسول صلى الله عليه وآله ابن عمه جعفر بن أبي طالب عليه السلام، كما يظهر من أسد الغابة حيث قال: (.. عن سعيد.. قال: بعث رسول صلى الله عليه وآله جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشي)[٤].

ويظهر أيضاً من السيرة النبوية لابن كثير فقد روى عن أبي بردة عن أبي موسى قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي[٥].

---

(١) السيرة النبوية ٢: ١٧.
(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٢:
(٣) ٢: ٦٩.
(٤) أسد الغابة ١: ٤٤.
(٥) ٢: ١١.

ومن رسالة الرسولﷺ إلى النجاشي، ونص الرسالة كما في السيرة النبوية: (عن محمد بن اسحق قال: بعث رسول اللهﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)[١].

في الحبشة

أبحرت السفينة تشق العباب حتى استقرت براكبيها في مملكة النجاشي، واستقرت معها نفوس المسلمين في ظل سلطان عادل لا يظلم أحداً، فعاشوا مطمئنين على أنفسهم ودينهم فأخذوا يقومون بواجبهم وعبادتهم خير قيام، لم يقف أمامهم ما يسوؤهم، ولا ما يعكر صفو حياتهم حتى سمعوا بخبر رسولي قريش للتفاهم مع النجاشي في شأن المهاجرين المسلمين، وصعب ذلك الخبر على المسلمين لما عرفوا من نية قريش وخبث من جاء للأمر، وقد استوفت السيدة أم سلمة (رض) القضية من أولها حتى آخرها فلنصغ لما تحدث به عن مقامهم في الحبشة وما حصل لهم، تقول السيدة أم سلمة برواية السيرة النبوية

---

(١) ٢: ٤٢.

لابن هشام:عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت ـ بعد المقطع الذي نقلناه سابقاً ـ:

فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار، آمنين على ديننا ولم نخش فيها ظلماً، فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً غاروا منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيأوا له هدية على حدة، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا، فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته فكلموه فقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل فقالوا: نفعل، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم، وذكر موسى بن عقبة: أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج.

فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له: أيها الملك! إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم: آباؤهم وأعمامهم وقومهمٌ لتردهم عليهم فإنهم أعلى بهم عيناً، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك.

فغضب ثم قال: لا، لعمر الله ! لا أردهم حتى أدعوهم فأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي، واختاروا جواري على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم وبينهم ولم أنعم عيناً.

وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم فقال: لا والله حتى

أسمع كلامهم وأعلم على أي شيء هم عليه.

فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له فقال: أيها الرهط ألا تحدثوني ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم ! فأخبروني ماذا تقولون في عيسى وما دينكم؟ أنصارى أنتم؟

قالوا: لا.

قال : أفيهود أنتم؟

قالوا: لا.

قال: فعلى دين قومكم قالوا : لا.

قال: فما دينكم قالوا : الإسلام.

قال: وما الإسلام قالوا : نعبد الله لا نشرك به شيئا.

قال: من جاءكم بهذا؟

قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصدقناه وعرفنا كلام الله، وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله وأرادونا على عبادة الأوثان ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا.

قال: والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى.

قال جعفر: وأما التحية: فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام وأمرنا بذلك، فحييناك بالذي يحيي بعضنا بعضا.

وأما عيسى بن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول.

فأخذ عوداً وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود.

فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك.

فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً، وما أطاع الله الناس في حين رد علي ملكي فأطيع الناس في دين الله، معاذ الله من ذلك.

وقال يونس عن ابن اسحق: فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض لعمرو بن العاص وعبدالله بن ربيعة من أن يسمع كلامهم.

فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون فقالوا: وماذا نقول! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا وما جاء به نبيناﷺ كائن من ذلك ما كان.

فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه.

فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية.

فقال له جعفر: أيها الملك كنا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئا ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الأرحام، ونحمي الجوار، ونصلي لله عز وجل، ونصوم له، ولا نعبد غيره.

وقال زياد عن ابن إسحاق: فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قال: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند

الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له، ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا، ويردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

قالت : فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به؟

فقرأ عليه صدراً من ﴿**كهيعص**﴾، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم.

ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عيناً.

فخرجنا من عنده وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة، فقال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى بن مريم عبد !

فقال له عبد الله بن ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً.

فقال: والله لأفعلن.

فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولا عظيماً فأرسل إليهم فسلهم عنه.

فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها.

فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو يسألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله الله فيه، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه.

فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عودا بين إصبعيه فقال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم شيوم في الأرض ـ الشيوم: الآمنون في الارض ـ من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ثلاثا، ما أحب أن لي دبراً وأني آذيت رجلاً منكم، والدبر بلسانهم: الذهب.

وقال زياد عن ابن إسحاق: ما أحب أن لي دبراً من ذهب.

قال ابن هشام: ويقال زبراً، وهو الجبل بلغتهم.

ثم قال النجاشي: فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه، ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها، وأخرجا من بلادي، فخرجا مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به.

قالت: فأقمنا مع خير جار في خير دار، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فوالله ما علمتنا حزنا حزناً قط هو أشد منه فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي فخرج إليه سائراً، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من يخرج فيحضر الوقيعة حتى ينظر على من تكون؟

فقال الزبير وكان من أحدثهم سنا: أنا.

فنفخوا له قربة فجعلها في صدره فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس فحضر الوقعة.

فهزم الله ذلك الملك وقتله وظهر النجاشي عليه، فجاءنا الزبير فجعل يليح لنا بردائه ويقول: ألا فأبشروا فقد أظهر الله النجاشي.

قالت: فوالله ما علمتنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا إلى مكة وأقام من أقام[١].

وذكر ابن هشام في محل آخر ما يصلح تكملة لما سبق من قصة خروج الرجل الحبشي على النجاشي، قال: قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة وصفوا فقال: يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى. قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله. فقال النجاشي ووضع يده (على صدره) على قبائه: هو يشهد أن عيسى بن مريم، لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب فرضوا وانصرفوا (عنه)، فبلغ ذلك النبيﷺ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له[٢].

ومن الحوادث التي ينبغي أن يشار إليها وقد حصلت والمسلمون في الحبشة، ما أرسله أبو طالبعليه السلام إلى النجاشي من الشعر في شأن المهاجرين، وذلك عندما علم بإرسال الرسولين من قريش من أجل إخراج المسلمين المهاجرين من جوار النجاشي، وإرجاعهم إلى مكة للعذاب والتصفية، فقد أرسل إليه يحثه على عدم السماع لقريش وأن يبقى محافظاً على جواره للمسلمين، وإن هذا الموقف منهعليه السلام

---

(١) ٢: ١٧، وأورد هذه الرواية بطولها مع اختلاف يسير أحمد بن حنبل في مسنده برقم ١٦٤.
(٢) ١: ٢٢٨.

كسائر مواقفه الجهادية التي وقفها أمام كبرياء قريش وتبخترها وتجبرها من أجل إعلاء كلمة الحق، قال ابن هشام في سيرته:

(قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي، فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوها إليه فيهم، فقال أبو طالب ـ حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ـ أبياتا للنجاشي، يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ ... وعمرو وأعداء العدو الأقاربُ

وهل نالت افعال النجاشي جعفراً ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغبُ[1]

تعلّم أبيت اللعن أنك ماجدٌ ... كريم فلا يشقى لديك المجانبُ

تعلم بأن الله زادك بسطةً ... وأسباب خير كلها بك لازبُ

وأنك فيض ذو سجال غزيرةٍ[2] ... ينال الأعادي نفعها والأقاربُ[3]

ومما يحسن الإشارة إليه أيضاً ما قاله بعض المهاجرين من الشعر وهم إذ ذاك في الحبشة، ويحكي عن مدى ارتياحهم واطمئنانهم على دينهم وقتئذ، فمنهم: عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي فقد قال ابن الأثير: روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال: وكان مما قيل من الشعر في الحبشة: إن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي لما أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا

---

(١) الشَّغْب: تهييج الشر والفتنة والخصام، عن لسان العرب.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٢٢١.

(٣) السَّجْل: الدلو الضخمة المملوّة ماء، والجمع سِجال وسجول، عن لسان العرب.

يخافون على دينهم أحدا فقال أبياتا منها:

يـا راكـبا بـلّغَنْ عـني مغلغلة[١]	من كـان يـرجـو بلاغ الله والديـنِ
كل امرئ من عـباد الله مضطهد	بـبطن مكـة مـقهور ومـفتونِ
إنـا وجـدنا بـلاد الله واسـعة	تـنجي مـن الذل والمخزاة والهـونِ
فـلا تـقيموا عـلى ذل الحياة ولا	خزي الممات وعيب غير مـأمونِ
إنـا تـبعنا رسـول الله واطرحـوا	قول النبي وعاثوا في الموازيـنِ[٢]

وقال عبد الله بن الحارث أيضا يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم، ويعاتب بعض قومه في ذلك:

أبت كـبدي لا أكـذبنك قـتالهم	عـلي وتـأباه عـلي أنـاملي
وكـيف قـتالي مـعشراً أدبـوكم	عـلى الحـق أن لا تـأشبوه بـباطلِ
نـفتهم عـباد الجن مـن حـر أرضـهم	فـأضحوا عـلى أمـر شـديد البلابلِ
فـإن تك كـانت فـي عـدي أمـانة	عدي بن سعد عـن تـقى أو تـواصلِ
فـقد كـنت أرجـو أن ذلك فـيكم	بـحمد الذي لا يـطّبي[٣] بـالجعائلِ
وبـدلت شـبلاً شـبل كـل خـبيثة	بذي فجر مأوى الضعاف الأرامـلِ[٤]

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وهو ابن عمه وكان يؤذيه في إسلامه:

أتـيم بـن عـمرو للـذي جـاء بـغضة	ومـن دونـه الشرمان والبرك أكتعُ[٥]
أأخـرجـتني مـن بـطن مكـة آمـناً	وأسكـنتني فـي صـرح بـيضاء نقذعُ

---

(١) رسالة مغلغلة: أي محمولة من بلد إلى بلد. عن العين.

(٢) أسد الغابة ٣: ١٣٩، وسيرة ابن هشام ١: ٢٢٣.

(٣) رجل طباة أي أحمق ذو شر، ويقال: فلان يطبى بالنشر أي يفعله بهم. عن العين.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ٢٢٣.

(٥) أكتع: أجمع.

تـــريش[١] نـــبالاً لا يـــواتـيـك ريشـــها وتـــبري نـــبالاً ريشـــها لك أجـــمعُ
وحـــاربت أقـــوامـــاً كـــرامـــاً أعـــزة وأهـــلكت أقـــوامـــاً بـــهم كـــنت تـفزعُ
ســـتعلم إن نـــابتك يـــومـاً مـــلـمة وأسلمك الأوباش[٢] ماكـنت تـصنعُ[٣]

في مكة المكرمة ثانياً

يروي المؤرخون أن هناك أنباء قد تسربت إلى مسامع من كان من المسلمين في الحبشة بأن قريشاً دخلت في الإسلام، وأنهم سجدوا مع سجود الرسولﷺ حينما قرأ سورة النجم، وكانت فرحتهم لا تقف عند حد، فإن قريشاً هي حـجر العثرة الكبير أمام الدعوة الإسلامية من جهة، وأمام هؤلاء الضعفاء المستضعفين من جهة أخرى، بحيث اضطرهم جبروتها للهجرة عن موطنهم الأصلي، والنزوح عن محل إقامتهم الأول، إلى بلاد تبعد عنهم مسافة ولغة ولوناً وديناً، فما أن بلغهم الخبر ـ وكان ذلك بعد شهرين أو ثلاثة أشهر من هجرتهم ـ حتى تـهيأ بـعضهم للرجوع فعاد قسم منهم إلى مكة المكرمة وبقي آخرون، فلم يجد الراجعون مما سمعوا شيئاً يذكر، بل كان الأمر أشد على المسلمين مما سبق مما اضطر بعضهم للعودة ثانية إلى محل هجرتهم ومأمنهم.

هكذا قالت بعض الروايات التأريخية وسوف ننقل بـعضها، ولكـن العـلامة السيد جعفر مرتضى ذهب إلى رأي آخر في سبب عودة من عاد من المهاجرين، وهو تسرب أخبار هدنة بين النبيﷺ وقريش، وأما ما يذكر من أمر السجود فهو مربوط بقضية الغرانيق، وهي قصة مفتعلة جاء بها أعداء الإسلام ونـقلها بـعض المؤرخين والمفسرين عن وعي أو غير وعي، وهي ممتنعة الحصول فإنها تسيء إلى قداسة النبيﷺ وعدم عصمته حتى في التبليغ الذي أجمع المسلمون قاطبة

---

(١) راش السهم رَيْشاً وارتاشه: ركّب عليه الرِّيش. لسان العرب.
(٢) الأوباش: الأخلاط من الناس. (٣) المصدر السابق.

على القول بها حينه[1].

وهذا الرأي هو الأصح لما ذكره السيد الجليل من جهة، ولبُعد أن يقتنع المسلمون بخبر مثل هذا وحصوله في مدة يسيرة من مثل قريش المتكبرة، فإن سجود قريش مع النبي ﷺ يعني اقتناعهم بما أتى به من عند ربه وإيمانهم بنبوته كما صرحت بعض الأخبار بذلك، وصدور مثل هذا الأمر من قريش العاتية في هذه المدة اليسيرة أمر يكذبه الخيال فضلاً عن الحقيقة، فإن أسباب تكذيب النبي ﷺ متعددة ومختلفة، فبعضها يرجع إلى الحسد والحقد الداخلي لبني هاشم عامة وللنبي ﷺ خاصة كما هو الحال في أبي سفيان على سبيل المثال، وهذا السبب لا يمكن أن يزول إما إلى الأبد وإما في هذه المدة اليسيرة.

ومن الأسباب أيضاً الخوف على المنصب والزعامة كما هو حال أبي جهل، وهذا السبب أيضاً لا يمكن أن يزول من نفس نشأت على حب العرش والكرسي وتخشى عليه من هبوب النسيم كيف بالريح العاصف، لا سيما في مدة قصيرة مثل هذه المدة.

إلى غير ذلك من الأسباب التي يصعب زوالها في هذه المدة، لا سيما وأن الأمر قد حصل بعد فشل قريش في محاولتها استرجاع المسلمين المهاجرين، ورجوع رسولي قريش من الحبشة خائبين مما جرح كبرياء قريش جرحاً عميقاً، فالمدة جد قليلة من جهة، والجرح لما يندمل ومن الصعب التئامه من جهة أخرى، وليس تحقيق مثل هذا الأمر من هموم هذا الكتاب.

وما يهمنا البحث عنه في هذه المرحلة من تأريخ أم سلمة أنها كانت من بين العائدين إلى مكة المكرمة مع زوجها أبي سلمة، ولم يذكر التأريخ لنا خبراً عن رجوعهما ثانية إلى الحبشة إلا الخبر العام القائل: بهجرة بعض العائدين مرة ثانية،

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٢: ٦٤.

وما ذكره الحاكم في التعريف بزوجها الأول: (وهاجر بها إلى أرض الحبشة في الهجرتين جميعاً..)[١]، وما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة: (.. وهاجر الحبشة الهجرتين ومعه امرأته أم سلمة)[٢].

ويمكن أن يستظهر من تحديد زمن هجرة أبي سلمة إلى المدينة أنه لم يعد إلى الحبشة، وبقي في مكة محتمياً بجوار خاله أبي طالبؑ، وقد قدمنا الرواية التي نصت على ذلك الجوار، وسوف نتعرض فيما بعد إلى زمن هجرته إلى المدينة، ويؤيد هذا قول أم سلمة في الرواية المتقدمة برواية الإمام أحمد: (فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول اللهﷺ وهو بمكة)، ولكنه يبقى مجرد احتمال، كما يحتمل في المقابل أنهما رجعا إلى الحبشة مرة أخرى ولكنهما رجعا إلى مكة قبل أن يهاجر النبيﷺ إلى المدينة على عكس من رجع من الحبشة بعد هجرة الرسولﷺ إلى المدينة، ولعل تنصيص أم سلمة في العبارة المتقدمة (وهو بمكة) يؤيد الاحتمال الأخيرُ إذ من غير المحتمل أن يتوهم أحد رجوعهم من الحبشة في المرة الأولى والرسولﷺ ليس في مكة حتى تنص عليه، والمدة كانت في حدها الأقصى ثلاثة أشهر.

ولنذكر بعض روايات الباب ليتم توثيق ما ذكرناه:

١ـ وهاجر ـ يعني أبا سلمة ـ إلى أرض الحبشة معه امرأته أم سلمة ثم عاد وهاجر إلى المدينة[٣].

٢ـوكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة، ويقال أيضا: إن أم سلمة أول ظعينة هاجرت إلى المدينة، وقيل: بل ليلى بنت أبي حثمة امرأة عامر بن ربيعة[٤].

٣ـ ورد في سيرة ابن هشام: (ذكر من عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام

---

(١) المستدرك ٤: ١٩.
(٢) صفة الصفوة المجلد ١: ٢٠١.
(٣) أسد الغابة ٥: ٢١٨.
(٤) أسد الغابة ٥: ٥٦٠.

أهل مكة، قال ابن إسحاق: وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً. فكان ممن قدم عليه مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدرا (وأحدا) ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ومن مات بمكة.

فعدد مجموعة من الصحابة إلى أن قال: ومن بني مخزوم بن يقظة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة).

ثم قال: (فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً، فكان من دخل منهم بجوار فيمن سمي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم دخل بجوار من أبي طالب بن عبدالمطلب وكان خاله)[1].

٤ـ قال في عيون الأثر: (وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين، فكان عدد المهاجرين في المرة الأولى اثني عشر رجلا وأربع نسوة، ثم رجعوا عندما بلغهم عن المشركين سجودهم مع رسول الله ﷺ عند قراءة سورة (والنجم) ـ وسيأتي ذكر ذلك ـ فلقوا من المشركين أشد مما عهدوا، فهاجروا ثانية، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان فيهم عمار، ففيه خلاف بين أهل النقل، وثماني عشرة امرأة، إحدى عشرة قرشيات وسبعاً غرباء)[2].

٥ـ وكان سبب رجوع الأولين الإثني عشر رجلاً ومن ذكر معهم من النساء فيما

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ٢٤٥ ـ ٢٤٧. (٢) ١: ١٥١.

روي أن رسول الله ﷺ قرأ يوما على المشركين ﴿ والنجم إذا هوى ﴾[١] حتى بلغ ﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾[٢] ألقى الشيطان كلمتين على لسانه (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى) فتكلم رسول الله ﷺ بهما، ثم مضى فقرأ السورة كلها، فسجد وسجد القوم جميعاً ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود..

إلى أن قال: قالوا: ففشت تلك السجدة في الناس حتى بلغت أرض الحبشة، فقال القوم: عشائرنا أحب إلينا فخرجوا راجعين، حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباناً من كنانة فسألوهم عن قريش، فقال الركب: ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ، ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك، فائتمر القوم في الرجوع إلى أرض الحبشة، ثم قالوا: قد بلغنا مكة فندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهداً من أراد بأهله ثم يرجع، فدخلوا مكة ولم يدخل أحد فيهم إلا بجوار إلا ابن مسعود فانه مكث يسيراً ثم رجع إلى أرض الحبشة.

قال الواقدي: وكانوا خرجوا في رجب سنة خمس فأقاموا شعبان وشهر رمضان، وكانت السجدة في شهر رمضان، فقدموا في شوال سنة خمس.

قال السهيلي: ذكر هذا الخبر يعني خبر هذه السجدة موسى بن عقبة، وابن إسحاق من غير طريق البكائي، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة..)[٣].

ذكرنا هذه الرواية تبعاً للقوم وهي لا تزن شيئاً في ميزان الصحة، لمخالفتها لعصمة الرسول ﷺ المجمع عليها بين المسلمين في حال التبليغ، وإنما هي من دسائس الدخلاء على الإسلام.

---

(١) سورة النجم: ١. (٢) سورة النجم: ١٩، ٢٠.

(٣) عيون الأثر ١: ١٥٦.

الهجرة إلى المدينة

بدأ نور الإسلام يشق الظلام وينتشر في القلوب رويداً رويداً حتى وصلت أنواره إلى أفراد في يثرب، وأصرت قريش على أن تطفئه، فأخذت تعذب المسلمين الضعفاء تعذيباً وحشياً لا نظير له إلا عند الذئاب حين تهاجم فريسة لها، واشتد الأمر بصورة مروعة عندما انتقل أبو طالب عليه السلام إلى جوار ربه ففقد الرسول صلى الله عليه وآله بفقده الحصن المنيع الذي كان يمنعه من سفهاء المشركين، عندها حان الوقت لأن يعلن الرسول صلى الله عليه وآله إلى أتباعه بأن يهاجروا إلى المدينة المنورة فإن لهم هناك إخواناً مؤمنين، وأول من بادر إلى الهجرة فيما يروي الراوون هو أبو سلمة وزوجه غير أن المشركين حبسوها عنه، قال ابن هشام في سيرته:

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها، فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة.

ثم ذكر المهاجرين إلى المدينة فقال: فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين، من قريش من بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسمه عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا[١].

وفي عيون الأثر: قال ابن إسحاق: فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٣٢١.

العقبة، وكانت سراً عن كفار قومهم وكفار قريش، أمر رسول الله ﷺ من كان معه بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً، أولهم فيما قيل أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وحبست عنه امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بمكة نحو سنة، ثم أذن لها بنو المغيرة الذين حبسوها في اللحاق بزوجها..[١].

وقال ابن كثير: فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة، فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها[٢].

واختلف المؤرخون في تحديد وقت هجرته فقد ذكر ابن هشام فيما نقلنا عنه أنها قبل بيعة العقبة بسنة، وهو إن كان يقصد البيعة الثانية فقد وقعت في السنة الثالثة عشرة من بعثة الرسول ﷺ، وهذا يعني أنه هاجر في السنة الثانية عشرة من البعثة، وإن كان يقصد البيعة الأولى فقد وقعت في السنة الثانية عشرة وهذا يعني أن هجرته كانت في السنة الحادية عشرة.

وذهب ابن خلدون كما نقلنا عنه في وقت سابق أن هجرته كانت بعد بيعة العقبة: (فلما تمت بيعة الأنصار ـ ويعني الثانية ـ... أمر رسول الله ﷺ أصحابه ممن هو بمكة بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالاً، وأول من خرج أبو سلمة ونزل في قبا)[٣].

والأول هو الأقرب لأن بيعة العقبة الثانية وقعت قبل هجرة الرسول ﷺ بثلاثة أشهر كما يقولون وهذا لا يتناسب مع قولهم بأن أبا سلمة أول من هاجر إلى

---

(١) ١: ٢٢٧. (٢) السيرة النبوية ٢: ٢١٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣: ١٤.

المدينة وزوجه أول ظعينة تدخلها بينما لم تذهب هي إلا بعد سنة من هجرته.

بل يمكن القول بأن هجرته كانت قبل البيعة الأولى بسنةٍ لأن هجرته بعد البيعة الأولى لا يتناسب مع كونه أول مهاجر من المسلمين بينما الرسولﷺ قد أرسل مع من بايع البيعة الأولى مصعب بن عمير لتعليمهم، فأكبر الظن أنه هاجر قبل تلك البيعة لأن هناك من أهل المدينة من أسلم في السنة الحادية عشرة من البعثة ولما رجعوا إلى قومهم ذكروا لهم رسول اللهﷺ، ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار، إلا وفيها ذكر من رسول اللهﷺ[1]، وهذا هو المناسب للرواية السابقة: (فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً).

في الطريق إلى المدينة

جاء في أسد الغابة وغيره بسنده إلى سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل بعيراً له، وحملني وحمل معي ابني سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد، ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوني، وغضبت عند ذلك بنو عبد الأسد وأهووا إلى سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به عبد الأسد رهط أبي سلمة، وحبسني بنوا المغيرة عندهم.

وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي

---

(١) راجع الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٢: ١٩٩.

سنة[١] أو قريبها، حتى مرّ بي رجل من بني عمي من بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة! فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها؟ فقالوا لي: ألحقي بزوجك إن شئت، ورد علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني، فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري،ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال: أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. فقال: هل معك أحد؟ فقلت: لا والله إلا الله وابني هذا، فقال: والله ما لك من منزل[٢]، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يقودني.

فوالله ما صحبت رجلا من العرب أراه كان أكرم منه، إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ننزل، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي إلى المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة نازلا بها، فدخلتها على بركة الله تعالى، ثم انصرف راجعاً إلى مكة، وكانت تقول: ما أعلم أهل بيت أصابهم في الإسلام ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة، وقيل: إنها أول ظعينة هاجرت إلى المدينة والله أعلم[٣].

وقال ابن أبي الناس في عيون الأثر: قال أبو عمر: وهي أول ظعينة دخلت من المهاجرات المدينة، وقال موسى بن عقبة: وأول امرأة دخلت المدينة أم سلمة، ثم

---

(١) في الإصابة: (سبعاً). (٢) في الإصابة (مترك).

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٣٢١، وأسد الغابة ٥: ٥٨٨، والإصابة ٤: ٤٥٨.

عبد الله بن جحش بن رئاب بأهله وأخيه[١].

في المدينة المنورة

تتوزع حياة أم المؤمنين أم سلمة في المدينة المنورة على مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: مع زوجها الأول.

المرحلة الثانية: في بيت الرسول ﷺ.

المرحلة الثالثة: بعد وفاة الرسول ﷺ إلى وفاتها.

أما المرحلة الأولى: من حياتها في المدينة فلا نجد فيها شيئاً يذكر، وهو أمر طبيعي من امرأة مسلمة تعيش مع زوجها فلا يحتاج إلى تعليل.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة انتقالية في حياة أم سلمةً حيث دخلت في هذا الوقت بيت الرسول ﷺ فدخلت التأريخ من أوسع أبوابه وأصبحت خالدة في الخالدين، إذ أصبحت زوجة أعظم شخصية في تأريخ بني آدم، النبي الأعظم محمد ﷺ قائد المسيرة الإنسانية نحو شاطئ الأمان، ولزوجات النبي ﷺ ميزة خاصة تميزهن عن سائر النساء باستثناء من طهرها الله من الرجس أعني فاطمة بنت محمد ﷺ ومن كان على منوالها كابنتها السيدة زينب عليها السلام، ولم تكن أيضاً تلك الميزة مطلقة بل مشروطة بشرط، فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتن** ﴾[٢]، وقد اتقت أم سلمة في الأول والأخير، ولم تحص عليها زلة في حياتها، ولم تعثر في طريقها، لا في حياة الرسول ﷺ ولا بعد مماته، فهي المرأة المخلصة المؤمنة التقية النقية.

زواجها بالرسول ﷺ

نترك الحديث لأم سلمة وهي تقص علينا قصة زواجها بالرسول ﷺ، بعد أن

---

(١) ١: ٢٢٧.   (٢) الأحزاب: ٣٢.

اخترم المنون حياة زوجها الأول أبي سلمة، وقد اختلفت الروايات في ذلك، ولعل أجمع الروايات رواية الإمام أحمد في مسنده وهي:

حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت قال حدثني ابن عمر بن أبي سلمة بمنى عن أبيه، أن أم سلمة قالت: قال أبو سلمة: قال رسول الله ﷺ: إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾، عندك احتسبت مصيبتي، وأجرني فيها، وأبدلني ما هو خير منها، فلما احتضر أبو سلمة قال: اللهم اخلفني في أهلي بخير، فلما قبض قلت: ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾، اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها، قالت: وأردت أن أقول: وأبدلني خيراً منها، فقلت: ومن خير من أبي سلمة؟ فما زلت حتى قلتها.

فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله ﷺ، فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ وبرسوله، أخبر رسول الله ﷺ أني امرأة غيرى، وأني مصبية، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً.

فبعث إليها رسول الله ﷺ أما قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني.

قلت: يا عمر قم فزوج رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أما إني لا أنقصك شيئاً مما أعطيت أختك فلانة، رحيين وجرتين ووسادة من أدم حشوها ليف.

قال: وكان رسول الله ﷺ يأتيها، فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان رسول الله ﷺ حيياً كريماً يستحيي فرجع، ففعل ذلك مراراً ففطن عمار بن ياسر لما تصنع، فأقبل ذات يوم وجاء عمار ـ وكان أخاها لأمها[1] ـ فدخل عليها فانتشطها من حجرها، وقال دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها

---

(١) بيّنا عدم صحة ذلك، ولكن يحتمل أنه أخوها من الرضاعة.

رسول اللهﷺ، قال: وجاء رسول اللهﷺ فدخل، فجعل يقلب بصره في البيت ويقول: أين زناب؟ ما فعلت زناب؟ قالت: جاء عمار فذهب بها، قال فبنى بأهله، ثم قال: إن شئت أن أسبع لك سبعت للنساء[١].

وهذه الرواية تنص على أن الذي زوجها بالرسولﷺ هو ابنها (عمر)، بينما هناك من الروايات ما يدل على أن الذي زوجها هو ابنها سلمة وهو الأكبر، وقدمنا الكلام حول ذلك، وليس في تحقيق هذا الأمر فائدة كبيرة نرجوها في الكتاب.

وفي أعذارها الثلاثة عن قبول الزواج ما يدل على كمال عقلها وقوّة إيمانها، فإن غيرتها قد تشط بها فيصدر منها ما يسيء إلى الرسولﷺ فيحبط عملها، وقد صرحت بهذا السبب في الرواية الآتية، وهو أمر لا تريد صدوره منها، وكونها مصبية أمر ربما يمنعها من القيام بواجبها تجاه الرسولﷺ، وسوف نتعرض إلى ذلك في محل لاحق إن شاء الله.

وقد ذكرت طريقة أخرى لخطبة الرسولﷺ لها وهي ما رواها الهيثمي حيث قال: وعن أم سلمة عن النبيﷺ انه أتاها فلف رداءه، ووضعه على أسكفة[٢] الباب واتكأ عليه وقال: هل لك يا أم سلمة؟ قالت: إني امرأة شديدة الغيرة، وأخاف أن يبدو إلى رسول اللهﷺ مني ما يكره، فانصرف ثم عاد، فقال: هل لك يا أم سلمة؟ إن كان بك الزيادة في صداقك زدنا، فعادت لقولها، فقالت أم عبد: يا أم سلمة تدرين ما يتحدث به نساء قريش، يقلن: إن أم سلمة إنما ردت محمداً لأنها شابة من قريش أحدث منه سناً وأكثر منه مالاً، قال: فأتت رسول اللهﷺ فتزوجها[٣].

ثم بقي بعد البناء بها ثلاثة أيام كما تشير إليه روايات متعددة منها: ما رواه ابن ماجة في سننه عن أم سلمة: أن رسول اللهﷺ لما تزوج أم سلمة أقام عندها ثلاثا

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الحديث رقم: ٢٥٤٤٨، المستدرك للحاكم ٤: ١٨.

(٢) أسكفة الباب بالضم: عتبته العليا وقد تستعمل في السفلى. عن مجمع البحرين.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩: ٢٤٥.

وقال ليس بك على أهلك هوان، إن شئت سبعت لك وإن سبعت لك سبعت لنسائي[١].

مهرها

هناك من الروايات ما يشير إلى أن مهر نساء النبيﷺ موحد، فلم يختلفن في ذلك، ومن جملة تلك الروايات ما ورد في سنن النسائي وغيره: ثم أن رسول اللهﷺ تزوجها ـ أم حبيبة ـ وهي بأرض الحبشة زوجها إياه النجاشي، وأمهرها أربعة الآف، وجهزها من عنده، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، ولم يبعث إليها رسول اللهﷺ بشيء، وكان مهر نسائه أربعمائة درهم[٢].

وهناك رواية تشير إلى أن مهر أم سلمة أربعمائة دينار وقد سلمها النجاشي ملك الحبشة، وهي ما ورد في البحار حيث قال:

والسابعة: أم سلمة وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب، وقيل: هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة من بني فراس بن غنم، وأسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهي ابنة عم أبي جهل، وروي أن رسول اللهﷺ أرسل إلى أم سلمة أن مري ابنك أن يزوجك، فزوجها ابنها سلمة بن أبي سلمة من رسول اللهﷺ وهو غلام لم يبلغ، وأدى عنه النجاشي صداقها أربعمائة دينار عند العقد[٣].

وأما ابن هشام فقد روى ما نصه: (.. وأصدقها رسول اللهﷺ فراشاً حشوه ليف، وقدحاً)[٤].

وروى الطبراني في معجمه: عن أنس بن مالك أن النبيﷺ تزوج أم سلمه

---

(١) سنن ابن ماجة، رقم الحديث: ١٩٠٧

(٢) المنتقى لابن الجارود ١/ ١٧٩، سنن النسائي ٦/ ١١٩.

(٣) البحار ٢٢: ٢٠٣.

(٤) السيرة النبوية ٤: ٣٠٢.

على متاع قيمته عشرة دراهم[١].

وفي المنتخب من كتاب أزواج النبيﷺ: فخطبها إلى ابنها فقال ما تسوق إليها من الصداق فقال كما أصدقت عائشة صحفة كثيفة وقدحا كثيفا وفراشا[٢].

وتقدمت الرواية القائلة: أما إني لا أنقصك شيئاً مما أعطيت أختك فلانة، رحيين وجرتين ووسادة من أدم حشوها ليف.

وقت الزواج

اختلف المؤرخون في وقت زواجها بالرسولﷺ اختلافاً كبيراً، كما اختلفوا في سنة وفاة زوجها الأول، وقد قدمنا أقرب الاحتمالات في سنة وفاته، وسوف نعرض لاختلافهم هنا في وقت الزواج مع ذكر الاحتمال الراجح من بين الاحتمالات:

القول الأول: ما ورد في تاريخ الطبري وغيره: قال الحارث وحدثني محمد بن سهيل عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال تزوج رسول اللهﷺ بالمدينة قبل وقعة بدر في سنة الثانية من التاريخ أم سلمة[٣]..

القول الثاني: قول ابن كثير وغيره: ودخل بها في شوال سنة اثنتين بعد وقعة بدر[٤]..

القول الثالث: تزوجها رسول اللهﷺ قبل الأحزاب سنة ثلاث[٥].

القول الرابع: قول ابن حجر: تزوجها النبيﷺ سنة أربع على الصحيح، ويقال: سنة ثلاث فإن أبا سلمة شهد أحداً.. وحلّت أم سلمة في شوال سنة أربع، وقد نص

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ٢٤٧، مسند أبي يعلى ٦/١١٥.

(٢) ٢/٤٢.

(٣) تاريخ الطبري ١٠: ٩٦، مستدرك الحاكم ٤: ٢٠.

(٤) البداية والنهاية ٨: ٢٣٤، تهذيب الكمال ٣٥: ٣١٧.

(٥) تاريخ الطبري ٢: ٤١٤.

على ذلك خليفة بن خياط والواقدي..[١].

القول الخامس: ما في الإصابة: فتزوجها النبي ﷺ في جمادى الآخرة سنة أربع، وقيل: سنة ثلاث[٢].

والرأي الذي نقربه هو القول الأول، وذلك لما قدمناه في ترجمة زوجها الأول، من أن روايات زواج الإمام علي عليه السلام بالسيدة فاطمة عليها السلام تدل على أن أم سلمة كانت زوجة للنبي ﷺ حينذاك، وقد تم الزواج في بيتها، وقد تزوج الإمام علي عليه السلام في شهر رمضان من السنة الثانية وبنى بالسيدة فاطمة عليها السلام في ذي الحجة من السنة نفسها على الرأي المشهور، فلابد وأن يكون زواج النبي ﷺ بأم سلمة سابقاً على ذلك[٣].

ومن جملة تلك الروايات ما رواه ابن ماجة في سننه: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا المفضل بن عبد الله عن جابر، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، وأم سلمة، قالتا:أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي، فعمدنا إلى البيت ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا، ثم أطعمنا تمراً وزبيباً، وسقينا ماء عذباً، وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب، ويعلق عليه السقاء، فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة[٤].

ومنها ما ورد في تفسير فرات الكوفي قال ـ علي ـ: فأتيته مسرعاً فإذا هو في حجرة أم سلمة، فلما نظر رسول الله ﷺ تهلل وجهه، وتبسم حتى نظرت إلى أسنانه تبرق، فقال: أبشر يا علي فإن الله قد كفاني ما كان قد أهمني من أمر تزويجك[٥].

---

(١) تهذيب التهذيب ١٢: ٤٨٣.
(٢) الإصابة ٤: ٤٥٨.
(٣) الصحيح من سيرة الرسول ﷺ ٤: ٢٥.
(٤) سنن ابن ماجة، الحديث رقم: ١٩٠١.
(٥) تفسير فرات الكوفي ص ٤١٤.

وقد ورد أيضاً أن زفاف الزهراءعليها السلام كان في حجرة أم سلمة فقد روى في البحار:

.. فالتفت ـ النبيصلى الله عليه وآله ـ إلى النساء فقال: من ههنا؟ فقالت أم سلمة: أنا أم سلمة، وهذه زينب، وهذه فلانة وفلانة، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: هيئوا لابنتي وابن عمي في حجري بيتاً، فقالت أم سلمة: في أي حجرة يا رسول الله؟ فقال رسول الله: في حجرتك، وأمر نساءه أن يزين ويصلحن من شأنها[١].

وقد ورد عن أم سلمة أنها قالت: تزوجني رسول اللهصلى الله عليه وآله وفوّض أمر ابنته إلي، فكنت أؤدبها وكانت والله أأدب مني وأعرف بالأشياء كلها[٢].

والذي يرد القولين الأخيرين بالخصوص ما ورد مما يدل على أن أم سلمة كانت زوجة للنبيصلى الله عليه وآله وقت غزوة أحد:

الأول: ما رواه ابن سعد في الطبقات: يوم خرج الرسولصلى الله عليه وآله إلى أحد[٣]، وقد تقدم.

والمستفاد منه أن أم سلمة كانت زوجة لهصلى الله عليه وآله حينئذ، إذ لو كان أبو سلمة موجوداً لكان المناسب أن يقدمه هو لا زوجته.

الثاني: ورد في أسد الغابة في ترجمة شماس بن عثمان بن الشريد أنه جرح في أحد، فحمل إلى المدينة وبه رمق، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله احملوه: إلى أم سلمة، فحمل إليها فمات عندها، فأمر رسول اللهصلى الله عليه وآله أن يرد إلى أحد فيدفن هناك كما هو في ثيابه التي مات فيها بعد أن مكث يوماً[٤].

وهو يدل على أن أم سلمة كانت زوجة للنبيصلى الله عليه وآله حينئذ.

عمرها حين الزواج

أشارت بعض الروايات التي تحدثت عن زواجها بالرسولصلى الله عليه وآله أنها دخلت في

---

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٩٥.
(٢) بحار الأنوار ٣٩: ١٠.
(٣) الطبقات ٣: ٦٣.
(٤) أسد الغابة ٣: ٣.

السن، وأنها لا ولد فيها، مما يشير إلى كبر سنها حينئذ، وفي قبال هذه النصوص نصوص لم تتعرض إلى عمرها كما في رواية أحمد المتقدمة، أو تعرضت بما يشير إلى أنها لا زالت شابة كما في رواية الهيثمي، وهذا هو الصحيح وذلك:

أولاً: إن وقت زواجها كانت مرضعاً كما في أكثر الروايات التي تحدثت عن الزواج إن لم يكن فيها كلها.

ثانياً: لو لم تكن شابة وفي ريعان شبابها لما كان هناك داع يدعو السيدة عائشة إلى الحزن الكبير الذي استولى على مشاعرها عندما سمعت بخبر خطوبة النبي ﷺ لأم سلمة، كما نقلنا قولها في الفصل السابق، لا سيما وأن سبب الحزن هو ما كانت تسمعه من جمالها، وامرأة دخلت في السن لا ينتظر منها الجمال الذي يؤلم امرأة لا زالت شابة كعائشة.

ثالثاً: لو كانت ـ حين زواجها بالرسول ﷺ ـ كبيرة العمر ودخلت في السن، وأنه لا ولد لها كما في بعض الروايات لكان عمرها ـ حينئذ ـ على أقل تقدير يتراوح بين الخامسة والأربعين والخمسين عاماً، فيكون عمرها حين وفاتها قد تجاوز المائة بخمس سنين إلى إحدى عشرة سنة، وهو مما يلفت نظر الرواة، بينما لم نجد أحداً من المحدثين ولا المؤرخين من تحدث بذلك أو أشار إليه!

رابعاً: حققنا فيما سبق تأريخ ولادتها ووفاتها ومقدار عمرها، ومن ذلك نعرف أن عمرها كان حين الزواج يقترب من التاسعة والعشرين، على القول بأن عمرها امتد إلى التسعين عاماً وهو الأقرب، وأما على القول بأن عمرها حين وفاتها كان أربعاً وثمانين سنة كما في طبقات ابن سعد فيكون عمرها ـ حين زواجها بالرسول ﷺ ـ ثلاثاً وعشرين سنة.

وبهذا يظهر أن الروايات التي ذكرت اعتذارها بأنها دخلت في السن، وانه لا ولد فيها، روايات مدسوس فيها لأمر أراده صاحبه.

وليمة العرس

روى الهيثمي: عن أنس قال: أَوْلَمَ رسول اللهﷺ على أم سلمة بتمر وسمن..[١].

وروى البيهقي في سننه: عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول اللهﷺ لما تزوج أم سلمة رضي الله تعالى عنها أمر بالنطع فبسط، ثم ألقى عليه تمراً وسويقاً، فدعا الناس فأكلوا..[٢].

ليلة الزفاف

ومن طرائف ما يذكر عن ليلة زفافها، مما يدل على حسن تبعلها وحبها لخدمة زوجها، ما نقله أكثر من واحد: (دخلت أيّم العرب على سيد المرسلين أوّل العشاء عروساً، وقامت من آخر الليل تطحن)[٣].

وقد حدثتنا أم سلمة في بعض رواياتها عن مثل ذلك: (..قالت: فوضعت ثفالي[٤]، وأخرجت حبات من شعير كانت في جرّتي، وأخرجت شحماً فعصدته له، ثم بات ..)[٥].

موضع بيتها

كان الرسولﷺ كلما دخل بامرأة بنى لها بيتاً حول مسجده الشريف، فكانت دور أمهات المؤمنين محيطة بالمسجد، ومن خلال النظر إلى الروايات يمكن لنا اكتشاف موقع بيت أم سلمة من بين تلك البيوت، ولنعتمد في ذلك على ثلاث طوائف من الروايات:

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤: ٥٠.
(٢) سنن البيهقي ٧ / ٢٦٠.
(٣) راجع الطبقات لابن سعد ٨: ٧٣.
(٤) الثفال: الابريق، عن اللسان.
(٥) الطبقات ٨: ٧٤، مسند الإمام أحمد الحديث رقم: ٢٥٤٠٣.

الأولى: ما يدل على أن بيتها بجانب بيت السيدة فاطمةعليها السلام.

الثانية: ما دلّ على أن الرسولصلى الله عليه وآله بنى لأزواجه حول مسجده الشريف، كما ذكره أكثر من واحد، منها: ما ذكره ابن كثير: وبني لرسول اللهصلى الله عليه وآله حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء..[1].

الثالثة: ما رواه غير واحد عن علي بن الحسينعليه السلام: أن صفية زوج النبيصلى الله عليه وآله أخبرته: أنها جاءت إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله وهو معتكف في المسجد العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت لتنقلب، فقام معها رسول اللهصلى الله عليه وآله يقلبها، حتى إذا بلغ قريباً من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبيصلى الله عليه وآله مرّ رجلان..[2].

ولا يخفى أن الباب القريب من بيت أم سلمة الذي هو بجانب بيت السيدة فاطمةعليها السلام هو الباب المسمى الآن بباب جبرئيل، ويسمى سابقاً كما يظهر من بعض الروايات بباب البقيع، فيكون بيت أم سلمة في شمال بيت السيدة فاطمةعليها السلام تقريباً.

وهذا الاحتمال أقرب مما ذكره صاحب كتاب (بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف)، فإنه ذهب إلى كون بيت أم سلمة في الجهة الشرقية من بيت السيدة فاطمةعليها السلام، وعبّر بقوله: (ورد بأنه ..) نقلاً عن كتاب المناسك للجاسر[3].

وهذا يعني انه لا يطل على المسجد الشريف كما بيّنه هو أيضاً بالرسم، وهو يتنافى مع الطائفة الثانية، والرواية الثالثة، ولم نجد رواية تصرح بكون بيتها إلى شرق بيت السيدة فاطمةعليها السلام.

ويمكن أن نؤيد كونه مطلاً على المسجد فبالتالي يتأيد ما قربناه بروايتين أخريين:

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٢٠. (٢) سنن البيهقي ٤ / ٣٢١.

(٣) كذا في المصدر: بيوت الصحابة ص ٢٧، ولكن الجاسر محقق الكتاب.

الأولى: ما ورد في توبة أبي لبابة، وسوف نتعرض لها لاحقاً إن شاء الله، ومحل الشاهد منها: (فقال: يا أم سلمة قد تاب الله على أبي لبابة، فقالت: يا رسول الله أفأوذنه بذلك؟ فقال: لتفعلن فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت: يا أبا لبابة ابشر لقد تاب الله عليك).

الثانية: ما ورد في الصحابة وسيأتي التعرض لها أيضاً، ومحل الشاهد أنها لما سمعت قول الرسول صلى الله عليه وآله: أيها الناس! وهي تمتشط قالت لماشطتها أن تتركها، فلفت رأسها وقامت في حجرتها لتسمعه ما يقول صلى الله عليه وآله.

فيظهر من هاتين الروايتين أن بيتها كان مطلاً على المسجد الشريف، والله أعلم بحقيقة الحال.

أسفارها مع الرسول صلى الله عليه وآله

كان الرسول صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يذهب إلى غزوة من الغزوات يقترع لنسائه، فأيتهن خرجت عليها القرعة أخذها معه، وقد كانت القرعة في صالح أم سلمة في مرات متعددة، والغزوات التي حضرتها حسب ما يمكن أن نستخرجه من نصوص المؤرخين هي:

الأولى: غزوة أحد، ويستفاد ذلك مما ذكرناه سابقاً، وقد صرح بذلك خليل جمعه في كتابه (نساء أهل البيت عليهم السلام)[١].

الثانية: غزوة الخندق: فعن أم سلمة قالت ما نسيت قوله يوم الخندق وهو يعاطيهم اللبن قد اغبر شعر صدره وهو يقول:

اللهم إن الخير خير الآخرة * فاغفر للانصار والمهاجرة

رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى[٢].

---

(١) نساء أهل البيت عليهم السلام.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦: ١٣٣.

وقال أيضاً: وعن الزبير بن العوام، أن رسول اللهﷺ خرج إلى الخندق، فجعل نساءه وعمته صفية في أطم يقال له: فارع، وجعل معهم حسان بن ثابت..

الثالثة: غزوة بني المصطلق: عن ابن عمر: .. فلما غزا بني المصطلق أقرع بينهن فأصابت القرعة عائشة أم المؤمنين، وأم سلمة[١].

الرابعة: غزوة خيبر: ورد في تأريخ الطبري: .. أبي يحيى حدثه عن ثبيتة بنت حنظلة الأسلمية عن أمها أم سنان الأسلمية قالت: لما أراد رسول اللهﷺ الخروج إلى خيبر، جئته فقلت: يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا.. إلى قولها: فقال رسول اللهﷺ: أخرجي على بركة الله تعالى، فإن لك صواحب كلمنني فأذنت لهن من قومك، ومن غيرهم، فإن شئت فمع قومك، وإن شئت معنا، قالت: معك، قال: فكوني مع أم سلمة زوجتي، قالت: فكنت معها[٢].

قال الهيثمي: عن أم سلمة وكانت في غزوة خيبر قالت: سمعت وقع السيف في أسنان مرحب، رواه الطبراني ورجاله ثقات[٣].

الخامسة: صلح الحديبية: ورد في تاريخ ابن خلدون وغيره (ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول اللهﷺ أن ينحروا ويحلقوا فتوقفوا، فغضب حتى شكى إلى زوجته أم سلمة..[٤]، وقد نقل إشارتها أكثر أهل التأريخ والسيرة والحديث[٥].

السادسة: جاء في السيرة النبوية: وقال البخاري بسنده عن أبي موسى قال: كنت عند النبيﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال فأتى رسول اللهﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: أبشر، فقال: قد أكثرت علي من أبشر! فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: ردّ البشرى فاقبلا أنتما،

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩: ٢٣٧.
(٢) تاريخ الطبري ١٠: ١١٤.
(٣) مجمع الزوائد: ٦ / ١٥٢.
(٤) تاريخ ابن خلدون ٣: ٣٥، تاريخ الطبري ٢: ٢٨٣، وغيرهما.
(٥) منهم: تفسير ابن كثير ٤: ١٦٩، ٢٠٠، والمصنف لابن أبي شيبة ٧: ٣٨٣، المصنف لعبد الرزاق ٥: ٣٤٠.

ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه، ثم قال: إشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة[١].

السابعة: فتح مكة: جاء في الطبري وغيره: وقد كان أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قد لقيا رسول الله ﷺ بنيق العقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول على رسول الله، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك[٢].

وجاء في شرح نهج البلاغة وهو يحكي قصة الفتح: قال الواقدي: وكانت قبته يومئذ بالأدم ضربت له بالحجون، فأقبل حتى انتهى إليها ومعه أم سلمة وميمونة[٣].

الثامنة: فتح الطائف: قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: .. ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية، فضرب لهما قبتين، ثم صلى بين القبتين[٤].

وقال الطبري: فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل ارتفع فوضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة، ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية، وأخرى معها، قال الواقدي: الأخرى زينب بنت جحش فضرب لهما قبتين فصلى بين القبتين ما أقام[٥].

التاسعة: غزوة تبوك: روى الواقدي بسنده عن عرباض بن سارية قال: كنت ألزم باب رسول الله ﷺ في الحضر والسفر، فرأينا ليلة ونحن بتبوك وذهبنا لحاجة.. فرجعنا إلى منزل رسول الله ﷺ وقد تعشى ومن عنده من أضيافه، ورسول

---

(١) ٣: ٦٨١.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٩، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦: ١٦٥.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٧/ ٢٧٧.

(٤) السيرة النبوية ٤: ٩٢٠.

(٥) تاريخ الطبري ٢: ٣٥٤.

اللهﷺ يريد أن يدخل في قبة ومعه زوجه أم سلمة..[١].

العاشرة: حجة الوداع: وقد حج الرسولﷺ بجميع نسائه في حجة الوداع.

وللتنصيص على أم سلمة قال في أسد الغابة: روى شبيب بن غرقدة، عن جمرة بنت قحافة قالت: كنت مع أم سلمة أم المؤمنين في حجة الوداع..[٢].

مواقف وفضائل

وكان من المناسب أن نستعرض حياتها في بيت الرسولﷺ ومعاملتها لهﷺ ولزوجاته الأخريات أو غيرهن من المسلمات، ولكننا سوف نأتي بذلك في ضمن الفصول القادمة إن شاء الله، فإنها ستأتي على حياتها بالتفصيل من خلال عناوين يحسن أن تكون مستقلة، فرجحنا عدم التكرار، غير أنا سنذكر شيئاً مما جرى لها أو قامت به في حياة الرسولﷺ:

الأول: أنها أول من قامت من نساء النبيﷺ واختارت الله والرسولﷺ حينما خيرهن الرسولﷺ بذلك، والقصة كما يرويها القمي في تفسيره هي: وأما قوله: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾[٣]، فإنه كان سبب نزولها انه لما رجع رسول اللهﷺ من غزاة خيبر، وأصاب كنز آل أبي الحقيق، قلن أزواجه[٤]: أعطنا ما أصبت، فقال لهن رسول اللهﷺ: قسمته بين المسلمين على ما أمر الله، فغضبن من ذلك، وقلن: لعلك ترى أنك إن طلقتنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا، فأنف الله لرسوله، فأمره أن يعتزلهن، فاعتزلهن رسول اللهﷺ في مشربة أم إبراهيم، تسعة وعشرين يوماً،

---

(١) كنز العمال ١٢ : ٤٣٢. (٢) أسد الغابة ٥: ٤١٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٨، ٢٩.

(٤) ويحتمل عدم دخول أم سلمة معهن في ذلك لما عرف من إيمانها الراسخ.

حتى حضن وطهرن، ثم أنزل الله هذه الآية وهي آية التخيير، فقال: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك ـ إلى قوله ـ أجراً عظيماً** ﴾، فقامت أم سلمة وهي أول من قامت وقالت: قد اخترت الله ورسوله، فقمن كلهن فعانقنه، وقلن مثل ذلك، فأنزل الله ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ الآية، قال الصادق عليه السلام: من آوى فقد نكح، ومن أرجى فقد طلق ..[1].

الثاني: جلوس الرسول صلى الله عليه وآله في بيتها شهراً لأمر أغضبه.

فلقد كانت هناك محاولة اغتيال للرسول صلى الله عليه وآله أراد تنفيذها جماعة من المنافقين، وقد ذكرها المؤرخون بين مجمل ومفصل، وتمت المؤامرة حينما أراد الرسول صلى الله عليه وآله الرجوع إلى المدينة، ورموا أمام ناقته صخوراً لتعثر به ويسقط من أعلى الجبل في هوة الوادي السحيق، ولكن الله عزّ وجل أفشل خطتهم وحفظ نبيه صلى الله عليه وآله، وأعلم بعض صحابته ـ وهو حذيفة بن اليمان ـ بهم، ثم تكلم الرسول صلى الله عليه وآله ـ حينما رجع إلى المدينة ـ بكلام يشير فيه إليهم وإلى معرفته بهم وبما أقدموا عليه، وسوف نذكر شيئاً من الرواية مما قبل محل الشاهد ليكون القارئ على بصيرة:

.. ويبتلي من يأتي بعدهم، تفرقة بين الخبيث والطيب، ولو لا أنه سبحانه أمرني بالإعراض عنهم للأمر الذي هو بالغه، لقدمتهم فضربت أعناقهم.

قال حذيفة: فوالله لقد رأينا هؤلاء النفر عند قول رسول الله صلى الله عليه وآله هذه المقالة وقد أخذتهم الرعدة، فما يملك أحد منهم من نفسه شيئاً، ولم يخف على أحد ممن حضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك اليوم، أن رسول الله صلى الله عليه وآله إياهم عنى بقوله، ولهم ضرب تلك الأمثال بما تلا من القرآن.

قال: ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره ذلك، نزل منزل أم سلمة زوجته، فأقام بها شهراً لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه كما كان يفعل قبل ذلك، قال:

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٩٢.

فشكت عايشة وحفصة ذلك إلى أبويهما، فقالا لهما: إنا لنعلم لِمَ صنع ذلك؟ ولأي شيء هو؟ امضيا إليه فلاطفاه في الكلام، وخادعاه عن نفسه، فإنكما تجدانه حيياً كريماً، فلعلكما تسلان ما في قلبه، وتستخرجان سخيمته.

قال: فمضت عايشة وحدها إليه، فأصابته في منزل أم سلمة وعنده علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال لها النبي: ما جاء بك يا حميراء؟

قالت: يا رسول الله! أنكرت تخلفك عن منزلك هذه المرة، وأنا أعوذ بالله من سخطك يا رسول الله.

فقال: لو كان الأمر كما تقولين لما أظهرت سراً أوصيتك بكتمانه، لقد هلكت وأهلكت أمة من الناس.

قال: ثم أمر خادمة أم سلمة فقال: اجمعي هؤلاء يعني نساءه، فجمعتهن في منزل أم سلمة فقال لهن: اسمعن ما أقول لكن وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال لهن: هذا أخي ووصيي ووارثي والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي، فأطعنه فيما يأمركن به ولا تعصينه فتهلكن بمعصيته، ثم قال: يا علي! أوصيك بهن، فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك، وأنفق عليهن من مالك، ومرهن بأمرك، وانههن عما يريبك، وخل سبيلهن إن عصينك.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله! إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي.

فقال: ارفق بهن ما كان الرفق أمثل بهن، فمن عصاك منهن فطلقها طلاقا يبرأ الله ورسوله منها..)[1].

الثالث: إن التوبة نزلت في بيتها على أكثر من صحابي، ومن جملة أولئك توبة أبي لبابة، ومجمل قصته كما يرويها المؤرخون والمفسرون تحت قوله تعالى: **﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله**

---

(١) البحار ٢٨: ١٠٧.

غفور رحيم ﴾[1]: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، وكان رسول الله ﷺ لما حاصر بني قريظة، قالوا له: ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا لبابة ائت حلفاءك ومواليك، فأتاهم.

فقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى؟ ننزل على حكم محمد؟

فقال: انزلوا واعلموا أن حكمه فيكم هو الذبح، وأشار إلى حلقه ثم ندم على ذلك، فقال: خنت الله ورسوله، ونزل من حصنهم ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ، ومرّ إلى المسجد، وشدّ في عنقه حبلاً، ثم شدّه إلى الاسطوانة التي تسمى أسطوانة التوبة، وقال: لا أحلّه حتى أموت أو يتوب الله علي.

فبلغ رسول الله ﷺ، فقال: أما لو أتانا لاستغفرنا الله له، فأما إذا قصد إلى ربه فالله أولى به، وكان أبو لبابة يصوم النهار، ويأكل بالليل ما يمسك به رمقه، فكانت ابنته تأتيه بعشائه، وتحله عند قضاء الحاجة.

فلما كان بعد ذلك ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة نزلت توبته، فقال: يا أم سلمة قد تاب الله على أبي لبابة، فقالت: يا رسول الله أفأوذنه بذلك؟ فقال: لتفعلن فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت: يا أبا لبابة ابشر لقد تاب الله عليك.

فقال: الحمد لله، فوثب المسلمون ليحلوه فقال: لا والله حتى يحلني رسول الله، فجاء رسول الله ﷺ فقال: يا أبا لبابة قد تاب الله عليك توبة لو ولدت من أمك يومك هذا لكفاك.

فقال: يا رسول الله أفأتصدق بمالي كله؟ قال: لا، قال: فبثلثيه؟ قال: لا، قال: فبنصفه؟ قال: لا، قال: فبثلثه؟ قال: نعم، فأنزل الله ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم * خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا أن الله هو**

---

(١) سورة التوبة: ١٠٢.

يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وإن الله هو التواب الرحيم﴾[١].

ومن جملة ذلك ما ورد في تفسير القمي أيضاً: .. وكان مع رسول اللهﷺ بتبوك رجل يقال له المضرب، من كثرة ضرباته التي أصابته ببدر وأحد، فقال له رسول الله: عدّ لي أهل العسكر فعددهم، فقال هم خمسة وعشرون ألف رجل، سوى العبيد والتباع، فقال: عدّ المؤمنين فعددهم، فقال: هم خمسة وعشرون رجلاً، وقد كان تخلف عن رسول اللهﷺ قوم من المنافقين، وقوم من المؤمنين، مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق، منهم كعب بن مالك الشاعر، ومرادة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي (الموافقي).

فلما تاب الله عليهم قال كعب: ما كنت قط أقوى مني في ذلك الوقت الذي خرج رسول اللهﷺ إلى تبوك، وما اجتمعت لي راحلتان قط إلا في ذلك اليوم، وكنت أقول: أخرج غداً، أخرج بعد غد، فإني قوي، وتوانيت وبقيت بعد خروج النبيﷺ أياماً، أدخل السوق فلا أقضي حاجة، فلقيت هلال بن أمية، ومرادة بن الربيع، وقد كانا تخلّفا أيضاً، فتوافقنا أن نبكر إلى السوق، ولم نقض حاجة، فما زلنا نقول: نخرج غداً بعد غد، حتى بلغنا إقبال رسول الله، فندمنا.

فلما وافى رسول اللهﷺ استقبلناه، نهنئه بالسلامة، فسلمنا عليه، فلم يردّ علينا السلام، وأعرض عنا، وسلمنا على إخواننا، فلم يردوا علينا السلام، فبلغ ذلك أهلونا فقطعوا كلامنا، وكنا نحضر المسجد، فلا يسلم علينا أحد ولا يكلمنا، فجئن نساؤنا إلى رسول اللهﷺ فقلن: قد بلغنا سخطك على أزواجنا، فنعتزلهم؟ فقال رسول اللهﷺ: لا تعتزلنهم، ولكن لا يقربوكن.

فلما رأى كعب بن مالك وصاحباه ما قد حلّ بهم قالوا: ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلمنا رسول اللهﷺ، ولا إخواننا، ولا أهلونا! فهلموا نخرج إلى هذا الجبل، فلا

---

(١) تفسير القمي ١: ٣٠٣، الدر المنثور ٣: ٢٧٢، واللفظ للأول.

نزال فيه حتى يتوب الله علينا أو نموت، فخرجوا إلى ذناب ـ جبل بالمدينة ـ فكانوا يصومون، وكان أهلوهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية، ثم يولون عنهم، فلا يكلمونهم.

فبقوا على هذا أياما كثيرة، يبكون بالليل والنهار، ويدعون الله أن يغفر لهم، فلما طال عليهم الأمر قال لهم كعب: يا قوم قد سخط الله علينا، ورسوله قد سخط علينا، وأهلونا وإخواننا قد سخطوا علينا، فلا يكلمنا أحد فلم لا يسخط بعضنا على بعض؟

فتفرقوا في الليل، وحلفوا أن لا يكلم أحد منهم صاحبه حتى يموت أو يتوب الله عليه، فبقوا على هذه ثلاثة أيام، كل واحد منهم في ناحية من الجبل، لا يرى أحد منهم صاحبه، ولا يكلمه، فلما كان في الليلة الثالثة ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة، نزلت توبتهم على رسول الله ﷺ[1].

الرابع: إن الرسول ﷺ كان يقسم لنسائه في بيتها، كما صرحت به عائشة في كلامها لأم سلمة في مكة، حينما أرادت منها أن تخرج معها إلى البصرة فنهتها أم سلمة أشد نهي، فقد روى المجلسي عن أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه: (أن عائشة أتت أم سلمة فقالت لها: أنت أقرب منزلة من رسول الله ﷺ في نسائه، وأول من هاجر معه، وكان رسول الله يبعث إلى بيتك ما يتحف له ثم يقسمه بيننا..)[2].

وفيه عن الاختصاص: بسنده عن أبي كبسة ويزيد بن رومان قالا: (لما اجتمعت عائشة على الخروج إلى البصرة، أتت أم سلمة رضي الله عنها وكانت بمكة فقالت: يا ابنة أبي أمية! كنت كبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ يقمؤ في بيتك،

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٩٦، الدر المنثور ٣: ٢٧٤، واللفظ للأول.

(٢) بحار الأنوار ٢٩: ١٦٧.

وكان يقسم لنا في بيتك، وكان ينزل الوحي في بيتك)[١].

وفيه أيضاً: قال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: (يا بنت أبي أمية! أنت أول مهاجرة من أزواج رسول اللهﷺ، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول اللهﷺ يقسم لنا من بيتك، وكان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك)[٢].

وسيأتي تفصيل ذلك في فصل لاحق إن شاء الله.

الخامس: نزول القرآن في بيتها، وتقدم تصريح عائشة بذلك، ومن ذلك الروايات الكثيرة التي دلّت على نزول آية التطهير في بيتها، وسيأتي البحث حول الآية الكريمة مفصلاً.

ويحسن أن نذكر موقفها في آخر أيام الرسولﷺ في محضره الشريف وهو على فراش المرض، وهو من مواقفها التي تشهد لها بمعرفتها لإشارات الرسولﷺ وقوة صلتها به، فقد حدثنا المجلسي في بحاره وهو يقص علينا حوادث ما قبل وفاة الرسولﷺ، إلى أن قال:

.. فلما كان من الغد حجب الناس عنه، وثقل في مرضه، وكان أمير المؤمنينعليه السلام لا يفارقه إلا لضرورة، فقام في بعض شؤنه، فأفاق رسول اللهﷺ إفاقة، فافتقد علياًعليه السلام، فقال وأزواجه حوله: ادعوا لي أخي وصاحبي، وعاوده الضعف فأصمت، فقالت عائشة: ادعوا له أبا بكر فدعي، ودخل عليه وقعد عند رأسه، فلما فتح عينه نظر إليه فأعرض عنه بوجهه، فقال أبو بكر: لو كان له إلي حاجة لأفضى بها إلي.

فلما خرج أعاد رسول اللهﷺ القول ثانية وقال: أدعوا لي أخي وصاحبي، فقالت حفصة: ادعوا له عمر فدعي ، فلما حضر ورآه رسول اللهﷺ أعرض عنه فانصرف، ثم قال: ادعوا لي أخي وصاحبي، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: ادعوا

---

(١) بحار الأنوار ٢٩: ١٦٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٩: ١٦٩.

له علياًعليه السلام فإنه لا يريد غيره، فدعي أمير المؤمنينعليه السلام، فلما دنا منه أومأ إليه فأكب عليه، فناجاه رسول اللهصلى الله عليه وآله طويلاً ..[١].

وما ينبغي ذكره هنا أيضاً، ما حدثنا به المجلسي عن ما جرى في آخر حياة الرسولصلى الله عليه وآله فقال: ..ثم قام رسول اللهصلى الله عليه وآله فدخل بيت أم سلمة وهو يقول: رب سلّم أمة محمد من النار، ويسر عليهم الحساب.

فقالت أم سلمة: يا رسول الله! مالي أراك مغموماً متغير اللون؟

فقال: نعيت إلي نفسي هذه الساعة، فسلام لك في الدنيا، فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمد أبداً.

فقالت أم سلمة: واحزناه حزناً لا تدركه الندامة عليك يا محمداه، ثم قالعليه السلام: ادع لي حبيبة قلبي، وقرة عيني فاطمة تجيئني، فجاءت فاطمةعليها السلام وهي تقول: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء يا أبتاه..[٢].

وكان لاتصال أم سلمة الوثيق بالنبيصلى الله عليه وآله ومنزلتها عنده، أن أمرها بالوقوف على باب الدار ومنع من يريد الدخول عليه، وهو في آخر ساعاته من الدنيا، ويريد أن يختلي بأهل بيتهعليهم السلام ويتحدث معهم وحدهم بما يريد من الأسرار، فقد جاء في الرواية ما نصه:

وبالإسناد المتقدم عن عيسى الضرير عن الكاظمعليه السلام قال: قلت لأبي: فما كان بعد خروج الملائكة عن رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ قال: فقال: ثم دعا علياً وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام، وقال لمن في بيته: أخرجوا عني، وقال لام سلمة: كوني على الباب فلا يقربه أحد ففعلت، ثم قال: يا علي أدن مني، فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلاً، وأخذ بيد علي بيده الأخرى، فلما أراد رسول اللهصلى الله عليه وآله الكلام غلبته عبرته فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمة بكاء شديداً وعلي والحسن

---

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٤٦٩.
(٢) بحار الأنوار ٢٢: ٥٠٩.

والحسين عليهما السلام لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت فاطمة: يا رسول الله قد قطعت قلبي وأحرقت كبدي لبكائك يا سيد النبيين من الأولين والآخرين، ويا أمين ربه ورسوله، ويا حبيبه ونبيه، من لولدي بعدك؟ ولذل ينزل بي بعدك؟ من لعلي أخيك وناصر الدين؟ من لوحي الله وأمره؟ ثم بكت وأكبت على وجهه فقبلته، وأكب عليه علي والحسن والحسين صلوات الله عليهم.

فرفع رأسه صلى الله عليه وآله إليهم ويدها في يده فوضعها في يد علي وقال له: يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله محمد عندك فاحفظ الله واحفظني فيها، وإنك لفاعله يا علي، هذه والله سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين، هذه والله مريم الكبرى، أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم فأعطاني ما سألته.

يا علي انفذ لما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل عليه السلام، واعلم يا علي إني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم إني منهم بريئ وهم مني برآء، ثم سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وضم فاطمة إليه وعليا والحسن والحسين عليهما السلام وقال: اللهم إني لهم ولمن شايعهم سلم، وزعيم بأنهم يدخلون الجنة، وعدو وحرب لمن عاداهم وظلمهم وتقدمهم أو تأخر عنهم وعن شيعتهم، زعيم بأنهم يدخلون النار، ثم والله يا فاطمة لا أرضى حتى ترضي، ثم لا والله لا أرضى حتى ترضي، ثم لا والله لا أرضى حتى ترضي[1].

ونقلنا الرواية بما يزيد عن محل الشاهد لشرفها، ولما تحمله من مضامين عالية.

---

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٤٨٤.

المرحلة الثالثة: من وفاة الرسولﷺ إلى وفاتها.

توفي الرسولﷺ في شهر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة، فوقع الخطب الجلل الذي هزّ كيان الأمة الإسلامية من الجذور، فلقد مات العمد ووهن العضد وفقد المسلمون زعيمهم الروحي، وانقطع بموته الوحي، وحدثت أمور صعبة، وانقلب وجه المجن في وجه المسيرة الإسلامية.

وقبض الرسولﷺ وهو في حجر الإمام عليعليه السلام كما حدثت به أم سلمة حيث قالت:

والذي أحلف به: أن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول اللهﷺ، عدنا رسول اللهﷺ غداة وهو يقول: جاء علي؟ جاء علي؟ مراراً، فقالت فاطمة رضى الله عنها: كأنك بعثته في حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت: أم سلمة فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول اللهﷺ وجعل يسارّه ويناجيه، ثم قبض رسول اللهﷺ من يومه ذلك فكان علي أقرب الناس عهدا[١].

وقد رثته أم المؤمنين أم سلمة بأبيات سيأتي ذكرها عند الحديث عن أدبها وبلاغتها، وقد حدّثت أم سلمة (رض) ببعض ما يتصل بوفاة الرسولﷺ مما يتصل بها فقالت:

وضعت يدي على صدر رسول اللهﷺ يوم مات، فمر بي جمع آكل وأتوضأ ما تذهب ريح المسك من يدي[٢].

وبهذا ختمت آخر عمل لها مع الرسولﷺ.

---

(١) المستدرك للحاكم: ج ٣ ص ١٣٨، وورد في مسند أحمد: ج ٦، ص ٣٠٠، كنز العمال: ج ١٣ ص، ذخائر العقبى: ص ٧٢، الخصائص للنسائي، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢، البداية والنهاية: ج ٧ ص ٣٩٧، أخبار أصفهان: ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) البحار ٢٢: ٥٠٩، البداية والنهاية ٥: ٢٦١.

مواقف مشرفة

وكان لأم سلمة أدوار بارزة في هذه الفترة من حياتها، وسيأتي التعرض لبعض تلك الأدوار في أبحاث قادمة مما يناسب العناوين الآتية، ولكنا نشير إلى بعضها هنا:

١ـ دورها في قضية السقيفة.

٢ـ طلب أبي بكر الكتاب الذي أعطاها أياه الرسولﷺ وأمرها أن تعطيه من يصعد منبره من بعده إذا جاءها بآية كانت بينهما، فجاءها أبو بكر فلم تعطه إياه، وهكذا صنعت مع عمر وعثمان، والرواية كما جاءت في البصائر:

حدثنا أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عمرو، عن الأعمش قال: قال الكلبي: يا أعمش! أي شيء أشد ما سمعت من مناقب عليعليه السلام؟

قال: فقال: حدثني موسى بن ظريف، عن عباية قال: سمعت علياًعليه السلام وهو يقول: أنا قسيم النار، فمن تبعني فهو مني، ومن عصاني فهو من أهل النار.

فقال الكلبي: عندي أعظم مما عندك، أعطى رسول اللهﷺ علياًعليه السلام كتاباً فيه أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار، فوضعه عند أم سلمة فلما ولي أبو بكر طلبه، فقالت: ليس لك، فلما ولي عمر طلبه، فقالت: ليس لك، فلما ولي عثمان طلبه، فقالت: ليس لك، فلما ولي عليعليه السلام دفعته إليه[1].

٣ـ وقفت أمام عثمان في بعض القضايا التي قام بها، وأدخلت عماراً في بيتها حينما ضربه عثمان أو من كان من قبله، وجلس في بيتها للعلاج لمدة شهر، وإليك الرواية بالتفصيل كما جاء في كتاب الإمامة والسياسة:

قال : وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه، وما كان من

---

(١) بصائر الدرجات ص ١٩١.

هبته خمس أفريقية لمروان، وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة: داراً لنائلة، وداراً لعائشة، وغيرهما من أهله وبناته.

وبنيان مروان القصور بذي خشب، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية، أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول، ولا تجربة لهم بالأمور.

وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة، إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات، ثم قال لهم: إن شئتم أزيدكم صلاة زدتكم، وتعطيله إقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه، وتركه المهاجرين والأنصار، لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام، ثم لا يغزون ولا يذبون، وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس، وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران.

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان ـ والكتاب في يد عمار ـ جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أمية، فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له:

أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: ومن كان معك؟ قال: كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك، قال: من هم؟ قال: لا أخبرك بهم. قال: فلم اجترأت علي من بينهم؟!

فقال مروان: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود (يعني عماراً) قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه.

قال عثمان: اضربوه.

فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه، فجروه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام فأدخل منزلها، وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلاً عظيماً من بني أمية.

قال عثمان: لست هناك.

قال: ثم خرج عثمان إلى المسجد فإذا هو بعلي وهو شاك معصوب الرأس، فقال له عثمان: والله يا أبا الحسن ما أدري: أشتهي موتك أم أشتهي حياتك، فوالله لئن مت ما أحب أن أبقى بعدك لغيركُ لأني لا أجد منك خلفاً، ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتخذك سلماً وعضداً، ويعدك كهفاً وملجأ، لا يمنعني منه إلا مكانه منك ومكانك منه، فأنا منك كالابن العاق من أبيه: إن مات فجعه وإن عاش عقه، فإما سلم فنسالم، وإما حرب فنحارب فلا تجعلني بين السماء والأرض، فإنك والله إن قتلتني لا تجد مني خلفاً، ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً، ولن يلي أمر هذه الأمة بادئ فتنة.

فقال علي: إن فيما تكلمت به لجواباً ولكني عن جوابك مشغول بوجعي، فأنا أقول كما قال العبد الصالح: ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾[1].

قال مروان: إنا والله إذاً لنكسرن رماحنا، ولنقطعن سيوفنا، ولا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا.

---

(١) سورة يوسف: ١٨.

فقال له عثمان: أسكت ما أنت وهذا، فقام إليه رجل من المهاجرين..[١].

وفي رواية البلاذري في أنساب الأشراف: بالإسناد من طريق أبي مخنف قال: كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حلي وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه، فخطب فقال: لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام، فقال له علي: إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه.

وقال عمار بن ياسر: أشهد الله إن أنفي أول راغم من ذلك.

فقال عثمان: أعلي يا ابن المتكاء[٢] تجترئ؟! خذوه، فأخذ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غشي عليه، ثم أخرج فحمل حتى أتي به منزل أم سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى وقال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أوذينا فيه في الله.

وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمار حليفاً لبني مخزوم، فقال: يا عثمان أما علي فاتقيته وبني أبيه، وأما نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، أما والله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم السرة، فقال عثمان: وانك لهاهنا يا ابن القسرية؟ قال: فإنهما قسريتان ـ وكانت أمه وجدته قسريتين من بجيلة ـ فشتمه عثمان وأمر به فأخرج، فأتى أم سلمة فإذا هي قد غضبت لعمار، وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد! فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول فالتج المسجد[٣] وقال الناس: سبحان الله! سبحان الله! وكان عمرو بن

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٠.

(٢) المتكاء: البظراء، المفضاة التي لا تمسك بولها، العظيمة البطن.

(٣) التجت الأصوات: ارتفعت فاختلطت.

العاص واجداً على عثمان لعزله إياه عن مصر وتوليته إياها عبد الله بن سعد بن أبي سرح فجعل يكثر التعجب والتسبيح.

وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومن مشى معه من بني مخزوم إلى أم سلمة وغضبها لعمار فأرسل إليها: ما هذا الجمع؟ فأرسلت إليه دع ذا عنك يا عثمان، ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون.

واستقبح الناس فعله بعمار وشاع فيهم فاشتد إنكارهم له[١].

٤ـ وقوفها أمام طلحة والزبير وعائشة، ونصحها لهما ولها بعدم الخروج على الإمام علي عليه السلام، وتذكيرها لها بما قاله النبي صلى الله عليه وآله حينما خاطب بعض نسائه بقوله صلى الله عليه وآله: (أيتكن تنبحها كلاب الحوأب)، وسيأتي الكلام فيه إن شاء الله.

٥ـ ردها على معاوية عندما كان يسب الإمام علياً عليه السلام ويأمر بسبه.

٦ـ كانت ممن يرجع إليها في المسائل الشرعية، وكانت تصحح بعض ما يروى على خلاف الواقع.

فمجمل حياتها في هذه الفترة أنها كانت ممن يشار إليها بالبنان في الوجاهة والعلم وحصافة الرأي، ولم تكن خاملة الذكر ولا مجهولة الحال، فأصبحت مرجعاً لكثير من الناس في كثير من القضايا.

* * * *

---

(١) الغدير ٩: ٢٨، عن أنساب الأشراف ٦: ١٦١.



الفصل الثالث

مميزات شخصيتها

لم تكن أم المؤمنين أم سلمة (رض) امرأة كسائر النساء، فإنها المرأة المميزة في صفاتها ومؤهلاتها، الجسدية والروحية والنفسية، وقد أضافت إلى صفاتها التي منحها الله عزّ وجل إياها صفات اكتسبتها من هدي القرآن وإرشاد الرسولﷺ، فأثرت في مسيرتها الحياتية والاجتماعية، فكانت المثل الأعلى للمؤمنات، والقدوة الحسنة للنساء، فلا تنطلق حينما تنطلق إلا والحق رائدها، ولا تقف حينما تقف إلا والدين شعارها، وكانت المخلصة لزوجها الرسولﷺ ولمن وجب عليها اتباعه بعد حياتهﷺ.

فدراسة مثل هذه الشخصية اللامعة تستوقف الكاتب والباحث في كثير من نقاط حياتها، ومحطات مسيرتها المتعددة، فليس عليه إلا أن يمضي قدماً للبحث في اكتشاف الأغوار البعيدة، ومدى النظرة الصائبة.

وسوف نبحث جوانب شخصيتها المتعددة في ضمن عناوين:

الأول: المميزات العقلية

جاء في الرواية أن العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان[1]، ومثل هذا الحديث ينطبق على أم سلمة (رض) بما لهذه الكلمة من معنى، فإنها المرأة الصالحة التي جاهدت في الله لنيل مرضاته ومرضاة رسولهﷺ، وأدّت الخدمات الجليلة للإسلام والمسلمين، ووقفت المواقف الشجاعة والناصحة لترفع راية

---

(١) الكافي ١ / ١١.

الحق في كثير من المواقع التي شهدتها، فكانت لها فيها الكلمة المؤثرة، والنصيحة البالغة، والحجة الواضحة.

وعندما نريد أن نكتشف أو نعرف عقل أحد على ضوء هذه المقالة لابد أن ننظر إلى مواقفه وأهدافه، وكيف كان يتعامل مع الموقف، وما هو غرضه من الهدف، وهل أحسن التصرف لنيل ما يريد؟ أو أخطأ التوفيق لما يصبو إليه؟ وهل استطاع بكلمته أو فعله أن يؤدي الحكمة حسب ما يريدها الله والعقل؟ وهل كانت الحنكة إلى جانبه وهو يخوض غمار التجربة أو لا؟

كل هذا لابد أن نضعه في ميزان معرفة الشخصية الإسلامية العاقلة، وإلا فكثير من أعمال من يوصف بالعقل ورجاحة التفكير وحسن التدبير ما هو إلا دهاء ومكر، وحيلة وخديعة، وما أبعد ذلك عن مسار العقل الذي يدعو إلى الخير والرشد دائماً وأبداً، وربما تحصل هذه الأمور ممن لا عقل له بوحي من الشيطان وجنوده.

وقبل أن ندخل مع أم سلمة (رض) في مواقفها نذكر ما قاله المؤرخون عن هذا الجانب من شخصيتها:

قال: العسقلاني: وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب، وإشارتها على النبيﷺ يوم الحديبية تدل على وفور عقلها، وصواب رأيها[1].

وقال في فتح الباري ـ بعد حديث السؤال عن الركعتين بعد صلاة العصر ـ: (وفيه دلالة على فطنة أم سلمة، وحسن تأتيها، بملاطفة سؤالها، واهتمامها بأمر الدين، وكأنها لم تباشر السؤال لحال النسوة اللاتي كن عندها فيؤخذ منه إكرام الضيف واحترامه)[2].

---

(١) الإصابة ٤: ٤٥٩.

(٢) فتح الباري ٣: ١٠٧.

وقال أيضاً في دلالة حديث مشورتها بعد صلح الحديبية إن من جملتها: (وفضل أم سلمة، ووفور عقلها، حتى قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة، كذا قال، وقد استدرك بعضهم عليه بنت شعيب في أمر موسى)[١].

وقال: صاحب كتاب نساء أهل البيت: هند بنت أبي أمية اشتهرت بحصافة الرأي، تسعى لمرضاة الله ورسوله دائما[٢].

وقال كحالة: هند بنت أبي أمية ـ أم سلمة ـ مهاجرة جليلة ذات رأي وعقل وكمال وجمال[٣].

وقالت: الدكتورة بنت الشاطئ وهي تتحدث عن زواج أم سلمة (رض) بالرسول ﷺ: وأحدث دخولها ضجة في دور نساء النبي ﷺ، وأشاع قلقاً في الزوجتين الشابتين، عائشة وحفصة، ابنتي أبي بكر وعمر.

إنها ضرة جديدة عزيزة، عريقة المنبت، ذات جمال وإباء وفطنة، تزفها إلى بيت النبي ﷺ أمجاد طوال عراض[٤].

وأردنا نقل عبارتها بما يخص محل حاجتنا، ولا يعني هذا أننا نتفق معها في جعل حفصة ضرة لها حينئذ، فإن التحقيق التأريخي يوصلنا إلى أن حفصة ـ حين زواج أم سلمة ـ لم تكن بعدُ زوجة للنبي ﷺ، والذي يظهر أن حفصة كانت على وئام تام مع عائشة قبل زواجها بالرسول ﷺ، ولهذا أخبرتها عائشة عما جاش في صدرها من الحزن حينما علمت بخطوبة النبي ﷺ لأم سلمة وهي التي اشتهرت بالجمال البارع، فهونت عليها صديقتها بعض حزنها، وقد تعرضنا لذلك في فصل سابق، ولعل هذا الموقف من الضرتين هو الذي دعا الدكتورة بنت الشاطئ أن

---

(١) فتح الباري ٥: ٣٤٧.

(٢) نساء أهل البيت لخليل جمعة ١ : ٢٢٣.

(٣) أعلام النساء ٥ : ٢٢١.

(٤) نساء النبي ص ١٣٨.

تحكم بزوجية حفصة قبل أم سلمة.

والآن إلى ما يدل على وفور عقلها:

الموقف الأول: استيعابها لقصة المسلمين في الحبشة، وما جرى عليهم من أول أمرهم حتى رجعوا مرفوعي الرأس، فقد تقدمت القصة بحكايتها مع ذكرها لحوادث القضية بالتفصيل الدقيق، وهي لم تكن في ذلك الوقت إلا فتاة لم تدخل العشرين من عمرها، مما يدل على نباهتها ومتابعتها لما يهم قضيتهم التي هاجروا من أجلها إلى بلاد الحبشة.

الموقف الثاني: ما أشارت به على الرسولﷺ يوم الحديبية، وقد استشهد بذلك المؤرخون على رجحان عقلها، وملخص ما حصل أن الرسولﷺ لما وافق على الصلح مع قريش أنكر عليه بعض أصحابه، ولما تم إبرام عقد الصلح أمر أصحابه ليحلقوا وينحروا ويحلوا من إحرامهم فامتنعوا، فاغتم رسول اللهﷺ من ذلك، وشكا ذلك إلى أم سلمة، فقالت: يا رسول الله انحر أنت واحلق، فنحر رسول الله وحلق، ونحر القوم على حيث يقين وشك وارتياب..[١].

ويتجلى في هذا الموقف مدى إيمانها وتسليمها للرسولﷺ، واتزانها في الموقف الذي نكص فيه الرجال وزلزلوا زلزالا شديدا، فيدل بالنتيجة على إدراكها العميق، وعقلها البعيد الغور.

الموقف الثالث: أسلوبها في التوسط لأخيها عندما جاء ليسلم، فامتنع

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣٠٩، وغيره من كتب التاريخ والحديث وأشرنا سابقاً إلى بعضها، ومن جملة الكتب المصنف لابن أبي شيبة ٧ / ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٨٩، ٥٥٨. وذكر عدة روايات في ذلك، ومنها تفسير الطبري ٢٦ / ١٠٠، فقد روى:

قال عمر بن الخطاب والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ فأتيت النبي فقلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟! قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: ألست تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، قال: فأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومتطوف به.

الرسولﷺ من قبول إسلامهٌ لما صدر منه تجاههﷺ في مكة المكرمة من التكذيب اللاذع، فقد روى المحدثون والمفسرون ذلك، وها نحن نورد ما أورده القمي في تفسيره:

قوله: ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً** ﴾[١] فإنها نزلت في عبد الله بن أبي أمية أخي أم سلمة رحمة الله عليها، وذلك انه قال هذا لرسول الله بمكة قبل الهجرة.

فلما خرج رسول اللهﷺ إلى فتح مكة استقبله عبد الله بن أبي أمية، فسلم على رسول اللهﷺ فلم يردﷺ فأعرض عنه، ولم يجبه بشيء.

وكانت أخته أم سلمة مع رسول اللهﷺ فدخل إليها فقال: يا أختي! إن رسول اللهﷺ قد قبل إسلام الناس كلهم وردَّ عليَّ إسلامي، فليس يقبلني كما قبل غيره.

فلما دخل رسول اللهﷺ قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! سعد بك جميع الناس إلا أخي من بين قريش والعرب؟! رددت إسلامه وقبلت إسلام الناس كلهم إلا أخي فقال: رسول اللهﷺ: يا أم سلمة! إن أخاك كذبني تكذيباً لم يكذبني أحد من الناس، هو الذي قال: ﴿ **لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً * أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه** ﴾[٢].

قالت: أم سلمة: بأبي أنت وأمي يا رسول اللهﷺ ألم تقل إن الإسلام يجب ما قبله؟

قال: نعم، فقبل رسول اللهﷺ إسلامه[٣].

---

(١) الإسراء: ٩٠. (٢) الاسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

(٣) تفسير القمي ٢: ٢٦.

الموقف الرابع: أسلوب اعتذارها عن الزواج بالنبيﷺ، فإنها اعتذرت بأنها ذات أطفال، والأطفال من شأنهم أن يشغلوا أمهم، فتخشى أن يشغلوها عن النبيﷺ، فلا تؤدي له حقه المطلوب، واعتذرت أيضاً بأنها امرأة غيرى والرسولﷺ صاحب زوجات فتخشى أن يظهر عليها ـ بسبب الغيرة ـ ما يسئ إلى النبيﷺ فيحبط عملها، فمثل هذا الاعتذار من امرأة شابة، خطبها أعظم مخلوق على وجه الأرض، يدل على وفور عقلها، وحسن تفكيرها، وأنها لا تقدم العاطفة على العقل.

الموقف الخامس: مع عائشة في مكة.

وسوف نأتي بكلامها معها بالتفصيل في أحد الفصول المقبلة إن شاء الله، وملخص ما جرى لها معها في مكة المكرمة: إن عائشة حينما أرادت الخروج إلى البصرة لإعلان الحرب ضدّ الإمام عليعليه السلام جاءت لتستعين بأم سلمة، وتسألها الخروج معها بحجة إصلاح أمر الأمة، وقد أغدقت عليها عائشة صفات المدح، وجمل الثناء، وأعطتها أوسمة كبيرة توجب استرخاء الأعصاب، فقالت: لها أم سلمة: لأمر ما قلت: هذه المقالة، فعرضت عليها الخروج معها فأبت عليها ذلك ومنعتها هي الأخرى أيضاً، وذكرتها بقضايا حصلت بين الرسولﷺ وبين الإمام عليعليه السلام، بمسمع ومرأى من عائشة نفسها، تدل على فضله وتقدمه وعدم جواز الخروج عليه، ومن بينها قضية نباح كلاب الحوأب، وكادت أن ترجع عائشة عما أقدمت عليه لولا ابن أختها عبد الله بن الزبير، ثم حصل من أمرها ما سيأتي.

وفي هذا الموقف يتجلى عقل المرأة المؤمنة واتزانها في موقفها.

الموقف السادس: مع طلحة والزبير.

وهو شبيه بالموقف السابق مع عائشة، فإنهما جاءا لها في مكة أيضاً، وأرادا منها الخروج معهما، فأبت عليهما، ومنعتهما ـ هما الآخرين ـ عن المسير، فلم ينصاعا لها ولم تنخدع في دينها ولا في عقلها، فكانت المرأة العاقلة في الظروف الحرجة.

الموقف السابع: موقفها مع عثمان وهي تعظه، وسيأتي في بحث لاحق.

الموقف الثامن: مع جابر حينما هجم بن أرطاة على مدينة الرسول ﷺ.

وقضيتها معه كما يرويها ابن كثير: في حوادث سنة أربعين من الهجرة.

قال: ابن جرير: فمما كان في هذه السنة من الأمور الجلية، توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة قال: أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أبي أرطاة، وهو رجل من بني عامر بن لؤي، في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة، وعامل علي عليها يومئذ أبو أيوب، ففر منهم أبو أيوب فأتى علياً بالكوفة.

ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد، فصعد منبرها فنادى على المنبر: يا دينار ويا نجار ويا زريق! شيخي شيخي عهدي به ها هنا بالأمس، فأين هو؟ يعني عثمان بن عفان، ثم قال:

يا أهل المدينة! والله لولا ما عهد إلي معاوية ما تركت بها محتلماً إلا قتلته، ثم بايع أهل المدينة، وأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي من أمان، ولا مبايعة، حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، يعني حتى يبايعه.

فانطلق جابر إلى أم سلمة فقال: لها: ماذا ترين؟ إني خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلالة.

فقالت: أرى أن تبايع، فإني قد أمرت ابني عمر، وختني عبد الله بن زمعة ـ وهو زوج ابنتها زينب ـ أن يبايعا، فأتاه جابر فبايعه.

قال: وهدم بسر دورا بالمدينة ثم مضى..[1].

وأضاف في تاريخ اليعقوبي هذه الجملة: فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري إلى أم سلمة زوج النبي فقال: إني قد خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلال.

---

(١) البداية والنهاية ٧: ٣٥٦.

قالت: إذاً فبايع فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم.[١]

وفيها دلالة واضحة على عقلها وحسن مشورتها، وسيرها في الطريق الذي رسمه المشرع الكريم حيث أمرت جابرﷺ بالعمل بالتقية ليحقن بها دمه، وإن كانت البيعة بيعة ضلال كما يراها هو، وأقرته على ذلك أم سلمة (رض) أيضاً، وهي كذلك في الواقع.

بل في فزع الصحابي الجليل إليها دلالة على مقام شامخ وفضل باذخ من جهات عدة.

وفي مثل هذا الموقف وغيره من المواقف التي قام بها المسلمون من صحابة وتابعين، وعلماء آخرين، من شيعة وسنة، يتبين أحقية ما عليه مذهب الشيعة الإمامية أعزّهم الله من القول بالتقية والعمل بها، فإن المتتبع لحوادث التاريخ يرى المسلمين، وكل ذي عقل وشعور يعملون بالتقية، حينما تصطلم أحدهم البلية، ويقع في مأزق الظلم والعدوان، ليحفظ بذلك نفسه وعرضه.

وننهي بهذا الموقف هذا العنوان لندخل في عنوان آخر من عناوين شخصيتها.

الثاني: المميزات الروحية

للروح صفات تغاير صفات الجسد، فربما ترقى بالإنسان إلى أوج العظمة وتجعله أقرب إلى الله من بعض ملائكته، وقد تحط به إلى أنزل مستوى من الحيوان، والمميزات الروحية التي تحلت بها أم المؤمنين أم سلمة (رض) من القسم الأول، ولعل التنصيص على مثل هذا الأمر يعتبر من نافلة القول، فهي المرأة التي آمنت بالله سبحانه وتعالى ورسولهﷺ فأخلصت إيمانها، واستغرقت في الله

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٧.

في أدعيتها وعبادتها، فإن من يستقرأ مراحل حياة أم سلمة من حين إسلامها وإلى يوم وفاتها يجدها كلها عناوين ناصعة البياض، تدل على عمق إيمانها وإخلاصها مع ربها ونبيها وإمامها، فهي المرأة التي آمنت بالرسولﷺ مبكراً وأكثر الناس كافرون، مشركون، مع أنها من أسرة أغرقت في الشرك والعداوة للنبي محمدﷺ، فتحملت جرّاء ذلك ـ وهي الفتاة الشابة ـ جشوبة العيش، والغربة عن الأهل والوطن، كل ذلك لتحافظ على إيمانها وعقيدتها.

وقد بلغت من إيمانها أنها رأت جبرئيلعليه السلام، وليس للمؤمن العادي أن يراه فضلاً عن غيره، فلا يراه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان، فهذا البيهقي يحدثنا ويقول: وثبت أن جبرئيلعليه السلام أتى النبيﷺ وعنده أم سلمة، قال فجعل يتحدث ثم قام، فقال نبي اللهﷺ لأم سلمة: من هذا؟ قالت: دحية الكلبي، ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبيﷺ بخبر جبرئيل[1].

وقد رآها النبيﷺ أنها من أهل الجنة[2]، ورؤياهﷺ وحي منزل كما في الآية الشريفة: ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم** ﴾[3].

فلا أراني ـ والحالة هذه ـ بحاجة إلى أن أدلل على هذا الجانب من شخصيتها، ويكفي أن نذكر هنا أمرين كمظهر من مظاهر روحها الإيمانية:

الأمر الأول: ما ورد من طريقها من الأدعية.

هناك مجموعة من الأدعية قد روتها عن الرسولﷺ وهي:

١ـ قال: عن عبد الله بن سيار عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: كان رسول اللهﷺ في بيت أم سلمة في ليلتها ففقدته من الفراش فدخلها من ذلك ما يدخل النساء

---

(١) دلائل النبوة ٧: ٦٨، وإرشاد الساري للقسطلاني ٧: ٤٤٣، شرح صحيح مسلم للنووي ٩: ٣٣٨.
(٢) إرشاد الساري ١٠: ١٤٩.　　　　(٣) سورة الشورى: ٥١.

فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي وهو يقول: (اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً، اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً، اللهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً، اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً).

قال: فانصرفت أم سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله ﷺ لبكائها فقال: لها: ما يبكيك يا أم سلمة؟ فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ولم لا أبكي؟! وأنت بالمكان الذي أنت به من الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر تسأله أن لا يشمت بك عدواً أبداً، ولا حاسداً، وأن لا يردك في سوء استنقذك منه أبداً، وأن لا ينزع عنك صالح ما أعطاك أبداً، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً، فقال: يا أم سلمة وما يؤمنني؟ وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين فكان منه ما كان[1].

٢ـ السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ الآية.. عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ثم قرأ: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا الآية.

عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. قلت: يا رسول الله! وإن القلوب لتتقلب؟! قال: نعم ما من خلق الله من بشر من بني آدم إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فإن شاء الله أقامه وان شاء أزاغه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. قلت: يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟

قال: بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي، واذهب غيظ قلبي

(١) تفسير القمي ٢: ٧٤.

وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني[١].

ولا حاجة للقول بأن المراد من: (بين إصبعين) ليس على ظاهره للزومه التجسيم المحال على الله سبحانه وتعالى، وتحقيق ذلك في محله.

٣ـ وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن أم سلمة، عن النبيﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل، ومن عذاب النار، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الغنى ومن فتنة الفقر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم[٢].

٤ـ وفي البحار: وعن أم سلمة قالت: كان رسول اللهﷺ بآخره لا يقوم ولا يقعد ولا يجيئ ولا يذهب إلا قال: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه فسألناه عن ذلك؟ فقال: إني أمرت بها ثم قرأ: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[٣].

٥ـ عن أم سلمة إن النبيﷺ كان اذا خرج من بيته قال: بسم الله، رب أعوذ بك من أن أزل أو أضل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي[٤].

٦ـ عن أم سلمة أن رسول اللهﷺ كان يقول: ربنا اغفر لي وارحمني واهدني للطريق الأقوم[٥].

٧ـ عن أم سلمة قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فان الملائكة تؤمن على ما تقولون. قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله كيف أقول؟ قال: قولي: اللهم اغفر لنا وله واعقبني منه عقبى حسنة[٦].

٨ـ عن أبي كثير مولى أم سلمة عن أم سلمة قالت: علمني رسول اللهﷺ أن

---

(١) الدر المنثور ٢: ٨.
(٢) الدر المنثور ٦: ١٧١.
(٣) بحار الأنوار ٢١: ١٠٠.
(٤) سنن النسائي ٨: ٢٦٨.
(٥) مسند احمد ٦: ٣٠٣.
(٦) مسند أحمد ٦: ٣٠٦.

أقول عند أذان المغرب: اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي[١].

وأضاف في كنز العمال: وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (ش ت غريب طب ك ق عن أم سلمة)[٢].

٩ـ عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، فصاح ناس من أهله فقال: لا تدعو على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله رب العالمين، اللهم افسح له في قبره، ونور له فيه[٣].

١٠ـ عن أم سلمة قالت: قال: رسول الله ﷺ: إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، اللهم عندك أحتسب مصيبتي فآجرني فيها، وأبدل لي بها خيرا منها[٤].

١١ـ عن شهر بن حوشب قال: قلت: لأم سلمة: يا أم المؤمنين! ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك..[٥].

١٢ـ عن أم الحسن أنها سمعت أم سلمة تقول في سجودها في صلاتها: اللهم اغفر وارحم واهدنا السبيل الأقوم[٦].

١٣ـ عن زيد بن علي عليه السلام قال: إن أم سلمة سألت رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فأعرض عنها فسكت، ثم دخل عليها وهي ساجدة تقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى، ما علمت منها وما لم أعلم، وأسألك باسمك الأعظم الذي إذا

---

(١) سنن أبي داود ١: ١٢٩.
(٢) كنز العمال ٢: ١٥٦.
(٣) سنن أبي داود ٢: ٦٢.
(٤) سنن أبي داود ٢: ٦٢.
(٥) كنز العمال ١: ٣٩١.
(٦) كنز العمال ٨: ٢٢٧.

دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، فإن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام.

فقال لها: سألت يا أم سلمة باسم الله الأعظم(١).

١٤ـ وعن أم سلمة زوج النبيﷺ، عن رسول اللهﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم، والكسل، وعذاب القبر، وفتنة الغنى، وفتنة الفقر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، اللهم نقني من الخطايا، كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، هذا ما سأل محمد ربه، اللهم إني أسألك خير الدعاء، وخير المسألة، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتني، وثقل موازيني، وارفع درجتي، وتقبل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم إني أسألك الجنة آمين، اللهم إني أسألك خير ما فعل، وخير ما عمل، وخير ما بطن، وخير ما ظهر، والدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتغفر ذنبي، وتحفظ فرجي، وتنور قلبي، وتغفر ذنبي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم نجني من النار(٢).

الأمر الثاني: كونها المبادرة الأولى من نساء الرسولﷺ لاختيارهﷺ حينما خيرهن بين اختيار الدنيا والطلاق منهﷺ، وبين اختيار الله ورسولهﷺ والدار الآخرة، وقد تقدمت قصة ذلك.

ومما يدلل على إيمانها العميق أيضاً تبشير الرسولﷺ لها بقوله: (إنك على خير، أو إلى خير) كما ورد في سبب نزول آية التطهير، وهي كلمة عظيمة المعنى،

---

(١) البحار ٩٣: ٧٣.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠: ١٧٥.

بعيدة المغزى، وسيأتي الكلام حول سبب نزول هذه الآية وما فيه من التعليق ونقتصر الآن في ما يخص المجال على ما جاء في تفسير القمي وإن تعدد هذا اللفظ في كتب الشيعة والسنة، قال: نزلت هذه الآية ـ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)، فقالت: أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: ابشري: يا أم سلمة إنك إلى خير[١].

الثالث: المميزات الأخلاقية

من الصفات التي حث عليها القرآن الكريم، ودعا لها النبي العظيم هي الأخلاق، قال: تعالى وهو يمدح نبيهﷺ: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[٢]، وقال: في آية أخرى: ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[٣]، وروي عن الرسولﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٤]، إلى غير ذلك..

وليس المراد من الأخلاق الإسلامية هي المجاملة المخادعة، والابتسامة الباردة الصفراء، وإنما هي مُثُلٌ وقِيَمٌ ينبغي أن يتحلى بها الإنسان المسلم، كالصدق في الحديث، والأمانة، والعفة، والكرم، والشجاعة..

والسيدة أم سلمة وهي المرأة المثالية في إيمانها قد حازت على هذه الصفة بكل ما تحمل من معنى، وسوف نذكر نماذج من حياتها تدل على ذلك:

١ـ **صدق الحديث**: وهذا الخلق لا يشك في وجوده عند أم سلمة اثنان، لا من الأولين ولا الآخرين، فهي الصادقة في قولها وفعلها، حتى قال: ابن حزم في معرض كلام له في مسألة فقهية ما يدل على بلوغها المنزلة العالية في الصدق وعدم احتمال تسرب الكذب لكلامها ولو بنسبة ضئيلة جداً، قال: (.. وليس

(١) تفسير القمي ٢: ١٩٣. (٢) سورة القلم: ٤.
(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.
(٤) بحار الأنوار ١٦: ٢١٠، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١٩٢.

للتهمة في الإسلام مدخل، ونحن نسألهم عن أبي ذر، وأم سلمة أم المؤمنين لو ادعيا على يهودي بدرهم بحق أتقضون لهما بدعواهما؟ فإن قالوا: نعم، خالفوا الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وإجماع الأمة المتيقن وتركوا قولهم، وإن قالوا: لا، قلنا: سبحان الله! والله ما على أديم الأرض من يقول: إنه مسلم يتهم أبا ذر وأم سلمة رضى الله عنهما أنهما يدعيان الباطل في الدنيا بأسرها فكيف في درهم على يهودي..)[1].

وقد حدّثت أم سلمة أنها لما قدمت المدينة قالت: أنها بنت أبي أمية فكذبوها وقالوا: ما أكذب الغرائب! ثم لما ذهب أناس إلى الحج وأعطتهم رسالة إلى أهلها رجعوا يصدقونها، وازدادت عليهم كرامة، وتقدمت القصة في فصل سابق.

٢ـ العطف والرأفة: وقد يتبين ذلك من عدة مواقف من حياتها، منها:

أـ موقفها مع عمار وبقاؤه عندها شهراً للاستشفاء، حينما ضربه عثمان، وقد مرت قصة ذلك.

وفي هذا الموقف يتبين نصرتها للحق والمظلوم.

ب ـ ما تحكيه رواية السيوطي: وأخرج ابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه عن عائشة إن امرأة قالت: لها يا أمه! فقالت: أنا أم رجالكم ولست أم نسائكم.

وأخرج ابن سعد عن أم سلمة قالت: أنا أم الرجال منكم والنساء[2].

ويرويها ابن سعد بصورة أجمع حيث قال: عن الشعبي عن مسروق في قوله: ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾، قال: قالت امرأة لعائشة: يا أمه! فقالت لها عائشة: أنا أم رجالكم ولست أم نسائكم، قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد الله بن موسى المخزومي فقال: أخبرني مصعب بن عبد الله بن أبي أمية، عن أم سلمة زوج النبيﷺ أنها قالت: أنا أم الرجال منكم والنساء.

---

(١) المحلى ٩: ٤١٧.

(٢) الدر المنثور ٥: ١٨٣.

ويتضح بهذه الرواية الفرق بين الأسلوبين من جهة، وعطفها على أمثال تلك المرأة من جهة أخرى.

٣ـ تعاملها مع الرسول ﷺ: واحترامها له، وعدم مقابلته بقول يسوؤه أو فعل يكرهه، ومخاطبتها له بتعبير (بأبي أنت وأمي)، وسيأتي الكلام حول هذه النقطة فيما بعد إن شاء الله.

٤ـ أسلوبها في المعاملة: وهو من الأمور التي اعتنى بها الإسلام حتى ورد عن الرسول ﷺ قوله: (الدين المعاملة)، ومن شواهد حسن معاملتها للآخرين الرواية المتقدمة، وخذ فرقاً بينها وبين عائشة مثلاً، فهذا مسلم يروي في صحيحه عن أم سليم حينما سألت النبي ﷺ عن غسل المرأة إذا احتلمت، فبعد أن أجاب الرسول ﷺ، قالت: أم سلمة: وتحتلم المرأة؟ وفي لفظ آخر قالت: قلت: فضحت النساء[1]، وهذا الأسلوب طبيعي، بينما في المقابل نرى أسلوب عائشة مختلفاً عن هذا الأسلوب تماماً حيث قالت في نفس المصدر: (قال: قالت عائشة: فقلت لها: أفٍ لك أترى المرأة ذلك).

٥ـ الوفاء والنصيحة: فقد نصحت عائشة في عدم خروجها على الإمام علي عليه السلام في يوم الجمل كما نصحت الزبير وطلحة وسنذكر قصة ذلك، ونصحت عثمان في ما قام به من أمور، فقد روي أنها قالت له: يا بني مالي أرى رعيتك عنك نافرين، وعن جناحك ناقرين، لا تقفو طريقاً كان رسول الله ﷺ يحيها، ولا تقدح بزند كان عليه السلام أكبته، إلى أن قالت: هذا حق أمومتي قضيته إليك، وإن عليك حق الطاعة[2].

٦ـ اهتمامها برحمها: والسؤال عنهم، والعناية بالرحم وصلته من المهمات التي

---

(١) صحيح مسلم الحديث ٤٧١.

(٢) أعلام النساء لكحالة ٥: ٢٢٤، مجمع الأمثال للميداني ٢: ٤٧٠.

حث عليها الإسلام ووردت في ذلك أحاديث كثيرة، وما ذكرناه في قصة أخيها المتقدمة أحد الشواهد على ذلك، ومن جملة الشواهد ما رواه في مستدرك الصحيحين:

عن أم سلمة (رض) أنها قالت: لزوجة سلمة بن هشام بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟!

قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فرّار! أفررتم في سبيل الله عزّ وجل حتى قعد في بيته، فما يخرج.[1].

٧ـ **اهتمامها بشؤون الآخرين**: ومن شواهد ذلك اعتراضها على زوجة عثمان بن مظعون عندما رأتها لا تعتني بنفسها، فاعتذرت لها بأنه ترك النساء واتجه نحو العبادة فشكت ذلك للنبي ﷺ فخطب في المسلمين وبين لهم سوء ما فهموا عن الإسلام.

٨ـ **كرمها**: روى الهيثمي: وعن أم سلمة قالت: كان لي غزال من ذهب فأمرني النبي ﷺ أن أتصدق به ففعلت[2].

٩ـ **أمانتها**: وأصدق شاهد على ذلك استئمان الرسول ﷺ لها كتباً، وكذلك فعل أهل بيته عليهم السلام مثله، وقد وردت روايات متعددة في ذلك منها:

أـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الكتب كانت عند علي عليه السلام فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة، فلما مضى علي كانت عند الحسن، فلما مضى الحسن كانت عند الحسين، فلما مضى الحسين كانت عند علي بن الحسين ثم كانت عند أبي[3].

ب ـ عن عمر بن أبي سلمة عن أمه أم سلمة قالت: قلت: أقعد رسول الله

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ٤٥.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥: ١٧٤.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٦٢.

علياًعليه السلام في بيتي، ثم دعا بجلد شاة فكتب فيه حتى ملأ أكارعه، ثم دفعه إلي وقال: من جاءك من بعدي بآية كذا وكذا فادفعيه إليه.

فأقامت أم سلمة حتى توفي رسول اللهصلى الله عليه وآله وولي أبو بكر أمر الناس، بعثتني فقالت: اذهب وانظر ما صنع هذا الرجل، فجئت فجلست في الناس حتى خطب أبو بكر، ثم نزل فدخل بيته، فجئت فأخبرتها فأقامت حتى إذا ولي عمر بعثتني فصنع مثل ما صنع صاحبه، فجئت فأخبرتها، ثم أقامت حتى ولي عثمان فبعثتني فصنع مثل ما صنع صاحباه فأخبرتها، ثم أقامت حتى ولي علي فأرسلتني فقالت: انظر ماذا يصنع هذا الرجل، فجئت فجلست في المسجد فلما خطب علي نزل فرآني في الناس فقال: اذهب فاستأذن على أمك، قال: فخرجت حتى جئتها فأخبرتها وقلت: قال لي: استأذن لي على أمك وهو خلفي يريدك، قالت: وأنا والله أريده فاستأذن علي فدخل فقال لها: أعطيني الكتب الذي دفع إليك بآية كذا وكذا، كأني أنظر إلى أمي حتى قامت إلى تابوت لها في جوفها تابوت صغير فاستخرجت من جوفه كتابا فدفعته إلى علي، ثم قالت لي: أمي يا بني! الزمه فلا والله ما رأيت بعد نبيك إماماً غيره[1].

ج ـ عن ابن عباس قال: كتب رسول اللهصلى الله عليه وآله كتاباً فدفعه إلى أم سلمة فقال: إذا أنا قبضت فقام رجل على هذه الأعواد يعني المنبر، فأتاك يطلب هذا الكتاب فادفعيه إليه، فقام أبو بكر ولم يأتها، وقام عمر ولم يأتها، وقام عثمان فلم يأتها، وقام علي عليه السلام فناداها في الباب، فقالت: ما حاجتك؟ فقال: الكتاب الذي دفعه إليك رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقالت: وإنك أنت صاحبه؟ فقالت: أما والله إن الذي كنت لأحب أن يحبوك به فأخرجته إليه، ففتحه فنظر فيه ثم قال: إن في هذا لعلماً جديداً[2].

---

(١) بصائر الدرجات ص ١٦٣.
(٢) بصائر الدرجات ص ١٦٦.

د ـ عن أم سلمة قالت: أعطاني رسول الله ﷺ كتاباً قال: أمسكي هذا فإذا رأيت أمير المؤمنين صعد منبري فجاء يطلب هذا الكتاب فادفعيه إليه، قالت: فلما قبض رسول الله ﷺ صعد أبو بكر المنبر فانتظرته به فلم يسألها، فلما مات صعد عمر فانتظرته فلم يسألها، فلما مات عمر صعد عثمان فانتظرته فلم يسألها، فلما مات عثمان صعد أمير المؤمنين فلما صعد ونزل جاء فقال: يا أم سلمة! أريني الكتاب الذي أعطاك رسول الله ﷺ فأعطيته فكان عنده، قال: قلت: أي شيء كان ذلك؟ قال: كل شيء تحتاج إليه ولد آدم[1].

و ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عما يتحدث الناس أنه دفعت إلى أم سلمة صحيفة مختومة قال: إن رسول الله ﷺ لما قبض ورث علي عليه السلام سلاحه وما هنالك، ثم صار إلى الحسن والحسين، فلما خشيا أن يفتشا استودعا أم سلمة، ثم قبضا بعد ذلك، فصار إلى أبيك علي بن الحسين، ثم انتهى إليك أو صار إليك؟ قال: نعم[2].

ي ـ إعطاء الرسول ﷺ لها تربة كربلاء، وهو يدل على إيمانها، وأمانتها، وولائها لأهل البيت عليهم السلام وحبها لهم، ولعل اجتماع هذه الأمور فيها بنحو شديد هو السر في اختصاصها بهذه الميزة دون سائر نساء النبي ﷺ، والروايات في هذا المعنى كثيرة نقتصر على ذكر واحدة، وسوف نتعرض لتلك الروايات في فصل لاحق إن شاء الله:

وعن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي رسول الله ﷺ في بيتي، فنزل جبريل فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك وأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ﷺ، وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة! وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله ﷺ وقال: ويح وكرب وبلاء،

---

(١) بصائر الدرجات ص ١٦٨.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٧٧.

قالت: وقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة! إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم، وتقول: إن يوما تحولين دماً ليوم عظيم[١].

الرابع: أدبها وبلاغتها

كانت أم المؤمنين أم سلمة من ربات الفصاحة والبلاغة، ومن أديبات الطراز الأول، كما يكشف لنا عن ذلك ما روي عنها من نثر وشعر، ولا غرو في ذلك فهي من قريش وعاشت في كنف الرسول ﷺ إمام البلاغة والفصاحة، فتسمع منه القول البليغ واللفظ الفصيح، وتصبح وتمسي وصوت القرآن يهمس في أذنيها وعقلها وروحها، وهو الذي أخرس ألسن البلغاء والمتكلمين.

قال خليل جمعة في كتابه (نساء أهل البيت): (كانت عالمة، قارئة، فصيحة، أديبة)[٢].

ويظهر من نثرها الآتي أنها كانت تعتني باختيار ألفاظها وانتقائها، فهي ممن تعتني بأدبها، فلهذا كان أدباً رفيعاً ولفظاً بديعاً.

وسوف نذكر نماذج من شعرها الذي حصلنا عليه، ونماذج من نثرها:

شعرها:

-١-

مقطوعة رثت بها الرسول ﷺ، وهي مقطوعة مشحونة بالأسى والحكمة والوقار:

فُجعنا بالنبي وكان فينا ... إمام كرامة نعم الإمامُ

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩: ١٨٩، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ٤، الجزء ٧، ص ١٣٤.

(٢) نساء أهل البيت عليهم السلام ١: ٢٢٣.

وكـان قـوامَنا والرأس منّا ... فـنحن اليوم ليس لنا قـوامُ
ننوح ونشتكي ما قد لقينا ... ويشكو فقدك البلد الحرامُ
فـلا تبعد فكلّ فتىً كريمٍ ... سيدركه وإن كره الحمامُ[1]

- ٢ -

ما قالته في زفاف الزهراء عليها السلام:

سـرن بـعون الله جاراتي ... واشكـرنه في كل حالاتِ
واذكرن ما أنعم رب العلى ... من كشف مكروه وآفاتِ
فـقد هـدانا بعد كفر وقد ... أنعشنا ربُّ السماواتِ
وسرن مع خير نساء الورى ... تُفدى بعماتٍ وخالاتِ
يا بنت من فضّله ذو العلى ... بالوحي منه والرسالاتِ[2]

- ٣ -

ما رثت به ابن عمها الوليد:

أنعى الوليد بن الوليد ... أبا الوليد فتى العشيرة
حامي الحقيقة ماجد ... يسمو إلى طلب الوتيرة
قد كان غيثا في السنين ... وجعفراً[3] غدقاً وميرة[4]

- ٤ -

ما خاطبت به عائشة بعد ندمها على خروجها لحرب الجمل، وقد نصحتها أم سلمة قبل ذلك فلم تأخذ بقولها كما سيأتي، قال: الصادق عليه السلام: فلما كان من ندمها

(١) موسوعة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته في الشعر العربي ١: ٥٨٣.
(٢) بحار الأنوار ٣٩: ١١٥.
(٣) الجعفر: النهر الكبير الواسع.
(٤) بحار الأنوار ٢٢: ٢٢٦، أسد الغابة مجلد: ٥: ٩٣، باختلاف يسير.

أخذت أم سلمة تقول:

لو كان معتصماً من زلة أحدٌ	كانت لعائشة الرتبى على الناسِ
من زوجة لرسول الله فاضلةٍ	وذكر آي من القرآن مدراسِ
وحكمة لم تكن إلا لهاجسها	في الصدر يذهب عنها كل وسواسِ
يستنزع الله من قوم عقولهم	حتى يمر الذي يقضي على الراس
ويرحم الله أم المؤمنين لقد	تبدلت لىَ إيحاشاً بإيناس

فقالت لها عائشة : شتمتيني يا أخت فقالت لها أم سلمة: لا ولكن الفتنة إذا أقبلت غطت عين البصير وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل[١].

نثرها:

-١-

كلامها مع أبي بكر بعد خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وسنذكره في مواقفها العقائدية، وفيه من حلاوة الألفاظ وطراوتها، وبلاغة المعاني وعمقها، ما يخرس الفصيح، ويعجز البليغ.

-٢-

رسالتها إلى عثمان حينما قام بأعمال أوجبت سخط المسلمين عليه، وهي من غرر الأدب العربي، وقالت له فيها: (يا بني! مالي أرى رعيّتك عنك مُزْوَرِّين[٢]، وعن ناحيتك نافرين، لا تعفُ[٣] سبيلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله لحبها[٤]، ولا تقدح زنداً كان أكباها[٥]، إلى أن قالت: لست بغُفْل[٦] فتُعْتَذَر، ولا بحلو فَتَعْتَزَل[٧]، ولا تقول،

(١) الاحتجاج ١: ٢٤٤، بحار الأنوار ٢٩: ١٥١. (٢) معرضين.
(٣) لا تمح. (٤) شرعها.
(٥) أي لا تعمل شيئاً لم يعمله الرسول صلى الله عليه وآله أو نهى عنه.
(٦) من لا يرجى خيره، ولا يخشى شره. (٧) إشارة إلى عصبيته لقومه بني أمية.

ولا يقال إلا لِمُظَن[١]، ولا يختلف إلا في ظنين[٢]، فهذه وصيتي إياك، وحق بنوتك قضيتها إليك، ولله عليك حق الطاعة، وللرعية حق الميثاق)[٣].

- ٣ -

رسالة أرسلت بها إلى الإمام علي عليه السلام حينما عزمت عائشة ومن معها على الخروج إلى البصرة:

قال: ابن أبي الحديد في شرح النهج: روى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل: أن أم سلمة كتبت إلى علي عليه السلام من مكة:

أما بعد: فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة، يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة، ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز، ويذكرون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنهم يطلبون بدمه، والله كافيكهم بحوله وقوته، ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيت، لم أدع الخروج إليك والنصرة لك، ولكني باعثة نحوك ابني، عدل نفسي عمر بن أبي سلمة، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً[٤].

- ٤ -

رسالة وجهتها إلى عائشة حينما أزمعت على الخروج إلى البصرة، وفي رواية أنها خاطبتها بذلك وهي من غرر البيان العربي بشكل عام، وتستدعي وقفة تأمل طويلة إلا أن ذلك خارج عن دائرة بحثنا، وروى هذه الرسالة أو المحادثة كثير من المؤرخين كما سننقل ذلك في الهامش، وقد اختلفت الألفاظ بعض الشيء من

---

(١) موضع الظن. (٢) متهم.

(٣) بلاغات النساء: ص ١٤.

(٤) الفتوح لابن أعثم ٢: ٢٨٤، البحار ٢٩: ١٦٨، شرح نهج البلاغة ٦: ٧٩، الدرجات الرفيعة ص ١٩٧، الكامل في التاريخ ٢: ٣١٤.

مصدر لآخر، وسوف ننقل ما في كتاب الإمامة والسياسة وما في كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق، وإني أرى ذلك أفضل من بيان الفروق بينهما في الهامش، قال الأول:

وذكروا أنه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير، ونصبهم الحرب لعلي، وتألفهم الناس، كتبت أم سلمة إلى عائشة: أما بعد: فإنك سدة بين رسول الله وبين أمته، وحجابك مضروب على حرمته، قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تندحيه، وسكن عقيرتك فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك، وقد علمت أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهنّ إن انصدع، حماديات النساء غض الأبصار، وضم الذيول، وما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وآله لو عارضك بأطراف الجبال والفلوات على قعود من الإبل، من منهل إلى منهل، إن بعين الله مهواك، وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله تردين، وقد هتكت حجابه الذي ضرب الله عليك، وتركت عُهيداه، ولو أتيت الذي تريدين ثم قيل لي ادخلي الجنة لاستحييت أن ألقى الله، هاتكة حجاباً قد ضربه علي، فاجعلي حجابك الذي ضرب عليك حصنك، فابغيه منزلاً لك حتى تلقيه، فإن أطوع ما تكونين إذا ما لزمته، وأنصح ما تكونين إذا ما قعدت فيه، ولو ذكّرتك كلاماً قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لنهشتني نهش الحية والسلام[1].

وأما رواية الشيخ الصدوق رحمه الله فهي بسنده إلى أبي أخنس الأرحبي قال: لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة كتبت إليها أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ زوجة النبي صلى الله عليه وآله:

أما بعد فإنك سدّة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمّته، وحجابه المضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكن عقيراك فلا تُصحريها، [إن]

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٧٦.

الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول اللهﷺ مكانك، لو أراد أن يعهد إليك لفعل، ولقد عهد فاحفظي ما عهد، فلا تخالفي فيخالف بك، واذكري قولهﷺ في نباح الكلاب بحوأب، وقوله: (ما للنساء والغزو)، وقولهﷺ: (انظري يا حميراء ألا تكوني أنت)، علت علت ، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد، وإن عمود الإسلام لن يثاب بالنساء إن مال، ولن يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء غضّ الأبصار، وخفر الأعراض، وقصر الوهازة، ما كنت قائلة لو أن رسول اللهﷺ عارضك ببعض الفلوات، ناصّة قلوصاً، من منهل إلى آخر! إن بعين الله مهواك، وعلى رسول الله تردين، قد وجهت سدافته، وتركت عهيداه، لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي: (ادخلي الفردوس) لاستحيت أن ألقى رسول اللهﷺ، هاتكة حجاباً قد ضربه علي، اجعلي حصنك بيتك، ورباعة الستر قبرك، حتى تلقيه وأنت على تلك الحال، أطوع ما تكونين لله ما لزمته، وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه، لو ذكرتك بقول تعرفينه لنهشتني نهش الرقشاء المطرق[1].

وتفسير ألفاظ هذه الرسالة نقلها عن كتاب معاني الأخبار للصدوق عليه الرحمة:

قولها ـ رحمة الله عليها ـ (إنك سدة بين رسول اللهﷺ) أي إنك باب بينه وبين أمته في حريمه وحوزته، فاستبيح ما حماه، فلا تكوني أنت سبب ذلك بالخروج الذي لا يجب عليك لتحوجي الناس إلى أن يفعلوا مثل ذلك.

وقولها: (فلا تندحيه) أي لا تفتحيه فتوسعيه بالحركة والخروج، يقال: (ندحت

---

(١) معاني الأخبار ص ٣٧٥، وهذه الرسالة كما ذكرنا ذكرها عدة من المؤرخين والرواة، منهم الشيخ المفيد في كتاب الجمل: ص ٢٣٦، والاختصاص: ص ١١٦، والطبرسي في الاحتجاج ١: ١٦٧، والمجلسي في البحار ٣٢: ١٢٨، وابن قتيبه في غريب الحديث ٢: ١٨٢، وابن طيفور في بلاغات النساء: ص ٧، واليعقوبي في تاريخه ٢: ١٨٠، وابن أبي الحديد في شرح النهج ٦: ٢٢٠، وابن الأثير في النهاية، نساء أهل البيت لخليل جمعة ١: ٢٦٢، وتجد ألفاظها الغريبة مبثوثة في كتب اللغة مع الإشارة إلى أنها وردت في كلام لأم سلمة.

الشيء إذا وسعته ومنه يقال: (أنا في مندوحة عن كذا) أي في سعة.

وتريد بقولها: (قد جمع القرآن ذيلك) قول الله عز وجل: ﴿ **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾[1].

وقولها: (وسكن عقيراك (من عقر الدار وهو أصلها، وأهل الحجاز يضمون العين، و أهل نجد يفتحونها، فكانت (عقيراً) (اسم مبني من ذاك على التصغير، ومثله ما جاء مصغراً (الثريا) و (الحميّا) وهي سورة الشراب، ولم يسمع بعقيرا إلا في هذا الحديث.

وقولها: (فلا تصحريها) أي لا تبرزيها وتباعديها وتجعليها بالصحراء، يقال: (أصحرنا) إذا أتينا الصحراء، كما يقال: (أنجدنا) إذا أتينا نجداً.

وقولها: (علت علت) أي ملت إلى غير الحق، والعول الميل والجور، قال الله عز وجل: ﴿ **ذلك أدنى ألا تعولوا** ﴾[2]، يقال: (عال يعول) إذا جار.

وقولها: (بل نهاك عن الفرطة في البلاد)، أي عن التقدم والسبق في البلاد لأن الفرطة اسم في الخروج والتقدم، مثل غرفة وغرفة، يقال: (في فلان فرطة) أي تقدم وسبق يقال:

(فرطته في المال)، أي سبقته.

وقولها: (إن عمود الإسلام لن يثاب بالنساء إن مال)، أي لا يرد بهن إلى استوائه، (ثبت إلى كذا)، أي عدت إليه.

وقولها: (لن يرأب بهن إن صدع) أي لا يسد بهن، يقال: (رأيت الصدع ولأمته فانضم).

وقولها: (حماديات النساء) هي جمع حمادى، ويقال: (قصاراك أن تفعل ذلك، وحماداك)، كأنها تقول: حمدك وغايتك.

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣. (٢) سورة النساء: ٣.

وقولها: (غض الأبصار) معروف.

وقولها: (وخفر الأعراض)، الأعراض جماعة العرض وهو الجسد، و (الخفر) الحياء، أرادات أن محمدة النساء في غض الأبصار، وفي التستر للخفر الذي هو الحياء، و(قصر الوهازة) وهو الخطو تعني بها أن تقل خطوهن.

وقولها: (ناصة قلوصاً من منهل إلى آخر)، أي رافعة لها في السير و(النص) سير مرفوع ومنه يقال: (نصصت الحديث إلى فلان) إذا رفعته إليه، ومنه الحديث: (كان رسول اللهﷺ يسير العنق[1]، فإذا وجد فجوة نص)، تعني زاد في السير.

وقولها: (إن بعين الله مهواك)، تعني مرادك لا يخفى عليه.

وقولها: (وعلى رسول الله تردين) فتخجلي من فعلك، (وقد وجهت سدافته) إي هتكت السترُ لأن السدافة الحجاب والستر، وهو اسم مبني من أسدف الليل إذا ستر بظلمته، ويجوز أن تكون أرادت (وجهت سدافته) تعني: أزالتها من مكانها الذي أمرت أن تلزميه وجعلتها أمامك.

وقولها: (وتركت عهيداه) تعني بالعهيدة التي تعاهده ويعاهدك، ويدل على ذلك قولها: (لو قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول اللهﷺ، هاتكة حجاباً قد ضربه علي).

وقولها: (اجعلي حصنك بيتك، ورباعة الستر قبرك)، فالربع المنزل، والرباعة الستر ما وراء الستر، تعني: اجعلي ما وراء الستر من المنزل قبرك، ومعنى ما يروى (ووقاعة الستر قبرك)، هكذا رواه القتيبي، وذكر أن معناه ووقاعة الستر موقعة من الأرض إذا أرسلت. وفي رواية القتيبي: لو ذكرت قولاً تعرفينه نهشتني نهش الرقشاء المطرق. فذكر أن الرقشاء سميت بذلك للرقش في ظهرها، وهي النقط، وقال: غير القتيبي: الرقشاء من الأفاعي التي في لونها سواد وكدورة. قال:

---

(١) العنق: السير الواسع السريع.

و(المطرق) المسترخي جفون العين.

الخامس: الجانب العلمي

من الأبعاد التي امتازت بها شخصية أم المؤمنين أم سلمة البعد العلمي، فقد كانت من الصحابيات الفقيهات اللاتي يرجع إليهن في أخذ الفقه وآداب الشريعة، فإنها حملت من الرسولﷺ علوماً ومعارف جمة[1]، ولو قارنا بينها وبين بعض أمهات المؤمنين ـ فضلاً عن نساء أخريات ـ لرأينا الفارق الكبير في هذا الجانب، بل لو قارنا بينها وبين رجال من الصحابة لرأينا الفرق جد كبير أيضاً، ومما يدلل على هذا الجانب من حياتها المملوءة بالعطاء أمور كثيرة هي الميزان لمعرفة العالم من غيره، وسوف نأتي على ذلك في ضمن أمور.

الأمر الأول: اهتمامها بالعلم والاستماع إلى الرسولﷺ فيما يوحى إليه ويأمر به، فإن الإصغاء للعلم وحب التعلم والمعرفة هو الحجر الأساس لنيل الدرجات العلمية العالية، ومما يشهد لهذا ما رواه مسلم:

عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبيﷺ إنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول اللهﷺ، فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول اللهﷺ يقول: أيها الناس! فقلت للجارية: استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء! فقلت: إني من الناس، فقال رسول اللهﷺ: إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم

(١) تشترط الشيعة الإمامية في المجتهد الذي يرجع إليه في الفتوى أن يكون رجلاً لأدلة أقاموها في الأبحاث الفقهية العالية، فالرجوع لمثل أم سلمة لم يكن كرجوع المقلد إلى المجتهد، وإنما هو رجوع إلى الراوي فيما يرويه عن المعصومعليه السلام، ثم هو بدوره يستفيد الحكم من الخبر الواصل إليه عن طريق الثقة، ونفس حفظ هذه الروايات واستفادة الأحكام منها يكفي لإطلاق العالم على صاحبها، فحفظ أم سلمة للأخبار الكثيرة واستفادتها للحكم الشرعي منها وإمكان تطبيقها على مواردها هو بنفسه دليل على علمها وفقاهتها.

فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا ؟! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً[١].

وفي رواية الإمام أحمد هكذا: .. عبد الله بن رافع قال: كانت أم سلمة تحدث: أنها سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر وهي تمتشط: أيها الناس! فقالت لماشطتها: لفّي رأسي، قالت: فقالت: فديتك إنما يقول: أيها الناس! قلت: ويحك أو لسنا من الناس! فلفّت رأسها وقامت في حجرتها، فسمعته يقول: أيها الناس! بينما أنا على الحوض جيء بكم زمراً، فتفرقت بكم الطرق، فناديتكم ألا هلموا إلى الطريق، فناداني مناد من بعدي، فقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فقلت: ألا سحقاً .. ألا سحقاً[٢].

فيستفاد من هاتين الروايتين مدى اهتمامها بالعلم ومعرفة ما يقوله الرسول ﷺ.

الأمر الثاني: مقدار ما روي عنها.

ذكر العيني: روي لها عن النبي ﷺ ثلاثمائة وثمانية وسبعون حديثاً[٣].

وهكذا ذكر خليل جمعة في كتابه (نساء أهل البيت)[٤]، وكحالة في كتابه أعلام النساء، وأضاف: (أخرج لها منها في الصحيحين(٢٩) حديثاً، والمتفق عليه منها، (١٣١) حديثاً، وأفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر)[٥].

وأما الكاتبة آمنة الحسني فقد قالت: (كل المصادر الحديثية، وأصحاب التراجم تنقل عن بعضها أن عدد أحاديث أم سلمة (رض) ٣٨٧ حديثاً.

وقد توصلت بعد بحث متواصل وعمل دؤوب عن أحاديثها في الأصول الحديثية الآنفة الذكر، أن عدد أحاديث أم سلمة سبعمائة وثمانية وثمانون حديثاً، ولو استقصيت أحاديثها (رض) في جميع مصادر الحديث لبلغت إلى ما يقارب ألفي حديث بالمكرر)[٦].

---

(١) صحيح مسلم ٧: ٦٧.
(٢) مسند أحمد ٦: ٢٩٧.
(٣) عمدة القاري للعيني ج ١ جزء ٢: ١٧٢.
(٤) نساء أهل البيت ١: ٢٢٣.
(٥) أعلام النساء ٥: ٢٢٦.
(٦) أم سلمة أم المؤمنين ٢ : ٥٨٣.

وهذا العدد لا يستهان به في نظر علماء الرجال والحديث، مع الأخذ بعين الاعتبار الأحاديث التي لم تصل أيدينا لها مما ضاع في طيات الزمن، والأحاديث التي روتها الشيعة عنها، ولم تسمح أنفس أهل السنة بروايتها رغباً أو رهباً، وسيأتي بعض ذلك في البحوث المقبلة إن شاء الله.

الأمر الثالث: رجوع الصحابة والتابعين لها.

هناك روايات كثيرة تفيد رجوع الصحابة والتابعين إليها فيما أشكلت عليهم من مسائل، وفي بعضها تصحيح لروايات صحابة آخرين، فمن ذلك:

١ـ روى النسائي: .. قال: سمعت عبد الرحمان بن هرمز الأعرج يقول: حدثني ناعم مولى أم سلمة رضى الله عنها: أن أم سلمة سئلت أتغتسل المرأة مع الرجل؟ قالت: نعم إذا كانت كيسة، رأيتني ورسول الله ﷺ نغتسل من مركن واحد، نفيض على أيدينا حتى ننقيهما ثم نفيض عليها الماء، قال: الأعرج لا تذكر فرجاً ولا تباله[1].

٢ـ ابن وهب قال: أخبرني عمرو عن بكير عن كريب: أن ابن عباس، والمسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن أزهر رضي الله عنهم، أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها، فقال: واقرأ عليها منا جميعاً، وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنهما، وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنهما فقال كريب: فدخلت على عائشة فبلغتها ما أرسلوني، فقالت: سل أم سلمة.

فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها، فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما، ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر، ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار،

---

(١) سنن النسائي ١: ١٢٩.

فأرسلت إلى الجارية فقلت: قومي بجنبه قولي له: تقول لك أم سلمة: يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما؟ فإن أشار بيده فاستأخري عنه ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: يا بنت أبي أمية! سألت عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان[1].

ولابد من التنبيه على أمر وهو أن هناك زيادة في الحديث لم يأت بها البخاري حفظاً لمقام عائشة، والبخاري ـ من هذه الناحية ـ دقيق كل الدقة! ولا يضره لو روى الزيادة المذكورة فإن العصمة لأهلها، ولم يدّع العصمة عائشة أحد من المسلمين فيما نعلم، وإن كانت عالمة مكثرة لرواية الحديث.

وإليك هذه الرواية برواية غيره لتعرف ما أقول:

.. حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، قال: أجمع أبي على العمرة، فلما حضر خروجه قال: أي بني! لو دخلنا على الأمير فودعناه؟ قلت: ما شئت، قال: فدخلنا على مروان وعنده نفر، فيهم عبد الله بن الزبير، فذكروا الركعتين التي يصليهما ابن الزبير بعد العصر، فقال له مروان: ممن أخذتهما يا ابن الزبير؟ قال: أخبرني بهما أبو هريرة عن عائشة، فأرسل مروان إلى عائشة: ما ركعتان يذكرهما ابن الزبير: أن أبا هريرة أخبره عنك: أن رسول الله ﷺ كان يصليهما بعد العصر؟ فأرسلت إليه أخبرتني أم سلمة.

فأرسل إلى أم سلمة: ما ركعتان زعمت عائشة: أنك أخبرتيها: أن رسول الله ﷺ كان يصليهما بعد العصر؟ فقالت: يغفر الله لعائشة! لقد وضعت أمري على غير موضعه، صلى رسول الله ﷺ الظهر، وقد أتي بمال، فقعد يقسمه حتى أتاه المؤذن بالعصر، فصلى العصر ثم انصرف إلي وكان يومي، فركع ركعتين خفيفتين، فقلت:

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٦٧.

ما هاتان الركعتان يا رسول الله أمرت بهما؟ قال: لا ولكنهما ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر، فشغلني قسم هذا المال حتى جاءني المؤذن بالعصر، فكرهت أن أدعهما.

فقال ابن الزبير: الله أكبر، أليس قد صلاهما مرة واحدة؟! والله لا أدعهما أبداً، وقالت أم سلمة: ما رأيته صلاهما قبلها ولا بعدها[١].

وفي رواية أخرى رواها أحمد بن حنبل هكذا:

حدثني يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحرث قال: سألته عن الركعتين بعد العصر؟ فقال: دخلت أنا وعبد الله بن عباس على معاوية، فقال معاوية: يا ابن عباس لقد ذكرت ركعتين بعد العصر، وقد بلغني: أن أناساً يصلونهما، ولم نر رسول الله ﷺ صلاهما، ولا أمر بهما، قال: فقال ابن عباس: ذاك ما يقضي الناس به ابن الزبير، قال فجاء ابن الزبير فقال: ما ركعتان قضى بهما الناس؟ فقال ابن الزبير: حدثتني عائشة عن رسول الله ﷺ، قال: فأرسل إلى عائشة رجلين: أن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: ما ركعتان زعم ابن الزبير: أنك أمرتيه بهما بعد العصر؟ قال: فقالت عائشة: ذاك ما أخبرته أم سلمة.

قال: فدخلنا على أم سلمة فأخبرناها ما قالت عائشة، فقالت: يرحمهما الله! أولم أخبرها أن رسول الله ﷺ قد نهى عنهما؟![٢].

ولا يخفى أن النافلة المبتدأة ـ بعد صلاة العصر ـ محل خلاف بين علماء المسلمين فذهب الشيعة الإمامية إلى كراهتها في هذا الوقت، وذهب جمهور أهل السنة إلى حرمتها، وتحقيق ذلك ليس من شؤون الكتاب.

٣ـ.. عن أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أنها سألت أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: إني امرأة أطيل ذيلي، فأمشي في المكان القذر. فقالت: قال رسول

---

(١) مسند أحمد ٦: ٢٩٩.
(٢) مسند أحمد ٦: ٣٠٣.

اللهﷺ: يطهره ما بعده[١].

٤ـ. عن كثير بن زياد قال: حدثتني الأزدية يعني مسة، قالت: حججت فدخلت على أم سلمة فقلت: يا أم المؤمنين! إن سمرة بن جندب يأمر النساء يقضين صلاة المحيض، فقالت: لا يقضين، كانت المرأة من نساء النبيﷺ تقعد في النفاس أربعين ليلة لا يأمرها النبيﷺ بقضاء صلاة النفاس[٢].

وفي هذا المتن اضطراب واضحٌ فإن السؤال عن صلاة الحائض، لا النفساء، ثم على فرض استعمال النفاس في الحيض كما يظهر من بعض الروايات إلا إن الحيض لا يستمر أربعين يوماً، وإن كان النفاس يستمر كذلك في نظر أهل السنة.

٥ـ حدثنا بكار بن يحيى، حدثتني جدتي قالت: دخلت على أم سلمة، فسألتها امرأة من قريش عن الصلاة في ثوب الحائض؟ فقالت: أم سلمة قد كان يصيبنا الحيض على عهد رسول اللهﷺ فتلبث إحدانا أيام حيضها، ثم تطهر فتنظر الثوب الذي كانت تقلب فيه، فإن أصابه دم غسلناه وصلينا فيه، وإن لم يكن أصابه شيء تركناه، ولم يمنعنا ذلك من أن نصلي فيه.

وأما الممتشطة فكانت إحدانا تكون ممتشطة، فإذا اغتسلت لم تنقض ذلك، ولكنها تحفن على رأسها ثلاث حفنات، فإذا رأت البلل في أصول الشعر دلكته، ثم أفاضت على سائر جسدها[٣].

٦ـ عن محمد بن زيد بن قنفذ، عن أمه أنها سألت أم سلمة: ماذا تصلي فيه المرأة من الثياب؟ فقالت: تصلي في الخمار والدرع السابغ الذي يغيب ظهور قدميها[٤].

٧ـ عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول اللهﷺ وصلاته؟

(١) سنن ابن ماجة ١: ١٧٧، سنن أبي داود ١: ٩٥، سنن الترمذي ١: ٩٦.
(٢) سنن أبي داود ١: ٧٨. (٣) سنن أبي داود ١: ٩٠.
(٤) سنن أبي داود ١: ١٥٢.

فقالت: وما لكم وصلاته؟! كان يصلي وينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح، ونعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءته حرفاً حرفاً[1].

٨ـ رجوع ابن عباس وأبي هريرة لها كما في البخاري وغيره فراجع[2].

الأمر الرابع: عدد الراوة عنها.

يعطي علماء الرجال والحديث أهمية كبرى لكثرة الرواة عن شخصية ما، فكثرة الرواة ـ ولا سيما المعتبرين منهم كالعلماء وأصحاب الحديث والمشايخ، ومن عرف بالدقة والتأمل وعدم الرواية عن كل أحد ـ بمثابة توثيق جماعي للمروي عنه، مضافاً إلى هذا أنه يكشف عن بلوغ صاحبه مرتبة جليلة من العلم دعت الآخرين للاستفادة منه، والانتهال من معينه، وقد بلغ عدد من روى عن أم سلمة مائة راو بين صحابي وتابعي، رجل وامرأة، بينما لم ترو إلا عن أربعة فقط وهم: الرسولﷺ، وفاطمة الزهراءعليها السلام، وجعفر بن أبي طالبعليه السلام، وزوجها الأول أبي سلمة، وأما الراوون عنها فهم كما يلي:

١ـ آمنة والدة محمد بن زيد المهاجر.

٢ـ إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

٣ـ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي.

٤ـ أبو عياض المدني.

٥ـ أبو كثير مولى أم سلمة.

٦ـ أسلم بن يزيد أبو عمران التجيبي.

٧ـ الأسود بن يزيد بن قيس أبو عمر النخعي.

٨ـ أم محمد بن قيس.

٩ـ أم مساور الحميرية.

---

(١) سنن أبي داود ١: ٣٣٠.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٦٧.

١٠ـ أم موسى الكوفية.

١١ـ أمينة بنت عبد الله أم محمد.

١٢ـ بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث أبو سهل الأسلمي المدني.

١٣ـ جسرة بنت دجاجة العامرية.

١٤ـ الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري.

١٥ـ حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر التيمية.

١٦ـ حكيمة بنت أمية بن الأخنس أم حكيم.

١٧ـ حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري.

١٨ـ خيرة مولاة أم سلمة، أم الحسن البصري.

١٩ـ زاذان مولى طلحة.

٢٠ـ ذكوان أبو صالح السمان الزيات.

٢١ـ ربعي بن حراش بن جحش أبو مريم الغطفاني العبسي.

٢٢ـ رميثة بنت الحارث بن الطفيل الأزدية.

٢٣ـ زيد بن أبي عتاب.

٢٤ـ زينب بنت أبي سلمة المخزومية.

٢٥ـ سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري.

٢٦ـ سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي.

٢٧ـ سفينة مولى رسول الله ﷺ.

٢٨ـ سلمة بن عبد الله بن عمر.

٢٩ـ سلمة بن معاوية أبو ليلى الكندي.

٣٠ـ سلمى البكرية.

٣١ـ سليمان بن بابيه المكي.

٣٢ـ سليمان بن يسار أبو أيوب الهلالي.
٣٣ـ سواء الخزاعي.
٣٤ـ شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي.
٣٥ـ شهر بن حوشب أبو سعيد الأشعري الحمصي.
٣٦ـ صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفية.
٣٧ـ صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أم حجير العبدرية.
٣٨ـ ضبة بن محصن العنزي.
٣٩ـ عامر بن أبي أمية.
٤٠ـ عامر بن شراحيل أبو عمر الشعبي الحميري.
٤١ـ عبد بن عبد أبو عبد الله الجدلي.
٤٢ـ عبد الرحمن بن ثابت السهمي، مولى عمرو بن العاص.
٤٣ـ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي.
٤٤ـ عبد الرحمن بن شيبة بن عثمان العبدري الحجبي.
٤٥ـ عبد الله بن بريدة بن الحصب الأسلمي المروزي.
٤٦ـ عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، (ببة).
٤٧ـ عبد الله بن رافع، أبو رافع المخزومي.
٤٨ـ عبد الله بن زمعة بن الأسود.
٤٩ـ عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي المدني.
٥٠ـ عبد الله بن عباس.
٥١ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.
٥٢ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف.
٥٣ـ عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي.

٥٤ـ عبد الله بن فروخ.

٥٥ـ عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي.

٥٦ـ عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد الليثي.

٥٧ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي.

٥٨ـ عبيد الله بن القبطية، المهاجر الكوفي.

٥٩ـ عثمان بن عبد الله بن موهب التيمي.

٦٠ـ عروة بن الزبير بن العوام.

٦١ـ عطاء بن أبي رباح أسلم.

٦٢ـ عطاء بن يسار الهلالي.

٦٣ـ عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي.

٦٤ـ الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام.

٦٥ـ علي بن داود الناجي الساجي.

٦٦ـ عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، ربيب النبي صلى الله عليه وآله.

٦٧ـ عمر بن سفينة.

٦٨ـ عوف بن الحارث بن الطفيل الأزدي.

٦٩ـ فاطمة بنت المنذر بن الزبير الأسدية.

٧٠ـ قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي.

٧١ـ قيس المدني.

٧٢ـ كبشة بنت أبي مريم.

٧٣ـ كريب بن أبي مسلم مولى بن عباس.

٧٤ـ لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي.

٧٥ـ مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي.

٧٦ـ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.
٧٧ـ مسة أم بسة الأزدية.
٧٨ـ مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي.
٧٩ـ مصعب بن عبد الله.
٨٠ـ المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي.
٨١ـ معرور بن سويد الأسدي.
٨٢ـ مقسم بن بجرة مولى عبد الله.
٨٣ـ ناعم بن أجيل الهمداني.
٨٤ـ نافع بن جبير بن مطعم بن عدي النوفلي.
٨٥ـ نافع مولى بن عمر.
٨٦ـ نبهان أبو يحيى.
٨٧ـ هند بنت الحارث الفراسية.
٨٨ـ وهب بن عبد بن زمعة الأسدي.
٨٩ـ وهب مولى أبي أحمد بن جحش.
٩٠ـ يحيى بن الجزار العرني.
٩١ـ يعلى بن مملك المكي.
٩٢ـ حميدة أم ولد لعبد الرحمن بن عوف.
٩٣ـ أم عبد الله بن بريدة.
٩٤ـ جدة عبد الرحمن بن محمد بن جدعان.
٩٥ـ السائب مولى أم سلمة.
٩٦ـ مهاجر بن القبطية، ولعله عبيد الله المتقدم.
٩٧ـ والد عطية الطفاوي.

٩٨ـ نافع مولى أم سلمة.

٩٩ـ جدة بكار بن يحيى.

١٠٠ـ والدة هنيدة بن خالد الخزاعية.

هذا ما ذكر في ما يخص الرجال والحديث[١]، ويمكن إضافة عائشة، وعبد الرحمن بن عوف كما يظهر من بعض الروايات فيكون الراوون عنها مائة واثنين، وهناك بعض الروايات عبرت بمولى لأم سلمة، فيحتمل أن يكون أحد الرواة المذكورين بأسمائهم من مواليها كما يحتمل أن يكون شخصاً آخر.

ولا يفوتنا أن نبين شيئاً وهو: أنهم ذكروا من جملة الرواة عنها الإمام علي بن الحسين السجادعليه السلام وابنه الإمام محمد الباقرعليه السلام وهو ـ إن صح ـ فليس بنحو يكون مستفيداً من روايتها، إذ أن الإمام المعصوم عنده من الطرق ما لا يحتاج فيه إلى مثل أم سلمة مع حفظ مقامها العلمي والإيماني، فرواية الإمام عنها قد تكون لإبراز الحجة في أمر ما.

ثم إن رواية الإمام الباقرعليه السلام عنها مستغربة لصغر سنه حين وفاتها، فعمره في حدود الخامسة أو ما يقربها نقصاناً أو زيادة.

مسائل خلافية

فقه الخلاف أو المسائل الخلافية فقه ذو جذور تاريخية قديمة، ولم يكن مستحدثاً في العصور المتأخرة عن عصر النبيصلى الله عليه وآله بزمان كثير، بل ما إن مات النبيصلى الله عليه وآله وانتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وبدأت المسائل المختلفة، وكل من المختلفين يحدث عن النبيصلى الله عليه وآله بما يعضد به مذهبه.

بل يمكن إرجاع بعض الجذور إلى زمن الرسولصلى الله عليه وآله، أي من حين خالفه بعض

---

(١) واطلعت أخيراً على ما أحصته الكاتبة أمينة الحسني من رواة أم سلمة فبلغوا مائة وثمانية وخمسين راوياً، راجع كتابها حول أم سلمة ٢ : ٤٦٥.

صحابته كما في متعة الحج والتيمم.

وهذا النحو من الاختلاف له أسباب كثيرة تعرض لها العلماء في المباحث المختصة، ومن بينها اختلاف الرواة، فربما يسمع الراوي كلاماً عاماً، بينما يسمع الآخر ما يخصصه، وربما ينسى الراوي شيئاً من الكلام يكون قرينة على المراد، وربما لم يتنبه إلى القرينة المنصوبة لفظية كانت أو مقامية، وربما يتعمد الكذب على الرسولﷺ! وقد أخبر الرسولﷺ بكثرة من سيكذبون عليه.. وربما..

وفي روايات أم سلمة ما يشير إلى ذلك الاختلاف أحياناً، وما يرفع الاختلاف أحياناً أخرى، ونتقل بعض تلك المسائل:

١ـ مسألة رضاع الكبير[1].

من المسائل التي وقعت مثار جدل بين نساء النبيﷺ، مسألة رضاع الكبير، ولعل الجدل في ذلك قد تسرب إلى الصحابة والتابعين أيضاً، فذهبت عائشة إلى جوازه وإنه يوجب التحريم ـ حرمة المرضعة على المرتضع وبالعكس ـ وكانت تأمر أختها أو بنات أخواتها لإرضاع من تحب أن يدخلوا عليها من الرجال، فيرتضعوا منهن ثم يدخلوا عليها، وأبت سائر نساء النبيﷺ أن يدخل عليهن أحد بهذه الرضاعة، وقلن بعدم إيجابها للتحريم، وقد روت عائشة في ذلك ما يدعم موقفها، وأجبن أمهات المؤمنين عنه.

والغريب في الأمر ـ بغض النظر عن النصوص الواردة في الباب ـ أنه كيف

---

(١) نحن مشينا في هذا البحث على ما عند القوم من روايات، وإن كان للتوقف مجال في ذلك، أي يمكن الخدشة في أصل رواية رضاع الكبير، إذ فيه من الإساءة لزوج الرسولﷺ ما لا يوصف مما يخص الشرف، فإن عائشة عندما تأذن لأختها أن ترضع الكبير يكون الغرض هو الدخول عليها كدخول أي محرم آخر، ومن هنا تدخل الإساءة على الرسولﷺ، فيمكن أن تكون هذه الأحاديث مدسوسة من قبل أعداء الإسلام للنيل من قدس النبيﷺ، ولكن القوم رووها كمسلم من المسلمات وعملوا بما فيها، نعوذ بالله من ذلك.

استطاعت عائشة أن تقبل بهذه الفكرة، مع أن الرضاع يلازم المس والنظر فكيف ساغ للكبير ـ قبل حصول الرضاعة المحرمة ـ أن يمس جسد المرأة الأجنبية وينظر إليها؟! ما بالك بالنظر إلى مكان حساس ومثير للرجل كالنهدين، وهي لا زالت حراماً عليه! اللهم إنا لا نعلم السر في ذلك!

روايات عائشة في ذلك هي:

١ـ عن عائشة قالت: جاءت سهلة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن سالماً يدخل علينا، وقد عقل ما يعقل الرجال، وعلم ما يعلم الرجال؟ قال: أرضعيه تحرمي عليه بذلك.

٢ـ عن عائشة أن سالماً مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأتت بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت: إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقلوه، وإنه يدخل علينا، وإني أظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً، فقال: النبي ﷺ أرضعيه تحرمي عليه، فأرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة، فرجعت إليه فقلت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة[1].

وإني لأظن أن بقاء سالم على ما هو عليه خير لأبي حذيفة من ارتضاعه من ثدي امرأته وهو كبير، ومما يهون الخطب أنا لا نعقل ولا نتصور وقوع هذا العمل، ولا أمر الرسول ﷺ به وهو صاحب الشرف الباذخ، والعفة العالية، والطهارة التي ليس فوقها طهارة!

وكانت عائشة تستدل بهذه القضية على جواز دخول الرجال الذين تحب أن يدخلوا عليها فتأمر أختها أو بنات أختها بإرضاعه كما تقدم، وكن نساء النبي ﷺ في صدد الرد عليها، فهذه أم سلمة تقول:

أخبرني أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة، أن أمه زينب بنت أبي سلمة أخبرته أن

---

(١) سنن النسائي ٦: ١٠٥.

أمها أم سلمة زوج النبيﷺ كانت تقول: أبى سائر أزواج النبيﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذه إلا رخصة رخصها رسول اللهﷺ خاصة لسالم، فلا يدخل علينا أحد بهذه الرضاعة، ولا يرانا[1].

ونقل الرواية بها المقدار لا يفي بالموضوع ولا يدل على المطلوب بشكله الواضح، فلابد لنا أن نستقري بعض الروايات الأخرى لتفيد في الموضوع، فهذا الإمام مسلم قد نقل الخبر هكذا:

.. سمعت حميد بن نافع يقول: سمعت زينب بنت أبي سلمة تقول: سمعت أم سلمة زوج النبيﷺ تقول لعائشة: والله ما تطيب نفسي أن يراني الغلام قد استغنى عن الرضاعة، فقالت: لم؟ قد جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول اللهﷺ فقالت: يا رسول الله! والله إني لأرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم؟ قالت: فقال رسول اللهﷺ ارضعيه، فقالت: إنه ذو لحية! فقال: ارضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة، فقالت: والله ما عرفته في وجه أبي حذيفة.

.. أخبرني أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة: أن أمه زينب بنت أبي سلمة أخبرته: أن أمها أم سلمة زوج النبيﷺ كانت تقول: أبى سائر أزواج النبيﷺ أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول اللهﷺ لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا[2].

وأوضح من ذلك لبيان القصة كاملة ما رواه أبو داود في سننه: حدثني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبيﷺ وأم سلمة أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كان تبنى سالماً، وأنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار، كما تبنى رسول اللهﷺ زيداً، وكان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه، وورث ميراثه حتى أنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك:

---

(١) سنن النسائي ٦: ١٠٦.	(٢) صحيح مسلم ٤: ١٦٩.

﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ إلى قوله: ﴿ فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾، فردوا إلى آبائهم فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخاً في الدين، فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشي ثم العامري، وهي امرأة أبي حذيفة، فقالت: يا رسول الله! إنا كنا نرى سالماً ولداً وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد، ويراني فضلاً، وقد أنزل الله عز وجل فيهم ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟ فقال لها النبيﷺ: أرضعيه، فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة، فبذلك كانت عائشة تأمر بنات أخواتها، وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها، ويدخل عليها، وإن كان كبيراً خمس رضعات، ثم يدخل عليها، وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبيﷺ أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهد، وقلن لعائشة: والله ما ندرى لعلها كانت رخصة من النبيﷺ لسالم دون الناس![1].

وقد حاربت أم سلمة هذه الفكرة بأكثر من ذلك، لما ترى من خطورتها، وعدم كونها من الشريعة في شيء، وأن عائشة قد اشتبهت في فهمها لهذه المسألة الفقهية، فقد نقل السيوطي في الدر المنثور ما لفظه:

وأخرج الترمذي وصححه عن أم سلمة قالت: قال رسول اللهﷺ: لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام[2].

وأيّد أم سلمة كثير من الصحابة، فقد نقل السيوطي أيضاً: وأخرج ابن عدي والدارقطني والبيهقي عن ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ: لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين.

وأخرج الطيالسي والبيهقي عن جابر قال: قال رسول اللهﷺ: لا رضاع بعد فصال، ولا يتم بعد احتلام.

---

(١) سنن أبي داود ١: ٤٥٧.

(٢) الدر المنثور ١: ٢٨٨.

وأخرج عبد الرزاق في المصنف، وابن عدي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ لا يتم بعد حلم، ولا رضاع بعد فصال..[١].

وجاء في مجمع الزوائد: وعن أبي عطية، أن أبا موسى أتاه رجل فقال: إن امرأة ورم ثديها، فجعل يمصه ويمجه، فدخل بطنه؟ فقال: لا أراها تصلح له. فأتى ابن مسعود فسأله عن ذلك؟ فقال: لم تحرم عليك، إنما يحرم من الرضاع ما أنبت اللحم وشد العظم، ولا رضاع بعد فطام، فقيل لأبي موسى، فقال: لا تسألوني عن شيء ما أقام هذا بين أظهرنا من أصحاب رسول الله ﷺ. رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي وهو ثقة[٢].

٢ـ زيارة القبور للنساء.

في زيارة القبور أبحاث كثيرة خارجة عن وضع الكتاب فلا ندخل في متاهاتها المتعددة، وما نحب أن نشير إليه في هذا العنوان هو أن غرض المؤمنين من زيارة القبور ليس عبادتها، وهو أمر لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء غير أن ذكرنا له إشارة لمن يريد أن يتلاعب بعقول العامة ليثير حفيظتهم ضد الشيعة، بل ضد سائر فرق المسلمين غير فرقة واحدة تبعت ابن تيمية في فهمها وعقائدها مع أن علماء أهل السنة فضلا عن غيرهم قد ردوا عليه، بل كفروه كما يتضح من تاريخ حياته المملوءة بالمفاجئات.

فالغرض من زيارة قبور المؤمنين والأولياء الصالحين الثابت استحبابها بالأدلة المعتبرة من كتب الفريقين، أن يستلهم من تلك الروح القريبة من الله سبحانه وتعالى المثل والأخلاق والقيم وو.. ويضاف إلى ذلك العظة والعبرة.

وأما زيارة القبور بالنسبة إلى النساء فيكشفه لنا ما يأتي:

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: نهيتكم عن زيارة

---

(١) الدر المنثور ١: ٢٨٨.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤: ص ٢٦٢.

القبور فزوروها، فإن لكم فيها عبرة[١].

ومن الواضح أن الرواية مطلقة فيشمل الخطاب الرجال والنساء كما في سائر الخطابات الإسلامية، وإمعاناً في توضيح الفكرة نذكر ما رواه ابن أبي الحديد في شرحه حيث قال:

قال الواقدي: وكان رسول الله ﷺ يزور قتلى أحد في كل حول، وإذا لقوه بالشعب رفع صوته يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وكان أبو بكر يفعل مثل ذلك، وكذلك عمر بن الخطاب، ثم عثمان، ثم معاوية حين يمر حاجاً ومعتمراً.

قال: وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم و تدعو، وكان سعد بن أبي وقاص يذهب إلى ماله بالغابة فيأتي من خلف قبور الشهداء فيقول: السلام عليكم ثلاثاً، ويقول: لا يسلم عليهم أحد إلا ردّوا عليه السلام إلى يوم القيامة، قال: ومرّ رسول الله ﷺ على قبر مصعب بن عمير فوقف عليه ودعا وقرأ: ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً** ﴾، ثم قال: إن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم فزوروهم وسلموا عليهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه، وكان أبو سعيد الخدري يقف على قبر حمزه فيدعو ويقرأ ويقول مثل ذلك، وكانت أم سلمة رحمها الله تذهب فتسلم عليهم في كل شهر فتظل يومها، فجاءت يوماً ومعها غلامها نبهان فلم يسلم فقالت: أي لكع ألا تسلم عليهم؟ والله لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة[٢].

فهذه سيدة نساء العالمين السيدة الزهراء ؑ تذهب لتزور قبور شهداء أحد، وهذه أم المؤمنين أم سلمة تذهب لزيارتهم أيضاً، وتكثران التردد عليها، ومن

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣: ٥٨. (٢) شرح نهج البلاغة ١٥/ ٤٠.

المتيقن به أنهما لا تفعلان ما لا يجوز في نظر الإسلام، وفعلهما هذا يدل على رجحان هذا العمل من وجهة نظر إسلامية، فليعد القائل بالحرمة حساب أوراقه، فلا نراه إلا قد خلط بين الأوراق، نسأل الله العصمة والسداد في القول والعمل.

٣ـ التبرك بشعر الرسولﷺ.

اعتبرت طائفة قليلة من أهل السنة التبرك بآثار الأنبياء والصالحين شركاً أو بدعة محرمة، وهذه المسألة كسابقتها، ويكفي للرد على مثل هذه الدعاوى الزائفة ما رواه البخاري عن أم سلمة (رض):

١ـ حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عثمان بن عبدالله بن موهب قال أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبيﷺ بقدح من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة فيه شعر من شعر النبيﷺ وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبه فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراً[1].

ولقد كانت أم سلمة (رض) تحتفظ بشعر الرسولﷺ كما تدل عليه هذه الرواية الآتية:

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا سلام عن عثمان بن عبدالله بن موهب قال دخلت على أم سلمة فأخرجت إلينا شعرا من شعر النبيﷺ مخضوباً، و قال لنا أبو نعيم حدثنا نصير بن أبي الأشعث عن ابن موهب أن أم سلمة أرته شعر النبيﷺ أحمر[2].

وهنا كلام جميل للذهبي يحسن ذكره وقد ذكره تعليقاً على كلام عبيدة السلماني فنذكر كلام السلماني ثم كلام الذهبي:

قيل لعبيدة السلماني: إن عندنا من شعر رسول اللهﷺ شيئاً من قبل أنس بن مالك.

---

(١) صحيح البخاري الحديث رقم ٥٤٤٦. (٢) الحديث رقم: ٥٤٤٧.

فقال: لأن يكون عندي منه شعرة أحبّ إلي من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.

قال الذهبي: هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس. ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبيﷺ بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت، أو شسع نعل كان له، أو قلامة ظفر، أو شفقة من إناء شرب فيه؟.

فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك، أكنت تعدّه مبذّراً أو سفيها؟ كلا[1].

٤ـ الطيب للمحرم.

اختلف المسلمون في مسألة الطيب للمحرم فذهب علماء الشيعة الإمامية إلى القول بحرمته على المحرم مع استثناء بعض الموارد، وأما رأي أهل السنة فننقل ما ذكره صاحب المغني:

قال: وجملة ذلك أنه يستحب لمن أراد الاحرام أن يتطيب في بدنه خاصة، ولا فرق بين ما يبقى عينه كالمسك والغالية، أو أثره كالعود والبخور وماء الورد، هذا قول ابن عباس وابن الزبير وسعد بن ابي وقاص وعائشة وأم حبيبة ومعاوية، وروي عن محمد بن الحنفية وأبي سعيد الخدري وعروة والقاسم والشعبي وابن جريج، وكان عطاء يكره ذلك وهو قول مالك وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر..[2].

ونلاحظ أن أم سلمة توافق ما عليه الشيعة الإمامية فقد جاء في كتاب مجمع الزوائد:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤: ٤٢.

(٢) المغني لابن قدامه ٣: ٢٢٦.

وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا تطيبي وأنت محرمة، ولا تمسي الحناء فإنه طيب. رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه كلام[١].

وبهذا نختم هذا الفصل من حياتها لنلتقي مع فصل آخر إن شاء الله تعالى.

* * * *

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٣ ص ٢١٨، كنز العمال ٥ : ١٢١.



الفصل الرابع

مكانتها الاجتماعية

تتمتع أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بمنزلة كبيرة وعظيمة في نفوس المسلمين عامة، منذ أول بزوغ الإسلام وإلى يومنا هذا، فهي شخصية كبيرة ومحترمة في نظر أكبر شخصية في الدولة الإسلامية وهو الرسول محمدﷺ، كما أنها شخصية عظيمة عند غيره من الصحابة والتابعين وسائر المسلمين أيضاً.

ولم يكن هذا النفوذ الروحي والقوي ناشئاً من كونها أماً للمؤمنين وزوجة لرسول ربِّ العالمين فقط وفقط، بل لما تمتعت به من صفات، وأضافته إلى ذلك من أخلاق وإيمان وتقوى ورجاحة عقل وحسن رأي واتزان في الموقف، قال تعالى: ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن** ﴾، فنفي الشبيه عنهن مشروط بشرط التقوى، وعامل التقوى في الإنسان باستطاعته أن يخلق من الضعيف قوياً ومن الذليل عزيزاً، كما أن ما يقابل هذا العامل يصنع العكس، ومراحل التأريخ الإسلامي ـ لا سيما في انطلاقته الأولى ـ أكبر شاهد على ما نقول، فلم تكن قوة قريش الطاغية، ولا جبروتها المخزي إلا زيادة في انحطاط أهلها الذين قاوموا بروز الإسلام وانتشاره، كما أن إيمان الضعفاء وتقوى العبيد جعلتهم في القمة العالية، فيذكرهم الذاكر حين يذكرهم بانحناءة ذليلة أمام تلك المواقف الجليلة، واحترام كبير، أمام ذلك العمل الخطير، فمن من الناس لا يهتز عند سماعه لموقف ياسر وسمية أول شهيدين في دنيا الإسلام؟!

فأم سلمة رضي الله عنها نالت ما نالت من بُعد اجتماعي لأنها أم للمؤمنين من جهة، ولأنها اتقت ربها من جهة أخرى فحققت شرط الآية الكريمة، ولأنها وقفت

مواقف جليلة وشجاعة أبرزت فيها إيمانها القوي وحبها المخلص للمسلمين والمسلمات، ولأنها كانت عالمة يفد الناس عليها ليستقوا من منهلها العذب، ويضاف إلى ذلك كله كونها ابنة (زاد الراكب) ولهذا زادت عند الأنصار كرامة عندما عرفوا أنها ابنته، وفي هذا الفصل سوف نبحث عن علاقاتها الاجتماعية ونفوذها في المجتمع الإسلامي.

أ- علاقتها بالرسول ﷺ

لا أعني بهذه العلاقة علاقة الزوجية، مع أنها على رأس العلاقات الاجتماعية، فإن هذا الأمر قد تقدم الكلام فيه وما يرتبط به، وهو أمر واضح لكل أحد، مع مشاركة نسوة ثمان لها في ذلك، بل أريد العلاقة التي يمكن أن تميزها عن سائر زوجات الرسول ﷺ عدا السيدة خديجة عليها السلام، فهناك مواقف تحكي منزلتها عنده ﷺ، ومنزلته عندها، ونستعرض أولاً مكانتها عند الرسول ﷺ، ثم نعقب ذلك بمكانته عندها:

■ مكانتها عند الرسول ﷺ

لأم سلمة مكانة عند الرسول ﷺ اختصت بها دون سائر نسائه ما عدا السيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام، يعرف ذلك كل من اطلع على سيرة الرسول ﷺ مع نسائه وهو صاحب الخلق العظيم مع الناس كافة، وإنما استثنينا السيدة خديجة عليها السلام، لأنها رابعة سيدات نساء العالم، لا يشاركهن في ذلك غيرهن من نساء الأولين والآخرين، من زوجات الأنبياء والمرسلين وغيرهن، ولما عرف من أقواله ﷺ في حقها أمام نسائه حتى غارت بعضهن من كثرة ما يذكرها ويثني عليها، وقالت: إن الله أبدلك خيراً منها، فردَّ عليها بكل صراحة بأنه لم يبدله الله خيراً منها، فهي التي آمنت به حين كذبه الناس، وليس الكلام حول ذلك من

مختصات الكتاب، وهذه إشارة لابدَّ من التعرض لها، ونـلمح لمكـانة أم سـلمة رضي الله عنها في ضمن نقاط:

١ـ المعروف عند الشيعة الإمامية أن أم سلمة رضي الله عـنها أفـضل نسـاء النبيﷺ، بعد السيدة خديجة، ولقد جاءت الرواية المـصرحـة بـذلك كـما فـي الخصال وغيره: (أفضلهن خديجة ثم أم سلمة ثم ميمونة)[١].

وهذه الدعوى لها ما يؤيدها من روايات أهل السنة أيضاً كما سيمر عليك من خلال ما يأتي[٢].

---

(١) الخصال: باب التسعة ص ٤١٩، وسائل الشيعة باب ١٤٠ من أبواب مقدمات النكاح، الحديث!! البحار ٢٢: ١٩٣، الحدائق الناضرة: ٢٣ / ٩٥.

(٢) والمناسب هنا أن ننقل ما جاء في كتاب المراجعات، المراجعة ٧٨، للسيد شرف الدين أعلى الله مقامه من المقارنة بين أم سلمة وعائشة، وذلك لأن المعروف عند أهل السنة هو تفضيل عائشة على نسـاء النبيﷺ، فتعجّب الشيخ سليم البشري من تقديم السيد حديث أم سلمة على حديث عائشة فأفاض السيد القول في ذلك، وإليك نص عبارته:

(إن السيدة أم سلمة لم يصغ قلبها بنص الفرقان العظيم، ولم تؤمر بالتوبة في محكم الذكر الحكيم[١] ولا نزل القرآن بتظاهرها على النبي، ولا تظاهرت من بعده على الوصي[٢] ولا تأهب الله لنـصرة نـبيه عـليها وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، ولا توعدها الله بالطلاق، ولا هددها بـان يـبدله خيرا منها[٣] ولا ضرب امرأة نوح وامرأة لوط لها مثلا[٤] ولا حاولت من رسول الله(ص) أن يحرم على نفسه ما أحل الله له[٥] ولا قام النبي (ص) خطيبا على منبره فأشار نحو مسكنها قائلا: «هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة؛ حيث يطلع قرن الشيطان[٦] ولا بلغت في آدابها أن تمد رجلها في قبلة النبي (ص)، وهو يصلي ـ احتراما له ولصلاته ـ ثم لا ترفعها عن محل سجوده حتى يـغمزها، فـإذا غـمزها رفعتها، حتى يقوم فتمدها ثانية[٧] وهكذا كانت، ولا أرجفت بعثمان، ولا ألبت عليه، ولا نبزته نعثلا ولا قالت: اقتلوا نعثلا فقد كفر[٨] ولا خرجت من بيتها الذي أمرها الله عزوجل أن تقر[٩] فيه، ولا ركبت العسكر[١٠] قعودا من الابل تهبط واديا وتعلو جبلا، حتى نبحتها كلاب الحوأب، وكان رسـول اللـه (ص) أنذرها[١١] بذلك، فلم ترعو ولم تلتو عن قيادة جيشها اللهام الذي حشدته على الامام.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التحريم ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾.

(٢) تظاهرها على الوصي كان بانكارها الوصية اليه وبتحاملها عليه مدة حياته بعد النبي، أما تظاهرها على النبي وتأهب الله لنصرة نبيه عليها، فمدلول عليهما بقوله تعالى: ﴿وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾.

(٣) هذا والذي قبله إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات

٢ـ جاء في كتابي المستدرك والإصابة: (عن هند بنت الحارث الفراسية رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: إن لعائشة مني شعبة ما نزلها أحد، قال: فلما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة سئل رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله ما فعلت الشعبة؟ فسكت رسول الله ﷺ، فعلم أن أم سلمة قد نزلت عنده)[١].

ولا نريد أن نحاسب صدر الرواية الآن، أعني أن لعائشة شعبة ما نزلها أحد في الوقت الذي تروي عائشة روايات تفيد حب الرسول ﷺ الكبير للسيدة خديجة بحيث أثار في نفسها الغيرة عليها مع أنها لم ترها!

٣ـ جاء في كتاب الطبقات ما لفظه: (عن فاطمة الخزاعية قالت: سمعت عائشة تقول يوماً: دخل علي يوماً رسول الله ﷺ فقلت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حميراء كنت عند أم سلمة، فقلت: ما تشبع من أم سلمة)[٢].

وجاء فيه أيضاً:

قال الزهري: فقلت لعلي بن الحسين: كن عائشة وزينب هما، قال: إن أم سلمة قد كان لها عند رسول الله منزل ومحبة[٣].

---

(١) مستدرك الحاكم ٤ / ٢٠، الإصابة ٨ / ١٥١، تاريخ الطبري ١١ / ٦٠٤.
(٢) الطبقات لابن سعد ٨ / ٨٠.
(٣) الطبقات ٨ / ١٧٢.

مؤمنات﴾ الآية.
(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾، إلى آخر السورة.
(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك﴾.
(٦) اخرجه البخاري في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي من كتاب الجهاد والسير من صحيحه، وهو في ص ١٢٥ من جزئه الثاني بعد باب فرض الخمس وباب أداء الخمس بيسير؛ ولفظه في صحيح مسلم: خرج رسول الله من بيت عائشة، فقال: رأس الكفر ها هنا حيث يطلع قرن الشيطان، فراجع ص ٥٠٣ من جزئه الثاني.
(٧) راجع من صحيح البخاري باب ما يجوز من العمل في الصلاة وهو في ص١٤٣ من جزئه الاول..
(٨) ارجافها بعثمان، وانكارها كثيرا من أفعاله، ونبزها اياه، وقولها: اقتلوا نعثلا فقد كفر، مما لا يخلو منه كتاب يشتمل على تلك الحوادث والشؤون وحسبك ما في تاريخ ابن جرير وابن الاثير وغيرهما، وقد

٤ـ تصريح عائشة بمنزلة أم سلمة.

في الاختصاص بسنده عن أبي كبسة ويزيد بن رومان قالا: لما اجتمعت عائشة على الخروج إلى البصرة أتت أم سلمة رضى الله عنها وكانت بمكة فقالت: يا ابنة أبي أمية! كنت كبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ يقمؤ في بيتك، وكان يقسم لنا في بيتك، و كان ينزل الوحي في بيتك[١].

وجاء في البحار أيضاً: أقول وروى أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه: أن عائشة أتت أم سلمة فقالت لها: أنت أقرب منزلة من رسول الله ﷺ في نسائه، وأول من هاجر معه، وكان رسول الله يبعث إلى بيتك ما يتحف له ثم يقسمه بيننا[٢].

٥ـ ذكر المؤرخون والمحدثون والمفسرون حادثة اعتزال الرسول ﷺ لنسائه واختلفوا في سبب ذلك، وممن تعرض لهذه الحادثة صاحب البحار فهو يروي

---

(١) البحار ٣٢ / ١٦٢.

(٢) البحار ٣٢ / ١٦٧ وورد ذلك أيضاً في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ / ٢١٦.

أنبها جماعة من معاصريه، وشافهها بالتنديد بها إذ قال لها:

فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر

وانت امرت بقتل الامام* وقلت لنا إنه قد كفر.

إلى آخر الابيات وهي في ص ٨٠ من الجزء الثالث من الكامل لابن الاثير حيث ذكر ابتداء أمر وقعة الجمل.

(٩) حيث قال عز من قائل: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى﴾.

(١٠) كان الجمل الذي ركبته عائشة يوم البصرة يدعى العسكر، جاءها به يعلى بن أمية، وكان عظيم الخلق شديدا، فلما رأته أعجبها، فلما عرفت ان اسمه عسكر استرجعت، وقالت: ردوه لا حاجة لي فيه، وذكرت ان رسول الله ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه، فغيروه لها بجلال غير جلاله، وقالوا لها أصبنا لك أعظم منه وأشد قوة فرضيت به، وقد ذكر هذه القضية جماعة من أهل الاخبار والسير، فراجع ص ٨٠ من المجلد الثاني من شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة.

(١١) والحديث في ذلك مشهور وهو من أعلام النبوة وآيات الاسلام، وقد اختصره الامام أحمد بن حنبل اذ أخرجه من حديث عائشة في مسنده ص ٥٢ وص ٩٧ من جزئه السادس. وكذلك فعل الحاكم اذ أخرجه في ص ١٢٠ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرك، واعترف الذهبي بصحته اذ أورده في تلخيص المستدرك.

رواية مطولة نذكر ما يخص محل الشاهد منها: (قال: ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره ذلك نزل منزل أم سلمة زوجته، فأقام بها شهراً لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه كما كان يفعل قبل ذلك، قال: فشكت عائشة وحفصة ذلك إلى أبويهما فقالا لهما: إنا لنعلم لم صنع ذلك، ولأي شيء هو، امضيا إليه فلاطفاه في الكلام وخادعاه عن نفسه، فإنكما تجدانه حيياً..)[١].

٦ـ اختصاصها بهديته الثمينة.

عن أم سلمة قالت: لما تزوجني رسول الله ﷺ قال: إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي مسك ولا أراه إلا قد مات وسترد الهدية، فإن كان كذلك فهي لك، قالت: فكان كما قال النبي ﷺ، مات النجاشي وردت الهدية، فدفع النبي ﷺ إلى كل امرأة من نسائه أوقية مسك، ودفع الحلة وسائر المسك إلى أم سلمة[٢].

٧ـ قبول شفاعتها ووساطتها عنده.

جاء في الاستيعاب: ثم أنه (عبد الله بن أبي أمية) خرج مهاجراً إلى النبي ﷺ فلقيه بالطريق بين السقيا والعرج وهو يريد مكة عام الفتح فتلقاه فأعرض عنه رسول الله ﷺ مرة، فدخل على أخته وسألها أن تشفع له فشفعت له أخته أم سلمة، وهي أخته لأبيه فشفعها رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه[٣].

وقد تقدم أسلوبها الحسن في خطابها مع الرسول ﷺ وهي تشفع لأخيها.

وجاء في المعجم الكبير أيضاً بعد ذكر قصة الثلاثة الذين تأخروا عن الرسول ﷺ ثم تابوا: (وكانت أم سلمة نعم الشفيع إذا كانت ليلتها قالت: يا رسول الله هلال بن أمية تكلمه فينا، حتى إذا كانت ذات ليلة قال: أشعرت أن الله قد تاب على الثلاثة، قالت: ألا أرسل إلى أهليهم فأبشرهم؟ قال: إذا لا يذرنا الناس ننام هذه

---

(١) البحار ٢٨ / ١٠٧.

(٢) صحيح ابن حبان ١١ / ٥١٦، المعتصر ٢ / ٢٥٩.

(٣) الاستيعاب ٨ / ٨٦٩.

الليلة ولكن أصبحي..)[١].

٨ـ أمانتها عنده.

وتقدمت الروايات المستفيضة في ذلك.

٩ـ روايات تزويج الزهراءعليها السلام، فإنها تدل على اعتماد الرسولصلى الله عليه وآله عليها في تجهيز سيدة نساء العالمين، وستأتي روايات الزواج في فصل لاحق إن شاء الله.

وهذه الروايات تدل بوضوح على عظيم منزلتها عند الرسولصلى الله عليه وآله، كما يدل بعضها على أفضلية أم سلمة رضي الله عنها على سائر نساء النبيصلى الله عليه وآله ممن عشن معها في زمان واحد بما فيهم عائشة على خلاف ما اشتهر بين أهل السنة والجماعة، فإن نزولها هذه المنزلة عند الرسولصلى الله عليه وآله، واختصاصها بما لم يجعله لهن لم يكن بدافع العاطفة أو لهوى في نفسه، حاشاه ذلك وهو الذي بلغنا قوله تعالى: ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[٢]، والأكرم عند الرسولصلى الله عليه وآله هو الأكرم عند الله، كما أن الأكرم عند الله لابدّ أن يكون هو الأكرم عند الرسولصلى الله عليه وآله بلا إشكال، وهو الذي بلغنا أيضاً قوله تعالى: ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يُوحى** ﴾[٣]، وفعله يوافق قوله، فلم يكن فعل الرسولصلى الله عليه وآله عن هوى أبداً..

هذا بعض ما يحكي عن عظيم منزلتها عنده.

■ منزلتهصلى الله عليه وآله عندها

وأما منزلتهصلى الله عليه وآله عندها فهي لجهات متعددة، تشترك في بعضها مع سائر المسلمين والمسلمات كما تختص هي وزوجاته الأخريات في جهات أخرى.

أما جهات الاشتراك فعلى رأس القائمة كونه النبي للناس كافة الذي أمر الله سبحانه وتعالى بحبه والولاء المطلق له والبراءة من أعدائه، فلا يؤمن المؤمن بالله

---

(١) المعجم الكبير ١٩ / ٨٦.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) سورة النجم: ٣ ـ ٤.

ورسوله وهو لا يقدم الرسولﷺ على نفسه وأهله وما ملكت يمينه.

ومنها ما تمتع به الرسولﷺ من صفات تأسر كل من اتصل به أو سمع عنه، ويكفي في مدحه قوله تعالى: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[١].

وهناك الشواهد الكثيرة التي دلت على حبها الكبير للرسولﷺ، واحترامها له وتأدبها في حضرته، فلم يسمع منها كلمة نابية تسيء إليه، بخلاف ما حدّث المحدثون عن غيرها من نسائهﷺ عن عمد أو غير عمد، وسوف نشير إلى بعض ذلك في ما يأتي إن شاء الله.

جاء في المناقب في ضمن رواية: (عن أم سلمة زوج النبيﷺ وكانت ألطف نسائه وأشدهن له حباً)[٢]، وفي هذه العبارة المختصرة ما يغني عن التفصيل والتطويل.

ومن الشواهد على ما نقول:

١ـ مخاطبتها لهﷺ بقولها: (بأبي أنت وأمي)، أو ما شاكل ذلك من عبارات الفداء والتضحية الدالة على عمق الاحترام وقمة الإخلاص.

جاء في المعجم الأوسط: عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله! بأبي وأمي هل علينا جهاد؟[٣].

وفي مجمع الزوائد: وعن أم سلمة قالت: بينا رسول اللهﷺ مضطجعاً في بيتي إذ احتفز جالساً وهو يسترجع قلت: بأبي أنت وأمي ما شأنك تسترجع[٤]؟

وجاء في البحار:

(فروي عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان نبي اللهﷺ قائلاً في بيتي إذا انتبه فزعاً من منامه فقلت له: الله جارك، قال: صدقت، الله جاري لكن..)[٥].

---

(١) سورة القلم: ٤.
(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٤٦.
(٣) المعجم الأوسط ٦ / ١٩٧.
(٤) مجمع الزوائد ٧ / ٣١٦.
(٥) البحار ٢١ / ٨١.

٢ـ عن كثير بن زيد عن المطلب قال: لقد دخلت أيّم العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروساً، وقامت آخر الليل تطحن يعني أم سلمة[١].

٣ـ إهداؤها العبيد لهﷺ أو عتقها لهم بشرط خدمة الرسولﷺ.

سعيد بن جمهان، حدثني سفينة قال: قالت لي أم سلمة: أعتقك وأشترط عليك أن تخدم رسول اللهﷺ ما عشت، قال: قلت: لو أنك لم تشترطي علي ما فارقت رسول اللهﷺ ما عشت، قال: فأعتقتني واشترطت علي أن أخدم رسول اللهﷺ ما عشت رواه أبو داود في كتاب السنن[٢].

وفي البحار: وأبو ضمرة كان مما أفاء الله عليه من العرب، وهو أبو ضميرة، ويقال: اشترته أم سلمة للنبيﷺ فأعتقه[٣].

٤ـ تبركها بما يرتبط بالرسولﷺ.

أـ عن عثمان بن موهب قال: كان عند أم سلمة جلجل من فضة ضخم، فيه من شعر رسول الله، فكان إذا أصاب إنساناً الحمى بعث إليها فخضخضته فيه، ثم ينضحه الرجل على وجهه، قال: فبعثني أهلي إليها فأخرجته..[٤].

ب ـ قال فأقبل رسول اللهﷺ على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: إن هذا قد ردّ البشرى فاقبلا أنتما، فقالا: قبلنا يا رسول الله، قال: فدعا رسول اللهﷺ بقدح فيه ماء، ثم قال لهما: اشربا منه وأفرغا على وجوهكما أو نحوركما، فأخذا القدح ففعلا ما أمرهما به رسول اللهﷺ فنادتنا أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما في إنائكما، فأفضلا لها منه طائفة[٥].

(١) المنتخب من كتاب أزواج النبيﷺ ٢ / ٤٣، الطبقات لابن سعد ٨ / ٩٢، تاريخ الطبري ١١ / ٦٠٤ عن ابن عمر.
(٢) سنن البيهقي ١٠ / ٢٩١، سنن أبي داود الحديث ٣٤٣٠، مسند أحمد الحديث: ٢٥٤٨٦.
(٣) البحار ٢٢ / ٢٥٦.
(٤) البداية والنهاية ٦ / ٢١، البخاري الحديث: ٥٤٤٦ باختلاف يسير.
(٥) صحيح ابن حبان ٢ / ٣١٨.

٥ـ جاء في المستدرك من جملة رواية: أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم وهو عند زوجته أم سلمة: إني لأشتهي تمر عجوة، فبعثت صاعين من تمر إلى رجل من الأنصار، فجاء بدل صاعين صاع من تمر عجوة، فقامت فقدمته إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه أعجبه فتناول تمرة ثم أمسك فقال من أين لكم هذا؟ فقالت أم سلمة: بعثت صاعين من تمر إلى رجل من الأنصار فأتانا بدل صاعين هذا الصاع الواحد وها هو كل، فألقى التمرة بين يديه فقال: ردوه لا حاجة لي فيه التمر بالتمر[١].

والشاهد من ذكر هذه الرواية هو أنها ما إن سمعت بأن النبي ﷺ يشتهي تمر العجوة حتى أرسلت إلى من عنده ليأتي به إلى الرسول ﷺ وبذلت إزاء ذلك ما يكون عوضاً عن ما تأخذه، غير أنها لم تكن عالمة بالحكم الشرعي في هذا المورد ـ كما يظهر من الرواية ـ فإن بيع المكيل من جنس واحد لا يكون إلا بالتساوي، وأما مع الزيادة في أحدهما يكون من الربا المحرم.

٦ـ مراقبتها لقولها في حق الرسول ﷺ.

عن يحيى بن الجزار قال: دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ على أم سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين حدثينا عن سرّ رسول الله ﷺ، قالت: كان سره وعلانيته سواء، ثم ندمت قالت: أفشيت سر رسول الله ﷺ، قالت: فلما دخل أخبرته فقال: أحسنت[٢].

٧ـ تجمع عرقه وتجعله في الطيب.

٨ـ خطابها للرسول ﷺ في زواج السيدة الزهراء عليها السلام.

٩ـ ما ورد عنها مما يرتبط بوفاته ﷺ.

---

(١) المستدرك ٢ / ٤٩.

(٢) مجمع الزوائد ٨ / ٢٨٤، مسند أحمد الحديث: ٢٥٤١٩.

أ ـ جاء في البحار من جملة رواية مفصلة: ثم قام رسول الله ﷺ فدخل بيت أم سلمة وهو يقول: رب سلّم أمه محمد من النار و يسر عليهم الحساب، فقالت أم سلمة: يا رسول الله ما لي أراك مغموماً متغير اللون؟ فقال: نعيت إلي نفسي هذه الساعة، فسلام لك في الدنيا فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمد أبداً، فقالت أم سلمة: واحزناه حزناً لا تدركه الندامة عليك يا محمداه، ثم قال ﷺ: ادع لي حبيبة قلبي وقرة عيني فاطمة تجيء، فجاءت فاطمة عليها السلام وهي تقول: نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء[1].

ب ـ عن عبد الله بن وهب عن أم سلمة قالت: بينا نحن مجتمعون نبكي لم ننم ورسول الله ﷺ في بيوتنا ونحن نتسلى برؤيته على السرير، إذ سمعنا صوت الكرارين في السحر، قالت أم سلمة: فصحنا وصاح أهل المسجد، فارتجت المدينة صيحة واحدة، وأذّن بلال بالفجر، فلما ذكر النبي ﷺ بكى وانتحب، فزادنا حزناً، وعالج الناس الدخول إلى قبره فغلق دونهم، فيالها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت، إذ ذكرنا مصيبتنا به ﷺ[2].

ويظهر من بعض الروايات أنها كانت تودع الرسول ﷺ على الباب حينما يريد الخروج من منزلها[3]، وهذا الفعل غاية في احترام الزوجة لزوجها.

فمن هذه الروايات نعرف مدى احترام أم سلمة رضي الله عنها للرسول ﷺ، فهي بذلك تمثل الخلق الإسلامي الرفيع في معاملتها لزوجها من جهة، وفي معاملتها لنبيها ونبي بني آدم كافة من جهة أخرى، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل ـ بعد إيمانها العميق ـ على معرفتها لتعاليم الإسلام معرفة حقيقية، واقتناعها بها قناعة تامة لا يريبها شيء.

---

(١) البحار ٢٢ / ٥٠٩.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٥ / ٢٧٠.
(٣) سنن أبي داود الحديث ٤٤٣٠.

ولكي يتضح لنا أهمية هذا الموضوع علينا أن نقارن بين هذه الأساليب التي قامت بها أم سلمة رضي الله عنها، وبين الأساليب التي قامت به بعض نساء النبي ﷺ تجاهه ليتضح أن الفرق جدُّ كبير بين الموقفين، ونقتصر من ذلك على بعض ما رواه علماء أهل السنة، فمن ذلك:

١ـ عن أنس بن مالك، أنهم كانوا يوماً عند رسول الله ﷺ في بيت عائشة زوج النبي ﷺ، قال: فبينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا أتي رسول الله ﷺ بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة رضي الله تعالى عنها، فوضعت بين يدي النبي ﷺ فقال: ضعوا أيديكم فوضع النبي ﷺ ووضعنا أيدينا فأكلنا، وعائشة تصنع طعاماً عجلة معجلة، فدارت الصحفة التي أتي بها، فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته، ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها، وقالت، وقالت، فقال رسول الله ﷺ: كلوا باسم الله، غارت أمكم، ثم أعطى صحفتها أم سلمة وقال: طعام مكان طعام، وإناء مكان إناء[1].

٢ـ عن عائشة قالت: كان رسول الله قلَّ يوم إلا وهو يطوف على نسائه، فيدنو من أهله فيضع يده، ويقبّل كل امرأة من نسائه، حتى يأتي على آخرهن، فإن كان يومها قعد عندها وإلا قام، فكان إذا دخل بيت أم سلمة يحتبس عندها، فقلت أنا وحفصة ـ وكانتا جميعاً يداً واحدة ـ: ما نرى رسول الله يمكث عندها إلا أنه يخلو معها، تعنيان الجماع، قالت: واشتد ذلك علينا حتى بعثنا من يطلع لنا ما يحبسه عندها، فإذا هو إذا صار إليها أخرجت له عكة من عسل، فتحت له فمها فيلعق منه لعقاً، وكان العسل يعجبه، فقالتا: ما من شيء نكرهه إليه حتى لا يلبث في بيت أم سلمة؟ فقالتا: ليس شيء أكره إليه من أن يقال له: نجد منك ريح شيء، فإذا جاءك

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ١ / ٣٤٢، المعجم الأوسط ٤ / ٢٧٥، عمدة القاري للعينى / ٧ج ١٣ / ٣٧، المعتصر من المختصر لأبي المحاسن يوسف الحنفي ٢ / ٤.

فدنا منك فقولي: إني أجد منك ريح شيء، فإنه يقول: من عسل أصبته عند أم سلمة، فقولي له: أرى نحله جَرَسَ عرفطاً، فلما دخل على عائشة فدنا منها قالت: إني لأجد منك شيئاً، ما أصبت؟ فقال: عسل من بيت أم سلمة، فقالت: يا رسول الله! أرى نحله جرس عرفطاً، ثم خرج من عندها، فدخل على حفصة، فدنا منها، فقالت مثل الذي قالت عائشة، فلما قالتاه جميعاً اشتد عليه، فدخل على أم سلمة بعد ذلك فأخرجت له العسل، فقال: أخّريه عني لا حاجة لي فيه، فقالت: فكنت والله أرى أن قد أتينا أمراً عظيماً، منعنا رسول الله شيئا كان يشتهيه[١].

٣ـ ذكر في سبب نزول سورة التحريم أمور منها: ان رسول الله ﷺ قسم الأيام بين نسائه، فلما كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله! إن لي إلى أبي حاجة فأذن لي أن أزوره، فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية، وكان قد أهداها له المقوقس، فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب، فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً فقالت حفصة: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي و على فراشي، أما رأيت لي حرمة وحقاً؟ فقال ﷺ: أليس هي جاريتي قد أحل الله ذلك لي؟ أسكتي فهي حرام علي ألتمس بذاك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأة منهن، وهو عندك أمانة، فلما خرج ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عايشة فقالت: ألا أبشرك إن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمته مارية، وقد أراحنا الله منها وأخبرت عايشة بما رأت، وكانتا متصادقتين متظاهرتين على سائر أزواجه، فنزلت ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ﴾ فطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً، وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية[٢].

---

(١) الطبقات لابن سعد ٨ / ١٧٠، المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ ٢ / ٤٣. العرفط شجر خشن لصمغه ريح.

(٢) البحار ٢٢ / ٢٢٩.

ونحن وإن لم نطمئن إلى أن السرّ الذي أسرّه النبيﷺ لبعض أزواجه هو هذا المذكور في هذه الرواية، إذ ما يظهر من عبارة (التظاهر)، وقيام الرسولﷺ تجاهه بهذا العمل الكبير يفيدان شيئاً أكبر وأخطر، إلا أن بحثه ليس من شؤون الكتاب، وذكرنا هذه الرواية كشاهد على معاملة بعض أزواج النبيﷺ له، بخلاف معاملة أم سلمة رضي الله عنها.

وما جاء في سورة التحريم خير شاهد على ما نقول بغض النظر عن طبيعة السر الذي أسره النبيﷺ لزوجته، قال تعالى: **﴿ وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير * إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وأن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾**[١].

٤ـ ومن الشواهد أيضاً ما رواه ابن أبي الحديد في شرحه حيث قال: (قال الواقدي: ولما قدم بالأسرى ـ أسرى المشركين ـ كانت سوده بنت زمعه زوجة النبيﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب، قالت سودة: فأتينا فقيل لنا: هؤلاء الأسرى قد أتي بهم، فخرجت إلى بيتي ورسول اللهﷺ فيه وإذا أبو يزيد مجموعة يداه الى عنقه في ناحية البيت، فوالله ما ملكت نفسي حين رأيته مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت: أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراماً، فوالله ما راعني إلا قول رسول اللهﷺ من البيت: يا سودة أعلى الله وعلى رسوله؟! فقلت: يا نبي الله والذى بعثك بالحق أني ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه الى عنقه أن قلت ما قلت)[٢].

وقال بعد ذلك: (قال الواقدي: وحدثني خالد بن الياس قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي جهم قال: دخل يومئذ خالد بن هشام بن المغيرة، وأمية بن أبي

---

(١) التحريم: ٣ ـ ٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٤ / ١٨٧.

حذيفة منزل أم سلمة، وأم سلمة في مناحة آل عفراء، فقيل لها: أتي بـالأسرى، فخرجت فدخلت عليهم فلم تكلمهم حتى رجعت فتجد رسول الله ﷺ في بيت عائشة فقالت: يا رسول الله إن بني عمي طلبوا أن يدخل بـهم عـلي فأضـيفهم وأدهن رؤوسهم وألم مـن شـعثهم؟ ولم أحب أن أفـعل شـيئاً مـن ذلك حـتى أستامرك، فقال ﷺ لست أكره شيئاً من ذلك، فافعلى من هذا ما بدا لك[1].

ولا أراني بحاجة إلى التعليق لبيان الفرق بين الموقفين!

ب ـ مكانتها عند أهل البيت عليهم السلام وعلاقتها بهم

ترتبط أم سلمة رضي الله عنها بأهل البيت عليهم السلام، ارتباطاً وثيقاً، دفعها إلى ذلك علاقة القرابة من جهة، وعلاقة العقيدة التي هي أقوى من الأولى من جهة أخرى، وأعني بأهل البيت هم الإمام علي عليه السلام، والسيدة فاطمة عليها السلام، والإمـام الحسـن عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام.

■ أـ علاقتها بالإمام علي عليه السلام

ارتباطها بالإمام علي عليه السلام يظهر من كثير من الروايـات التـي تـعرضنا لبـعضها وسيأتي التعرض للأخرى، فمنها على سبيل الإجمال:

١ـ في قضية زواج الإمام عليه السلام، وإليك بعض رواية في ذلك:

(ثم دعا أم سلمة فقال: يا أم سلمة ابتاعي لابنتي فـراشاً مـن حـليس مـصر، واحشيه ليفاً، واتخذي لها مدرعة وعباية قطوانية، ولا تتخذي لها أكثر من ذلك فيكونا من المسرفين، وصبرت أياماً ما أذكر لرسول الله ﷺ شيئاً من أمر ابنته حتى دخلت على أم سلمة فقالت لي: يا علي! لم لا تقول لرسول الله ﷺ يدخلك على أهلك؟ قال: قلت: أستحي منه أن أذكر له شيئاً من هذا، فقالت أم سلمة أدخل عليه

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٤ / ١٨٧.

فانه سيعلم ما في نفسك..[١].

٢ـ ما أورده في المناقب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قلت لأم سلمة زوج النبيﷺ: إنك لتكثرين من القول الطيب في علي بن أبي طالب دون نساء النبيﷺ، فهل سمعت من رسول اللهﷺ في علي شيئاً لم يسمعه غيرك؟

قالت: يا ابن عباس أما ما سمعت من رسول اللهﷺ فهو أكثر مما أقدر أن أخبرك به، ولكني أخبرك من ذلك بما يكفيك ويشفيك..[٢].

٣ـ الروايات التي دلّت على أن الإمامعليه السلام أعطاها كتبه أمانة حينما أراد الخروج إلى العراق.

٤ـ موقفها معه حينما أراد الخروج إلى العراق وقد تقدم، وفيه التبجيل من كلا الطرفين.

٥ـ إرسال ولدها عمر ليكون مع الإمامعليه السلام في حرب الجمل.

٦ـ موقفها مع عائشة حينما أرادت الخروج على الإمامعليه السلام.

٧ـ مواقفها الكثيرة التي دافعت فيها عن الإمام عليعليه السلام وبينت منزلته في الإسلام.

■ **ب ـ علاقتها بالسيدة فاطمة الزهراءعليها السلام**

ويظهر ذلك من الروايات التي تعرضت لخبر زواج السيدة الزهراءعليها السلام وأنه كان في بيت أم سلمة، ولم تكن حركتها في ذلك الزواج من الأول والأخير إلا حركة امرأة محبة مخلصة قد تفانت في حب أهل بيت نبيهاﷺ.

ويكشف عن هذا الارتباط الوثيق بين الطرفين أمور منها:

١ـ ما روى مرفوعاً إلى الإمام عليعليه السلام قال: لما حضرت ولادة فاطمةعليها السلام قال

---

(١) البحار ١٠٤ / ٨٧.　　(٢) مناقب أمير المؤمنين١٧ / ٣٥٤.

رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس و أم سلمة أحضراها، فإذا وقع ولدها واستهل فأذنا في أذنه اليمنى وأقيما في اليسرى[١].

٢ـ ما جاء في البحار: ثم تزوج أم سلمة، فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله ﷺ وفوّض أمر ابنته إلي فكنت أؤدبها وكانت والله آدب مني، وأعرف بالأشياء كلها[٢].

٣ـ ما أوصت به السيدة الزهراء عليها السلام حين وفاتها وانتقالها إلى عالم الخلود والبقاء، فقد جاء في الرواية عن كتاب دلائل الإمامة للطبري الإمامي:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما قبض رسول الله ﷺ رأت فاطمة عليها السلام رؤيا طويلة، بشرها رسول الله ﷺ باللحوق به، و أراها منزلها، فلما انتبهت قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: إذا توفيت لا تعلم أحداً إلا أم سلمة، وأم أيمن، وفضة، ومن الرجال ابني والعباس وسلمان وعماراً والمقداد و أبا ذر[٣].

وفي هذا الخبر ما يغني عن الأخبار الكثيرة كما يتضح ذلك لمن راقب الوضع بعد وفاة الرسول ﷺ، وعرف حال السيدة الزهراء عليها السلام في ذلك الوقت الذي ضاعت فيه المفاهيم والمثل.

■ ج ـ علاقتها بالإمام الحسن عليه السلام

وفي مسند الموصلي: وكانت أم سلمة تربي الحسن وتقول:

بأبي ابن علي ... أنت بالخير ملي[٤]

■ د ـ علاقتها بالإمام الحسين عليه السلام

ويدل على ذلك أمور منها:

---

(١) البحار ٤٣ / ٢٥٥.
(٢) البحار ٩ / ٤٣.
(٣) البحار ٨١ / ٣١٠.
(٤) البحار ٤٣ / ٢٨٧.

١ـ من رواية لعبد الرحمن بن المثنى الهاشمي يسأل فيها الإمام الصادقعليه السلام: وحملت بالحسينعليه السلام فحملت ستة أشهر ثم وضعته، ولم يعش مولود قط لستة أشهر غير الحسين بن علي وعيسى بن مريمعليهما السلام، فكفلته أم سلمة، و كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يأتيه في كل يوم فيضع لسانه في فم الحسين فيمصه..[1].

٢ـ ما في البحار: ووجدت في بعض الكتب أنهعليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة رضى الله عنها فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء، فقال لها: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، و ليس لي من هذا بد، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حفرتي ومضجعي ثم أشارعليه السلام إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً، وسلّمت أمره إلى الله، فقال لها: يا أماه قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً.

وفي رواية أخرى قالت أم سلمة: وعندي تربة دفعها إلي جدك في قارورة، فقال: والله إني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً، ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة، وأعطاها إياها، وقال: اجعليها مع قارورة جدي، فإذا فاضتا دماً فاعلمي أني قد قتلت[2].

---

(١) البحار ٢٥ / ٢٥٤، و٤٣ / ٢٤٥، الإمامة والتبصرة ص ٥٢.

(٢) البحار ٤٤ / ٢٤١.

٣ـ قال ابن عباس: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة، وهي تقول: يا بنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي، فقد قتل سيدكن، فقيل: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله الساعة في المنام شعثاً مذعوراً فسألته عن ذلك فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته فدفنتهم، قالت: فنظرت فإذا بتربة الحسين الذي أتى بها جبرئيل من كربلا، وقال: إذا صارت دماً فقد قتل ابنك[1].

٤ـ عبد الحميد بن بهرام، وآخر ثقة عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله حين أتاها قتل الحسين فقالت: قد فعلوها ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ووقعت مغشية عليها فقمنا[2].

٥ـ حدثني زريق، حدثني سلمان قال: دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً[3].

وفي هذا المعنى روايات كثيرة، ونكتفي بهذا المقدار وهي بدورها تعطينا مدى العلاقة التي كانت بين الإمام الحسين عليه السلام وبين أم سلمة، بل بينها وبين سائر أهل البيت عليهم السلام.

ويمكن أن يضاف إلى علاقتها بأهل البيت عليهم السلام ما حدّث به صاحب الخرائج فقد قال:

ومنها: أن علياً عليه السلام بكى يوماً وقال: ماتت أمي. فنهض النبي صلى الله عليه وآله فقال: هي والله أمي حقاً، ما رأيت من عمّي شيئاً إلا وقد رأيت منها أكثر منه. ثم صاح

---

(١) البحار ٤٥ / ٢٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٨، البداية والنهاية ٦ / ٢٣١، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٤، وقال: رواه الطبراني ورجاله موثقون.

(٣) المستدرك ٤ / ٢٠، التاريخ الكبير للبخاري ٣ / ٣٢٤.

يا أم سلمة! هذه بردتي فأزريها فيها، وهذه قميصي فدرعيها فيها، وهذا ردائي فأدرجيها فيه، فإذا فرغت من غسلها فاعلميني.

فأعلمته أم سلمة فحملها على سريرها، ثم صلى عليها، ثم نزل لحدها فلبث ما شاء الله لا يسمع له إلا همهمة.

ثم صاح يا فاطمة! قالت: لبيك يا رسول الله. قال: هل رأيت ما ضمنت لك؟

قالت: نعم فجزاك الله عني في المحيا والممات أفضل الجزاء.

فلما سوّى عليها وخرج سئل عنها فقال: قرأت عليها يوماً ﴿ **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة** ﴾[1].

فقالت: يا رسول الله وما فرادى؟ قلت: عراة. قالت: واسوأتاه. فسألت الله ألا تبدو عورتها.

ثم سألتني عن منكر ونكير فأخبرتها بحالهما بأنهما كيف يجيئان قالت: واغوثاه بالله منهما. فسألت الله أن لا يريهما إياها، وأن يفسح لها في قبرها، وأن يحشرها في أكفانها[2].

وقد تجاوزنا محل الشاهد من الرواية إتماماً للفائدة، وتنبيهاً على فضل أم أمير المؤمنين فاطمة بنت أسدعليها السلام.

ج- مع نساء النبيصلى الله عليه وآله

هناك روايات تشير إلى أن نساء النبيصلى الله عليه وآله كنّ حزبين، حزب يتكون من عائشة وحفصة وسودة وصفية، والحزب الآخر يتكون من سائر أمهات المؤمنين وبهذا التفصيل روايات منها:

ما رواه الطبراني بقوله: عن عائشة أن نساء النبيصلى الله عليه وآله كن حزبين: حزب فيه

---

(١) سورة الأنعام: ٩٤.

(٢) الخرائج والجرائح ١ / ٩٠.

عائشة وحفصة وصفية وسودة، وحزب فيه أم سلمة وسائر أزواج النبيﷺ[١].

وفي فتح الباري: والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول اللهﷺ، أي بقيتهن وهي زينب بنت جحش الأسدية، وأم حبيبة الأموية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، دون زينب بنت خزيمة أم المساكين[٢].

ونحن نتوقف في هذا التقسيم كثيراً؛ لأن الملاحظ أن عائشة وحفصة كانتا يداً واحدة، ومتصافيتين في ما بينهما تماماً، فالذي نظنه أن الحزب الأول متكون من اثنتين هما عائشة وحفصة، ويحتمل ان تكون معهما سودة، وإن وقفتا منها وقفة غيرة في بعض المواقف كما تشير له رواية مجمع الزوائد: وعن رزينة مولاة رسول اللهﷺ أن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها، وعندها حفصة بنت عمر، فجاءت سودة في هيئة وفي حالة حسنة، عليها برد من دروع اليمن، وخمار كذلك، وعليها نقطتان مثل الفرستين من صبر وزعفران إلى موقها، قالت عليلة: وأدركت النساء يتزين به، فقالت حفصة لعائشة: يا أم المؤمنين يجيء رسول اللهﷺ وهذه بيننا تبرق، فقالت أم المؤمنين: أتقي الله يا حفصة، فقالت: لأفسدن عليها زينتها، قالت: ما تقلن؟ وكان في أذنها ثقل، قالت لها حفصة: يا سودة خرج الأعور، قالت: نعم؟ ففزعت فزعاً شديداً فجعلت تنتفض قالت: أين أختبئ؟ قالت عليك بالخيمة، خيمة لهم من سعف يختبئون فيها، فذهبت فاختبأت فيها، وفيها القذر، ونسيج العنكبوت، فجاء رسول اللهﷺ وهما تضحكان لا تستطيعان أن يتكلما من الضحك، فقال ماذا الضحك؟ ثلاث مرات، فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة، فذهب فاذا سودة ترعد، فقال لها: يا سودة! مالك؟ قالت: يا رسول الله

---

(١) المعجم الكبير ٢٣ / ٥٠، سير أعلام النبلاء ٢ / ١٤٣.

(٢) فتح الباري ٥ / ٢٠٦.

خرج الأعور، قال: ما خرج وليخرجن، ما خرج وليخرجن، فأخرجها فجعل ينفض عنها الغبار، ونسيج العنكبوت.

رواه أبو يعلى والطبراني إلا أنه قال: فقالت حفصة لعائشة: يدخل علينا رسول الله ﷺ ونحن فسقتين وهذه بيننا تبرق[١].

ويمكن أن يستدل على عدم كون السيدة صفية معهما بتفريق عمر في العطاء، فقد روى في المصنّف: عن أبي الحويرث أن عمر فرض للعباس سبعة آلاف، ولعائشة وحفصة عشرة آلاف، ولأم سلمة وأم حبيبة وميمونة وسودة ثمانية آلاف ثمانية آلاف، وفرض لجويرية وصفية ستة آلاف ستة آلاف، وفرض لصفية بنت عبد المطلب نصف ما فرض لهن، فأرسلت أم سلمة وصواحبها إلى عثمان بن عفان فقلن له: كلم عمر فينا؛ فإنه قد فضل علينا عائشة وحفصة، فجاء عثمان إلى عمر فقال: إن أمهاتك يقلن لك: سوِّ بيننا لا تفضل بعضنا على بعض، فقال: إن عشت إلى العام القابل زدتهن ألفين ألفين، فلما كان العام القابل جعل عائشة وحفصة في اثني عشرة ألفاً اثني عشر ألفاً، وجعل أم سلمة وأم حبيبة في عشرة آلاف عشرة آلاف، وجعل صفية وجويرية في ثمانية آلاف ثمانية آلاف، فلما رأين ذلك سكتن عنه[٢].

فإن السيدة صفية لو كانت مع عائشة وحفصة في حزب واحد لبعد تفريق عمر بينها وبينهما في العطاء.

والذي يدل على أن السيدة صفية لم تكن معهما أيضاً ما رواه غير واحد من تعييرهما لها بقولهما: (ابنة اليهودية) أو كلاماً يشبه ذلك، مما أثر على نفسها فرفعت أمرهما إلى الرسول ﷺ واشتكتهما عنده، فقد جاء في عمدة القاري للعيني: إن صفية بنت حي أتت النبي ﷺ فقالت: إن النساء يعيرنني ويقلن: يا

---

(١) مجمع الزوائد ٤ / ٣١٦.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٦ / ٤٥٤.

يهودية بنت يهوديين، فقالﷺ: هلا قلت: إن أبي هارون وعمي موسى وأن زوجي محمد[1].

وفي تفسير البغوي قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء** ﴾...، عن أنس أنها نزلت في نساء رسول اللهﷺ حين عيرن أم سلمة بالقصر. وعن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين[2].

والملاحظ أن كلا المصدرين لم يذكرا اسم من قام بهذا العمل مما يوحي للقارئ أن كل نساء النبيﷺ قمن به، وهو ليس كذلك كما صرحت به رواية المستدرك:

عن صفية رضي الله عنها قالت: ثم دخل علي رسول اللهﷺ وأنا أبكي فقال: يا بنت حيي! ما يبكيك؟ قلت: بلغني أن حفصة وعائشة ينالان مني، ويقولان نحن خير منها نحن بنات عم رسول اللهﷺ وأزواجه، قال: ألا قلت كيف تكونان خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد صلوات الله وسلامه عليهم[3]؟!.

ثم إن هناك روايات نصت على أن عائشة وحفصة كانتا يداً واحدة على نساء النبيﷺ منها ما تقدم قريباً عن مصادر متعددة قول الراوي عندما ذكر كلام عائشة: (فقلت أنا وحفصة ـ وكانتا جميعاً يداً واحدة ـ: ما نرى رسول الله يمكث عندها إلا أنه يخلو معها، تعنيان الجماع).

ومنها: ما عن عائشة قالت: لما تزوج النبيﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكروا لنا من جمالها، فتلطّفت حتى رأيتها، فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن، فذكرت ذلك لحفصة وكانتا يداً واحدة..[4].

---

(١) عمدة القاري للعيني ١١ جزء ٢٢ / ١٢٢.
(٢) تفسير البغوي ٤ / ٢١٤ ـ ٢١٥.
(٣) المستدرك ٤ / ٣١.
(٤) سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٠٩، وغيره.

ومنها ما تقدم أيضاً عن البحار: وأخبرت عايشة بما رأت، وكانتا متصادقتين متظاهرتين على سائر أزواجه.

فيمكننا أن نخلص إلى القول بأن السيدة أم سلمة كانت على وئام مع سائر نساء النبي ﷺ إلا مع عائشة وحفصة، وقد يكون ذلك لسببين:

الأول: الغيرة التي تصيب بعض النساء ولا سيما الضرائر، ولقد كانت أم سلمة امرأة جميلة مؤمنة طيبة محظوظة عند الرسول ﷺ مما أثر في نفسية الضرتين وبالخصوص عائشة، فأبرزت ذلك بالقول والفعل، وقد نقلنا فيما تقدم من فصول الكتاب روايات لعائشة نفسها حسب ما جاء موثقاً في كتب أهل السنة، ومن تلك الروايات أيضاً ما جاء في كتاب أسباب النزول للواحدي في قوله تعالى: ﴿ **ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن** ﴾[1] نزلت في امرأتين من أزواج النبي ﷺ سخرتا من أم سلمة، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجر خلفها[2].

وفي البحار: قال الطبرسي طيب الله رمسه قوله: (و لا نساء من نساء) نزل في نساء النبي ﷺ يسخرن من أم سلمة عن أنس، وذلك إنها ربطت حقويها بسبنيه، وهي ثوب أبيض، وسدلت طرفيها خلفها، وكانت تجر، فقالت عايشة لحفصة: أنظري ماذا تجر خلفها؟ كأنه لسان كلب، فهذا كانت سخريتها، و قيل: إنها عيرتها بالقصر وأشارت بيدها إنها قصيرة عن الحسن[3].

الثاني: انتصار السيدة أم سلمة للإمام علي عليه السلام ولا سيما في موقعة الجمل حيث كانت عائشة فيها طرفاً مناوئاً للإمام علي عليه السلام، وقد ردعتها أم سلمة عن ذلك ووقفت موقفاً شديداً منها سيأتي تفصيله في فصل لاحق إن شاء الله.

كما أن أم سلمة وقفت مواقف متعددة مما يخص الروايات التي تتصل بالإمام

---

(١) سورة الحجرات: ١١.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٣٣٠.

(٣) البحار ٢٢ / ٢٢٤.

علي عليه السلام لم تكن ترضي عائشة، وسيأتي بعض ذلك، ومن باب المثال: أن عائشة قد روت بأن الرسول صلى الله عليه وآله مات ما بين حجرها ونحرها، بينما روت أم سلمة أن آخر الناس عهداً بالرسول صلى الله عليه وآله هو الإمام علي عليه السلام، وروت عائشة رواية مفصلة فيها مدح للإمام علي عليه السلام ولم تذكر اسمه، وروت الرواية نفسها أم سلمة وذكرت أن ذلك الصحابي هو الإمام علي عليه السلام وهكذا..

وأما علاقتها مع سائر النساء فلم يتسن لنا الحصول على شيء فيه تفصيل تتضح به الصورة تامة كاملة غير ما مرّ من جعلها رئيسة للحزب الثاني، ولم يرو الرواة ـ حسب اطلاعي ـ ما يدل على منافرة أو حصول مشادة بينها وبين إحداهن، ولكن جاء في الإصابة ما لفظه: (ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدي، أنها ذكرت زينب فترحّمت عليها، وذكرت ما يكون بينها وبين عائشة، فذكرت نحو هذا، قالت أم سلمة: وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت صالحة صوامة قوامة صناعاً، تصدق بذلك كله على المساكين)[1].

د ـ أم سلمة في المجتمع الإسلامي

كل من يقرأ حياة هذه السيدة الجليلة يعرف أنها تتمتع بمنزلة خاصة في نفوس المسلمين، وقد أشرنا في مطلع هذا الفصل ما يمكن أن يكون سبباً لذلك، وما علينا الآن إلا أن نستعرض الشواهد الدالة على منزلتها عندهم، وارتباطها بهم وبعض ما يصلح أن يكون سبباً لتلك العلاقة وهي:

١ـ ما مرّ علينا من قضية جابر رضي الله عنه فإنه حينما هجم بسر بن أرطاة على المدينة وطلب جابراً ليبايع لاذ بأم المؤمنين أم سلمة.

٢ـ ما مرّ أيضاً من قضية عمار رضي الله عنه وعثمان، فإنه حينما ضربه أو أمر بضربه

---

(١) الإصابة ٧ / ٤.

مَرَضَ عمار في بيت أم سلمة.

٣ـ ما تقدم من رجوع الناس إليها في أخذ معالم الدين من الحلال والحرام.

٤ـ إمامتها في الصلاة.

أـ عن عمار الدهني، عن امرأة من قومه اسمها حجيرة قالت: أمتنا أم سلمة قائمة وسط النساء[١].

ب ـ عن قتادة عن أم الحسن أنها رأت أم سلمة زوج النبي ﷺ تؤم النساء تقوم معهن في صفهن[٢].

٥ـ ما جاء في الفتوح: (جاء عمر بن أبي سلمة إلى علي رضي الله عنه فصار معه، فأنشأ رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يمدح أم سلمة وهو يقول أبياتا مطلعها:

أمّ يا أمّةِ لقيت الظفر | ثم لازلتِ تسقيّن المطر

ثم أنشأت امرأة أيضا من نساء بني عبد المطلب تمدح أم سلمة زوج النبي ﷺ وتذكر عائشة وفعلها فقالت أبياتا مطلعها:

بنت أبي أمية الداهشة | كف الى الخير لها مائشة[٣]

فهذه الأمور من مظاهر منزلتها في المجتمع الإسلامي، وقد ذكرنا بعض الأسباب التي أثرت أو ساعدت في تكوين هذه المنزلة الكبيرة، وعلى رأس تلك الأسباب كونها زوجة لنبي الإسلام ﷺ، ومما ساعد أيضا في تكوين ذلك أمور وهي كالتالي:

١ـ رأفتها وعطفها.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١ / ٣٤٠، والمصنف لعبد الرزاق ٣ / ١٤٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١ / ٤٣٠.

(٣) الفتوح لابن أعثم ٢ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

من رواية مطولة: قال وكانت توبتنا أنزلت على النبيﷺ ثلث الليل فقالت أم سلمة: يا نبي الله ألا نبشر كعب بن مالك؟ قال: إذن يخصمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة، قال: وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمري[١].

وفي فتح الباري: فأنزل الله توبتنا على نبيه حين بقي الثلث الأخير من الليل، ورسول اللهﷺ عند أم سلمة، وكانت أم سلمة محسنة في شأني معتنية بأمرى، فقال: يا أم سلمة! تيب على كعب[٢].

٢ـ كرمها.

عن بريرة أنها كانت عند أم سلمة فأتاها سائل وليس عندها إلا رغيف واحد فقالت: يا بريرة أعطيه السائل فتثاقلت، ثم تكلم السائل فقالت: يا بريرة قومي فأعطيه فتثاقلت، ثم قالت لها: قومي فأعطيه، قالت: فلما رأيتها قد عزمت قمت فأعطيته وليس عندنا طعام غيره، فلما أمسينا وأفطرنا دعت بماء فشربت، ثم وضعت رأسها فغفت فإذا إنسان يستأذن على الباب فقالت: يا بريرة انظري من هذا؟ قالت: فإذا إنسان يحمل جفنة فيها شاة مصلية، وفوقها خبز قد ملأ الجفنة قالت بريرة: فمن السرور ما دريت كيف رفعت، فقالت أم سلمة: كيف رأيت؟ هذا خير أم رغيفك؟ قالت: قلت: بل هذا، فقالت: الحمد لله، هذا مع ما ادّخر الله عزّ وجل لنا إن شاء الله[٣].

في المستدرك بسنده: قال: حدثني نبهان مكاتب أم سلمة رضي الله تعالى عنها قال: إني لأقود بها بالبيداء أو بالأبواء، قالت: من هذا؟ قلت: أنا نبهان، فقالت: إني تركت بقية مكاتبتك لابن أخي محمد بن عبد الله بن أبي أمية أعنته به في نكاحه[٤].

---

(١) المعجم الكبير ١٩ / ٤٥.
(٢) فتح الباري ٨ / ١٢١.
(٣) شعب الايمان للبيهقي ٣ / ٢٦٢.
(٤) المستدرك ٢ / ٢٣٨.

وفي مجمع الزوائد: وعن أم سلمة قالت: كان لي غزال من ذهب فأمرني النبيﷺ أن أتصدق به ففعلت رواه الطبراني[١].

وفي المصنّف: عن أم الحسن إنها كانت عند أم سلمة زوج النبيﷺ فجاء نساء مساكين، فقلت: أخرجوهن، فقالت: ما بهذا أمرنا الله، انبذ بهن بتمرة تمرة[٢].

٣ـ تفقدها لأقاربها.

في المستدرك: عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول اللهﷺ ومع المسلمين؟!.. وقد تقدمت[٣].

٤ـ تدخلها في القضايا الاجتماعية.

وفي سنن الدارقطني: عن أبي رافع قال: قالت مولاتي: لأفرّقن بينك وبين امرأتك، وكل مال لها في رتاج الكعبة، وهي يوماً يهودية، ويوماً نصرانية، ويوما مجوسية، إن لم تفرق بينك وبين امرأتك، قال: فانطلقت إلى أم المؤمنين أم سلمة فقلت: إن مولاتي تريد أن تفرق بيني وبين أمراتي، فقالت: أنطلق إلى مولاتك فقل لها: إن هذا لا يحل لك، قال فرجعت إليها[٤].

٥ـ مراعاتها للناس.

عن الشعبي عن مسروق في قوله تعالى: ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ قال: قالت امرأة: لعائشة يا أمه! فقالت لها عائشة: أنا أم رجالكم ولست أم نسائكم، قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد الله بن موسى المخزومي فقال: أخبرني مصعب بن عبد الله بن أبي أمية، عن أم سلمة زوج النبيﷺ أنها قالت: أنا أم الرجال منكم والنساء[٥].

---

(١) مجمع الزوائد ٥ / ١٧٤.
(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٢ / ٣٥٢.
(٣) المستدرك ٣ / ٤٥.
(٤) سنن الدارقطني ٤ / ١٦٤.
(٥) الطبقات ٨ / ٢٠٠.

٦ـ شفاعتها لمن أسلم.

ومن أبرز ذلك ما ورد من شفاعتها لأخيها وابن عمها وقد تقدمت القصة مفصلة، ولاحظنا حسن أسلوبها ولطف كلامها.

ومن ذلك ما في البحار من جملة رواية: وكانت هذه سبيل من جاءه، وكانت امرأة يقال لها: كلثم بنت عقبة بمكة وهى بنت عقبه بن أبي معيط مؤمنة تكتم إيمانها، وكان أخواها كافرين، أهلها يعذبونها ويأمرونها بالرجوع عن الاسلام فهربت إلى المدينة، وحملها رجل من خزاعة حتى وافى بها إلى المدينة، فدخلت على أم سلمة زوج النبي ﷺ فقالت: يا أم سلمة إن رسول الله ﷺ قد شرط لقريش أن يرد إليهم الرجال، ولم يشرط لهم في النساء شيئاً، والنساء إلى ضعف، و إن ردّني رسول الله ﷺ إليهم فتنوني وعذبوني، وأخاف على نفسى، فاسألي رسول الله ﷺ أن لا يردني إليهم، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهى عندها فأخبرته أم سلمة خبرها، فقالت: يا رسول الله هذه كلثم بنت عقبة، وقد فرّت بدينها، فلم يجبها رسول الله ﷺ بشىء، ونزل عليه الوحى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جائكم..** ﴾[1].

٧ـ اهتمامها بأمور الآخرين.

جاء في البحار: فجاءت امرأه عثمان بن مظعون إلى بيت أم سلمة فقالت لها: لم عطّلتِ نفسك من الطيب والصبغ والخضاب وغيره، فقالت: لأن عثمان بن مظعون زوجي ما قربني مذ كذا وكذا، قالت أم سلمة: ولماذا؟ قالت: لأنه قد حرم على نفسه النساء وترهّب، فأخبرت أم سلمة رسول الله ﷺ بذلك، وخرج إلى أصحابه وقال: أترغبون عن النساء؟ إنى آتي النساء، وأفطر بالنهار، وأنام الليل، فمن رغب عن سنتي فليس مني، وأنزل الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل**

---

(١) البحار ٩٢ / ٦٨.

الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله ﴾[١].

٨ـ وقوفها مع المظلوم.

وقد تعرضنا في الفصل السابق لقضية عمار وهي مما يصلح لوضعه تحت هذا العنوان، والآن نذكر قضية أخرى حصلت لعمار أيضاً مع الخليفة الثالث عثمان وهي كما في رواية الأمالي للشيخ المفيد بسنده عن أبي يحيى مولى معاذ بن عفراء الأنصاري قال: إن عثمان بن عفان بعث إلى الأرقم بن عبد الله – وكان خازن بيت مال المسلمين – فقال له : أسلفني مائة ألف درهم، فقال له الأرقم: أكتب عليك بها صكاً للمسلمين، قال: وما أنت وذاك لا أم لك، إنما أنت خازن لنا، قال: فلما سمع الأرقم ذلك خرج مبادراً إلى الناس فقال: أيها الناس عليكم بمالكم، فإني ظننت أني ـ ولم أعلم أني خازن عثمان بن عفان حتى اليوم، ومضى فدخل بيته.

فبلغ ذلك عثمان فخرج إلى الناس حتى دخل المسجد، ثم رقي المنبر وقال: أيها الناس إن أبا بكر كان يؤثر بني تيم على الناس، وإن عمر كان يؤثر بني عدي على كل الناس، وإني أوثر والله بني أمية على من سواهم، ولو كنت جالساً بباب الجنة ثم استطعت أن أدخل بني أمية جميعاً الجنة لفعلت، وإن هذا المال لنا، فإن احتجنا إليه أخذناه وإن رغم أنف أقوام.

فقال عمار بن ياسر رحمه الله: معاشر المسلمين اشهدوا أن ذلك مرغم لي، فقال عثمان: وأنت ههنا؟! ثم نزل من المنبر فجعل يتوطاه برجله حتى غشي على عمار واحتمل وهو لا يعقل إلى بيت أم سلمة، فأعظم الناس ذلك، وبقي عمار مغمى عليه لم يصل يومئذ الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق قال: الحمد لله فقديماً أوذيت في الله، وأنا أحتسب ما أصابني في جنب الله بيني وبين عثمان العدل الكريم يوم القيامة.

---

(١) البحار ٩٣ / ٧٣.

قال: وبلغ عثمان أن عماراً عند أم سلمة فأرسل إليها فقال: ما هذه الجماعة في بيتك مع هذا الفاجر؟ من عندك؟

فقالت: والله ما عندنا مع عمار إلا بنتاه، فاجتنبنا يا عثمان، واجعل سطوتك حيث شئت، وهذا صاحب رسول الله ﷺ يجود بنفسه من فعالك به.

قال: فندم عثمان على ما صنع فبعث إلى طلحة والزبير فسألهما أن يأتيا عماراً أن يستغفر له، فأتياه فأبى عليهما، فرجعا إليه فأخبراه.

فقال عثمان: من حكم الله يا بني أمية يا فراش النار وذباب الطمع شنعتم علي على أصحاب رسول الله ﷺ[١].

وفي رواية شرح النهج وردت هذه العبارة: (.. فشتمه عثمان وأمر به فأخرج، فأتي به أم سلمة رضى الله تعالى عنها فإذا هي قد غضبت لعمار)[٢].

ومما يلحق بهذا البحث الهدية لها أو للرسول ﷺ في بيتها، فإن الهدية من أوضح علامات الارتباط، وقد ذكر المحدثون في ذلك عدة روايات منها:

١ـ ما في مجمع الزوائد: عن أم سلمة إن امرأة أهدت لها رجل شاة، وتُصدِّق عليها بها، فأمرها النبي ﷺ أن تقبلها رواه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح[٣].

والذي يظهر أن رجل الشاة كانت صدقة على تلك المرأة وقد أهدتها إلى أم سلمة، لا أنها تتصدق بها على أم سلمة.

٢ـ ما ورد في الطبقات لابن سعد: حدثنا سعيد بن محمد بن أبي زيد قال: سألت عمارة بن غزية، وعمرو بن يحيى عن جفنة بن عبادة، فقالا: كانت مرة بلحم، ومرة بسمن، ومرة بلبن، يبعث بها إلى النبي ﷺ، كلما دار دارت معه الجفنة. حدثني موسى بن يعقوب عن عمته عن أم سلمة قالت: كانت الأنصار الذين

---

(١) أمالي الشيخ المفيد ص ٧٠.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٤٩.

(٣) مجمع الزوائد ٣ / ٩١.

يكثرون ألطاف رسول الله سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وعمارة بن حزم، وأبو أيوب، وذلك لقرب جوارهم من رسول الله، وكان لا يمرُّ يوم إلا ولبعضهم هدية تدور مع النبي ﷺ حيث دار، وجفنة سعد بن عبادة تدور حيث دار لا يغبها كل ليلة[١].

وفي الإصابة: روى أبو الربيع بن سالم في المعجزات من طريق كريمة بنت المقداد، عن أمها ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، أنها أرسلت مولاتها سدرة إلى النبي ﷺ بقعبة صغيرة فيها طعام، فوجدته سدرة في بيت أم سلمة[٢].

والذي نود أن نشير إليه هنا ما رواه الرواة في شأن الهدية للرسول ﷺ، حيث قالوا كما في صحيح ابن حبان وغيره واللفظ له:

عن رميثة أم عبد الله بن محمد أبي عتيق، عن أم سلمة قالت: كلمنني صواحبي أن أكلم رسول الله ﷺ أن يأمر الناس فيهدوا له حيث كان، فإن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نحب الخير كما تحب عائشة، فسكت رسول الله ﷺ ولم يراجعني، فجاءني صواحبي فأخبرتهن أنه لم يكلمني، فقلن: والله لا ندعه، قالت: فكلمته مثل المقالة الأولى مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإني والله ما نزل الوحي علي وأنا في بيت امرأة من نسائي غير عائشة، قالت: فقلت: أعوذ بالله أن أسوءك في عائشة[٣].

والملاحظ على هذه الرواية وأمثالها أمور منها:

١ـ أنها تخالف ما ذكرناه من الروايات السابقة فإن بعض الهدايا كانت تدور مع الرسول ﷺ حيثما دار، فكيف كان يتحرى المسلمون يوم عائشة؟!

٢ـ إن الهدية من المسلمين لم تكن من أجل عين أزواج الرسول ﷺ، بل كانت

---

(١) الطبقات لابن سعد ٨ / ١٦٣.
(٢) الإصابة ٧ / ٦٩٤.
(٣) صحيح ابن حبان ١٦ / ٤٣.

من أجل الرسول ﷺ لحبهم له ومودتهم إياه فالمناسب لذلك أن يهدوا له حيث ما كان، ويبعد أن يتحروا يوماً دون يوم.

٣ـ إن كلام السيدة أم سلمة في تبليغها لرسالة صواحبها لم يكن فيها شيء من الشدة أو الأذية له ولا لعائشة حتى يثير كلامها أذية الرسول ﷺ، ولم تكن مثل هذه الردود من أخلاق الرسول ﷺ وهو صاحب الخلق العظيم، حيث لم تأت أم سلمة بأمر حرام تستحق عليه هذا الرد، فظني أن من وضع هذه الرواية أراد أن يمدح عائشة من حيث يذم الرسول ﷺ، أعاذنا الله من ذلك.

٤ـ ذكرت الرواية بأن الوحي لم ينزل على الرسول ﷺ وهو في بيت امرأة غير عائشة، بينما الملاحظ من كثير من الروايات أن الوحي نزل عليه وهو في بيت أم سلمة، كما وردت الروايات الكثيرة في سبب نزول آية التطهير، وستمر عليك الروايات في فصل مقبل إن شاء الله، ونذكر هنا روايات أخرى في غير سبب نزول آية التطهير منها:

ما في التهذيب وغيره: عن أبي عثمان قال: قالت أم سلمة: كان النبي ﷺ يحدث رجلاً فلما قام قال: يا أم سلمة من هذا؟ قلت: دحية الكلبي، فلم أعلم أنه جبريل عليه السلام حتى سمعت رسول الله ﷺ يحدث أصحابه ما كان بيننا[1].

* * * *

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٥٨، مسند أبي يعلى ١٢ / ٣٤٦، المعجم الكبير للطبراني ١ / ١٧٠.



الفصل الخامس

مواقفها العقائدية

عاشت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بعد الرسولﷺ سنين متطاولة تزيد على الخمسين عاماً، وكانت هذه السنين الخمسون سنين صراع مذهبي عقائدي حاد، أظهرت هذه الحقيقة للناس أو أخفيت، فإن في هذه السنين استولى على الخلافة أولاً أبو بكر بن أبي قحافة، وثانياً عمر بن الخطاب، وثالثاً عثمان بن عفان، ثم ألقت بأتعابها إلى الإمام علي عليه السلام، ومن بعده استولى على أمور الناس معاوية بن أبي سفيان، ثم ولّى من بعده ابنه يزيد فكانت الخلافة ملكاً عضوضاً.

ولم يكن أحد من أهل البيت عليهم السلام ولا من أتباعهم راضياً عن تولي هؤلاء للخلافة، لما يعرفون من النص الجلي على إمامة الإمام علي عليه السلام، وهم بين سكوت إن اضطرتهم المصلحة العامة للسكوت، وبين كلام بحسب ما تدعو المصلحة والوظيفة الشرعية إليه، فلهذا وقف الإمام علي عليه السلام ومعه أهل بيته منددين بما حصل، طالبين من الأمة الرجوع إلى ما أراده الله سبحانه وتعالى لها.

ووقف من خلفهم كثير من الصحابة والتابعين مواقف مشرفة للدفاع عن عقيدتهم المستلهمة من القرآن الكريم ومما سمعوه أو وصلهم عن النبيﷺ.

ومن بين أولئك أم المؤمنين أم سلمة (رض)، فهي ترى أن الحق مع الإمام علي عليه السلام وهو مع الحق، وروت روايات في ذلك، فلم تكن لتصبر وهي لا ترى الحق يوضع في محله، وقد سجل لنا التاريخ شيئاً من مواقفها، واستطعنا أن نصل لبعضها، ولا أقول لكلها، لما عرف عن الإعلام المضاد الذي صادر حرية الكلمة الحقة فمحى كثيراً من التراث غير المرغوب فيه لدى السلطات القائمة آنذاك،

وتبعهم ناشرو التراث الإسلامي والعربي في العصر الحديث فحذفوا وحرفوا الشيء الكثير مما يرتبط بالإمام علي عليه السلام وفضائله، ومناقب أهل بيته عليهم السلام.

ونحن في هذا الفصل ليس لنا من عمل إلا تسجيل وتوثيق تلك المواقف لتتخذ دليلاً وحجة على الخصم، فهذه أم المؤمنين الطاهرة الطيبة التي أجمع المسلمون على صدقها ونزاهتها وقفت هذه المواقف الصعبة لتحمل ضوءاً سماوياً ينشر أشعته على الناس ليهتدي من يهتدي، ويضل من يضل، ولا يضل إلا الأشقى، وعندها تنطبق الآية الكريمة: ﴿ **ولله الحجة البالغة** ﴾[1]، كما انطبقت في مواقف أخرى مع أشخاص آخرين:

الموقف الأول

عندما توفي الرسول صلى الله عليه وآله وتولى الخلافة أبو بكر، وأريد من الإمام علي عليه السلام أن يبايع، حاجهم في ذلك بما هو مذكور في كتب التواريخ والسير، ومن جملة ما حدث به المحدثون هذا المقطع من مسلسل أحداث ما بعد السقيفة نذكر منه محل الشاهد:

ثم قام أبو ذر والمقداد وعمار فقالوا لعلي عليه السلام: ما تأمر؟ والله إن أمرتنا لنضربن بالسيف حتى نقتل.

فقال علي عليه السلام: كفوا رحمكم الله واذكروا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاكم به فكفوا.

فقال عمر لأبي بكر ـ وهو جالس فوق المنبر ـ: ما يجلسك فوق المنبر؟ وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك أو تأمر به فنضرب عنقه، والحسن والحسين عليهما السلام قائمان على رأس علي عليه السلام، فلما سمعا مقالة عمر بكيا ورفعا أصواتهما: يا جداه يا

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٩.

رسول الله! فضمهما علي عليه السلام إلى صدره وقال: لا تبكيا فوالله لا يقدران على قتل أبيكما، هما أذل وادخر من ذلك، وأقبلت أم أيمن النوبية حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأم سلمة فقالتا: يا عتيق! ما أسرع ما أبديتم حسدكم لآل محمد، فأمر بهما عمر أن تخرجا من المسجد، وقال: ما لنا وللنساء..[1].

الموقف الثاني

روى غير واحد من الأعلام خطبة السيدة الزهراء عليها السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، واحتجاجه على أبي بكر بما لا حاجة إلى نقله الآن، ولكن موضع الحاجة ما ذكره محقق كتاب الاحتجاج، فقد قال:

وفي الدر النظيم للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي قال ـ بعد خطبة لفاطمة عليها السلام، وكلام أبي بكر[2] ـ: فقالت أم سلمة رضي الله عنها ـ حيث سمعت ما

---

(١) البحار ٢٨ / ٣٠١.

(٢) ولعل المراد من قوله ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه للنهج، وهو كلام يندى الجبين من سماعه فضلا عن قوله، ونذكره بطوله وتعليق ابن أبي الحديد عليه، ليتضح شيء من خيوط قضية السقيفة لكل من يقرأه: (قال أبو بكر: وحدثني محمد بن زكريا قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها ـ الزهراء عليها السلام ـ شقّ عليه مقالتها فصعد المنبر وقال: أيّها الناس! ما هذه الرعة إلى كلّ قالة، أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيده ذنبه، مرب لكل فتنة، هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة، و يستنصرون بالنساء، كأم طحال، أحب أهلها إليها البغي، ألا أني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت، ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنتم، فقد جاءكم فأويتم ونصرتم، ألا أني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا.
ثم نزل فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها.
قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري، وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرّح. قلت: لو صرح لم أسالك! فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب عليه السلام، قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله؟! قال: نعم إنه الملك يا بني!
قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علي، فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم.
فسألته عن غريبه فقال: أما الرعة بالتخفيف أي الاستماع والاصغاء، والقالة القول، وثعالة اسم الثعلب علم غير مصروف، و مثل ذؤالة للذئب، وشهيده ذنبه أي لا شاهد له على ما يدعى إلا بعضه و جزء منه،

جرى لفاطمة عليها السلام: ألمثل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يقال هذا القول! هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربّيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأ، وربّيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله حرم عليها ميراثه، ولم يُعْلِمْها؟! وقد قال الله تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[1] أفأنذرها وخالفت متطلبه؟ وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، عديلة ابنة عمران، تمّت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، ويوسّدها يمينه، ويلحفها بشماله، رويداً ورسول الله صلى الله عليه وآله بمرأى منكم ! وعلى الله تردون، واهاً لكم فسوف تعلمون!

قال: فحرمت أم سلمة عطاءها تلك السنة[2].

الموقف الثالث

في كلام لراهب مع خالد بن الوليد، وفيه اعتراف من خالد بأنه قد نصحته أم سلمة في موقفه مع الإمام علي عليه السلام، قال في البحار من جملة كلام طويل:

(وهو ذا أنتم قد خالفتم نبيكم، وفعلتم مثل ما فعل ذلك الرجل، قال: فالتفت خالد إلى من يليه وقال: هو والله ذاك، اتّبعنا هوانا والله، وجعلنا رجلاً مكان رجل، ولولا ما كان بيني و بين علي من الخشونة على عهد النبي صلى الله عليه وآله ما مالأت عليه أحداً،

وأصله مثل، قالوا: إن الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب فقال: إنه قد أكل الشاة التي كنت قد أعددتها لنفسك، وكنت حاضراً، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب.

ومرب ملازم أرب بالمكان، وكروها جذعة أعيدوها إلى الحال الأول، يعني الفتنة والهرج، وأم طحال امرأة بغي في الجاهلية، ويضرب بها المثل فيقال: أزنى من أم طحال).

وذكرت هذا الكلام مع ما فيه من الألفاظ البديئة وإني أستميح سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام من وسيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام العذر، وأستغفر الله من نقلي لهذه الكلمات، وإنما نقلتها ليتنبه الغافلون ويستيقظ النائمون.

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٢) الاحتجاج ١ / ٢٤١.

فقال له الأشتر النخعي مالك بن الحارث: ولم كان ذلك بينك وبين علي وما كان؟ قال خالد: نافسته في الشجاعة ونافسني فيها، وكان له من السوابق والقرابة ما لم يكن لي فداخلني حمية قريش فكان ذلك، ولقد عاتبتني في ذلك أم سلمة زوجة النبيﷺ وهي لي ناصحة، فلم أقبل منها..[١].

الموقف الرابع

عن صفوان الجمال عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: كانت امرأة من الأنصار تدعى جسرة تغشى آل محمد وتحن، وإن زفر وحبتر لقياها ذات يوم فقالا: أين تذهبين يا جسرة؟ فقالت: أذهب إلى آل محمد فأقضي من حقهم، وأحدث بهم عهداً، فقالا: ويلك إنه ليس لهم حق، إنما كان هذا على عهد رسول اللهﷺ، فانصرفت جسرة ولبثت أياماً، ثم جاءت فقالت لها أم سلمة زوجة النبيﷺ: ما بطا بك عنا يا جسرة؟ فقالت: استقبلني زفر وحبتر فقالا: أين تذهبين يا جسرة؟ فقلت: أذهب إلى آل محمد فأقضي من حقهم الواجب، فقالا: إنه ليس لهم حق، إنما كان هذا على عهد النبيﷺ، فقالت أم سلمة: كذبا لعنهما الله، لا يزال حقهم واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة[٢].

وورد في الكافي بإسناده عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: كانت امرأه من الأنصار تودنا أهل البيت، وتكثر التعاهد لنا، وإن فلاناً لقيها ذات يوم وهي تريدنا فقال لها: أين تذهبين يا عجوز الأنصار؟ فقالت: أذهب إلى آل محمد أسلم عليهم وأجدد بهم عهداً وأقضي حقهم، فقال لها عمر: ويلك! ليس لهم اليوم حق عليك ولا علينا، إنما كان لهم حق على عهد رسول اللهﷺ فأما اليوم فليس لهم حق فانصرفي، فانصرفت حتى أتت أم سلمة فقالت لها أم سلمة: ماذا

---

(١) البحار ١٠ / ٦٤.

(٢) قرب الإسناد ص ٦٠، البحار ٢٢ / ٢٢٣.

أبطاك عنا؟ فقالت: إني لقيت عمر بن الخطاب وأخبرتها بما قالت لعمر وما قال لها عمر، فقالت لها أم سلمة: كذب! لا يزال حق آل محمدﷺ واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة[١].

الموقف الخامس

قضية عمار مع عثمان وقد مرّت فلا نعيدها.

الموقف السادس

قضية جابر حينما هجم بسر بن أرطاة على المدينة وقد مرّت.

الموقف السابع

ما ورد معنعناً عن عمرة الهمدانية عن أم سلمة قالت: قلت: ما تقولين في هذا الذي قد أكثر الناس في شأنه من بين حامد وذام؟ قالت: وأنت ممن يـحمده أو يذمه؟ قلت: ممن يحمده. قالت: يكون كذلك، فوالله لقد كان على الحق، ما غيّر وما بدّل حتى قتل.

وسألتها عن هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[٢]؟ قالت: نزلت في بيتي، وفي البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل ومحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام..[٣].

وفي رواية أخرى: عن عمرة الهمدانية قالت: قالت أم سلمة: أنت عمرة؟ قالت: نعم، قالت عمرة: ألا تخبريني عن هذا الرجل الذي أصيب بين ظهرانيكم، فمحب ومبغض؟ قالت أم سلمة: فتحبينه؟ قالت: لا أحبه ولا أبغضه، تريد علياً، قالت أم

---

(١) الكافي ٨ / ١٥٦.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.
(٣) البحار ٣٥ / ٢١٦.

سلمة: أنزل الله تعالى ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ وما في البيت إلا جبرئيل وميكائيل ومحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأنا، فقلت: يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ فقال: من صالح نسائي، يا عمرة فلو كان قال: نعم كان أحب إلي مما تطلع عليه الشمس(١).

الموقف الثامن

■ موقفها مع مولاها

عن علي بن محمد بن المنكدر، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وكانت ألطف نسائه وأشدهن له حباً وقال: وكان لها مولى يحضنها وربّاها وكان لا يصلي صلاة إلا سب علياً وشتمه.

فقالت له: يا أبه! ما حملك على سب علي؟

قال: لأنه قتل عثمان وشرك في دمه.

فقالت له: أما أنه لولا أنك مولاي وربيتني وأنك عندي بمنزلة والدي، ما حدثتك بسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن اجلس حتى أحدثك عن علي وما رأيته.

قد أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يومي، وإنما كان نصيبي في تسعة أيام يوم واحد، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهو مخلل أصابعه في أصابع علي، واضعاً يده عليه، فقال: يا أم سلمة أخرجي من البيت وأخليه لنا، فخرجت وأقبلا يتناجيان وأسمع الكلام ولا أدري ما يقولان، حتى إذا أنا قلت قد انتصف النهار، أقبلت فقلت: السلام عليكم، ألج ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تلجي وارجعي مكانك، ثم تناجيا طويلا حتى قام عمود الظهر، فقلت ذهب يومي وشغله علي، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب

---

(١) شرح الأخبار ٢ / ٤٩٤، البحار ٣٥ / ٢١٦.

فقلت: السلام عليكم، ألج ؟

فقال النبيﷺ: لا تلجي وارجعي مكانك، فرجعت فجلست مكاني، حتى إذا أنا قلت: قد زالت الشمس الآن، يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي ولم أرَ قط أطول منه، أقبلت أمشي حتى وقفت على الباب فقلت: السلام عليكم، ألج ؟

فقال النبيﷺ: نعم، فلجي.

فدخلت وعلي واضع يده على ركبتي رسول اللهﷺ قد أدنى فاه من أذن النبيﷺ، وفم النبيﷺ على أذن علي يتساران، وعلي يقول: أفأمضي وأفعل؟ والنبيﷺ يقول: نعم.

فدخلت وعلي معرض وجهه حتى دخلت وخرج، فأخذني النبيﷺ في حجره فالتزمني، فأصاب مني ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار، ثم قال لي: يا أم سلمة لا تلوميني، فان جبرئيل أتاني من الله تعالى يأمر أن أوصي به علياً من بعدي، وكنت بين جبرئيل وعلي، وجبرئيل عن يميني وعلي عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر علياً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة، فاعذريني ولا تلوميني، إن الله عز وجل اختار من كل أمة نبياً واختار لكل نبي وصياً، فأنا نبي هذه الأمة وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي من بعدي، فهذا ما شهدت من علي الآن، يا أبتاه فسبه أودعه.

فأقبل أبوها يناجي الليل والنهار ويقول: اللهم اغفر لي ما جهلت من أمر علي فإن وليي ولي علي، وعدوي عدو علي، فتاب المولى توبة نصوحاً، وأقبل فيما بقي من دهره يدعو الله تعالى أن يغفر له[١].

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص ١٤٦.

الموقف التاسع

■ مع من سب علياً

عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسولﷺ فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني[١].

وفي رواية عن بكير بن عثمان البجلي قال: سمعت أبا اسحق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبيﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي! فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه، قالت: يسب رسول اللهﷺ في ناديكم؟ قال: وأنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى[٢].

وفي رواية أخرى: عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي قال قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله! أيسب رسول اللهﷺ فيكم ثم لا تغيرون؟ قال: قلت: ومن يسب رسول اللهﷺ؟! قالت: يسب علي ومن يحبه وقد كان رسول اللهﷺ يحبه[٣].

وفي تاريخ بغداد: عن أبي عبد الله الجدلي عن أم سلمة قالت: يا أبا عبد الله أيسب رسول اللهﷺ فيكم على المنابر؟ قال: سبحان الله وأنى يكون هذا؟! قالت: أليس يسب علي ومن يحبه؟ فأنا أشهد على رسول اللهﷺ أنه كان يحبه[٤].

وفي رواية المعجم الصغير: عن السدي عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي

---

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٢٣. (٢) مستدرك الحاكم: ج ٣، ص ١٢١.
(٣) مسند أبي يعلى ١٢ / ٤٤٤، تاريخ الطبري ٦ / ٣٧١.
(٤) تاريخ بغداد ٧ / ٤٠١.

أم سلمة: أيسب رسول اللهﷺ فيكم على رؤوس الناس؟ فقلت: سبحان الله! وأنّى يسب رسول اللهﷺ؟! فقالت: أليس يسب علي بن أبي طالب ومن يحبه؟ فأشهد أن رسول اللهﷺ كان يحبه[1].

الموقف العاشر

عن ابن زيد بن أرقم قال: حدثتني عمتي: أنها دخلت على أم سلمة، قالت: فذكروا علياً وعثمان، قالت: فكأني أنظر إلى يديها وهي تعليهما قالت: ما تذكرون من شيعة علي؟ شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة[2].

الموقف الحادي عشر

■ **مع عائشة**

وهو من المواقف المشهورة في كتب التأريخ والسيرة، وقد ارتأينا أن ننقل ما جاء في كتاب (مناظرات في العقائد والأحكام) للمؤلف الجليل عبد الله الحسن، فقد استوعب أطراف المناظرة، فارتأيت أن أذكرها كما رتبها، وأذكر قبل ذلك ما لم يذكره من مقدمات المناظرة، فقد جاء في الاحتجاج وغيره:

أن الزبير وطلحة قد أرسلا إلى عائشة عبد الله بن الزبير وقالا له قل لها: أن عثمان قتل مظلوماً، وإنا نخاف أمر أمة محمدﷺ أن يختل، فإن رأت عائشة أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقاً، ويشعب بها صدعاً.

فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها، فدخل عبد الله بن الزبير في سترها، وجلست على الباب فأبلغها ما أرسلا به إليها فقالت: سبحان الله ما أمرت بالخروج، وما تحضرني من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة، فإن خرجت خرجت معها.

فرجع إليهما فبلّغهما ذلك فقالا: ارجع إليها فلتأتها، فهي أثقل عليها منا، فرجع

---

(١) المعجم الصغير ٢ / ٨٣.

(٢) مناقب أمير المؤمنين٧ ٢ / ٢٨٧، ٢٩٣.

اليها فبلّغها فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة فقالت: أم سلمة مرحباً بعائشة، والله ما كنت لي بزوارة، فما بدا لك؟

قالت: قدم طلحة والزبير فخبّرا أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً.

فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار، فقالت: يا عائشة بالأمس أنت تشهدين عليه بالكفر، وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً! فما تريدين؟

قالت: تخرجين معنا فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله[1].

قال في المناظرات:

قال أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح ـ عند ذكره أخبار وحوادث حرب الجمل ـ: وأقبلت عائشة حتى دخلت على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وهي يومئذ بمكة، فقالت لها: يا بنت أبي أمية ! إنك أول ظعينة هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا بين بيتك، وقد خُبّرت أن القوم استتابوا عثمان بن عفان حتى إذا تاب وثبوا عليه فقتلوه، وقد أخبرني عبد الله بن عامر أن بالبصرة مائة ألف سيف يقتل فيها بعضهم بعضاً، فهل لك، أن تسيري بنا إلى البصرة، لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الأمر على أيدينا ؟

قال: فقالت لها أم سلمة رحمة الله عليها: يا بنت أبي بكر! بدم عثمان تطلبين! والله لقد كنتِ من أشدّ الناس عليه، وما كنتِ تسميه إلاّ نعثلاً، فما لك ودم عثمان؟ وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تيم بن مرّة، ويحكِ يا عائشة! أعلى علي وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله تخرجين، وقد بايعه المهاجرون والأنصار؟

(إنّكِ سُدَّةٌ ..) إلى آخر ما ذكرناه في بلاغتها.

فقالت لها عائشة: ما أعرفني بوعظك، وأقبلني لنصحكِ، ولنعم المسيرُ مسيرٌ

---

(١) الاحتجاج ١ / ٢٤٣، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٠.

فزعتُ إليه، وأنا بين سائرةٍ أو متأخرةٍ، فإن أقعدْ فعن غير حرج، وإن أسر فإلى ما لا بُدَّ من الأَزدياد منه)[١].

ثم جعلت أم سلمة رضوان الله عليها تذكّر عائشة فضائل عليعليه السلام فقالت لها: (وإنكِ لتعرفين منزلة علي بن أبي طالبعليه السلام عند رسول اللهصلى الله عليه وآله أفأذكّرك؟

قالت: نعم.

قالت: أتذكرين يومَ أقبلصلى الله عليه وآله ونحن معه، حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال، خلا بعليّ يناجيه، فأطال، فأردتِ أن تهجُمي عليهما، فنهيتُكِ، فعصيتيني، فهجمتِ عليهما، فما لبثتِ أن رجعتِ باكيةً.

فقلتُ: ما شأنك ؟

فقلتِ: إنّي هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلتُ لعليعليه السلام: ليس لي من رسول اللهصلى الله عليه وآله إلاّ يومٌ من تسعة أيّام، أفما تدَعني يا بن أبي طالب ويومي ! فأقبل رسول اللهصلى الله عليه وآله عليّ، وهو غضبان محمرّ الوجه، فقالصلى الله عليه وآله: ارجعي وراءك، والله لايبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلاّ وهو خارج من الإِيمان، فرجعتِ نادمةً ساخطة!

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: وأذكّركِ أيضاً، كنتُ أنا وأنتِ مع رسول اللهصلى الله عليه وآله وأنتِ تغسلين رأسه، وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس[٢]، يعجبه، فرفع رأسه، وقالصلى الله عليه وآله: يا ليت شعري

---

(١) يوجد هذا المقطع من مناظرتهما في: الجمل والنصرة لسيد العترة للمفيد: ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧، الاختصاص للمفيد: ص ١١٦ ـ ١١٨، الأَحتجاج للطبري: ج ١ ص ١٦٧، وقد رواه عن الإمام الصادقعليه السلام، بحار الانوار للمجلسي: ج ٣٢ ص ١٢٨، غريب الحديث لابن قتيبة: ج ٢ ص ١٨٢، الامامة والسياسة: ج ١ ص ٥٦ ـ ٥٧، بلاغات النساء لابن طيفور: ص ٧ ـ ٨، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٨٠ ـ ١٨١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١، أقول: لا يخفى أن بعض المؤرخين اعتبر ذلك كتاباً من أم سلمة إلى عائشة، وآخرون اعتبروه خطاباً.

(٢) الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط، فيعجن ويدلك حتى تمتزج ثم يندر نواه.

أيتكنّ صاحبة الجمل الاذنب[1]، تنبحها كلاب الحوأب[2]، فتكون ناكبةً على الصراط! فرفعت يدي من الحيس، فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك، وقال ﷺ: إيّاك أن تكونيها، ثم قال: يا بنت أبي أمية إيّاك أن تكونيها يا حُميراء، أما أنا فقد أنذرتك، قالت عائشة: نعم، أذكر هذا.

قالت: وأذكركِ أيضاً، كنتُ أنا وأنتِ مع رسول الله ﷺ في سفر له، وكان علي عليه السلام يتعاهد نعلَي رسول الله ﷺ فيخصِفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعلٌ، فأخذها يومئذٍ يخصفها، وقعد في ظل سَمُرة، وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أراد، ثمّ قالا: يا رسول الله، إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا مَنْ يستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفزعاً؟ فقال لهما: أما إنّي قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرّقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثم خرجا، فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلتِ له،

---

(١) أو الادبب، وهو كثير الشعر.

(٢) الحوأب: موضع في طريق البصرة محاذي البقرة، وهو من مياه أبي بكر بن كلاب، وقال نصر: الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة، وقيل: سمي الحوأب بالحوأب بنت كلب بن وبرة، وقال أبو منصور: الحوأب موضع بئر نبحت كلابه عائشة عند مقبلها إلى البصرة. وروى أبو مخنف بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوماً لنسائه، وهنّ عنده جميعاً: ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب، يُقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، كلهم في النار، وتنجو بعدما كادت!

وروى محمد بن إسحاق، عن حبيب بن عمير، قالوا جميعاً: لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، طرقت ماء الحوأب، وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، فنبحتهم الكلاب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها! فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت: أهذا ماء الحوأب ؟ قالوا: نعم، فقالت: ردّوني ردّوني! فسألوها ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: كأني بكلاب ماءٍ يُدعى الحوأب، قد نبحت بعض نسائي، ثم قال لي: إياكِ يا حميراء أن تكونيها! فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله، فإنّا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك مَنْ يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب ؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جُعلاً، فحلفوا لها، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب، فكانت هذه أوّل شهادة زور في الإسلام.

راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٩ ص ٣١٠ - ٣١١، و ج ٦ ص ٢٢٥، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ١٧٧، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٥٧، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٢١٠، معجم البلدان للحموي: ج ٢ ص ٣١٤.

وكنتِ أجرأ عليه منّا! مَنْ كنت يا رسول الله ﷺ مستخلفاً عليهم ؟ فقال ﷺ: خاصف النعل، فنظرنا فلم نر أحداً إلاّ علياً عليه السلام.

فقالت: فأي خروج تخرجين بعد هذا؟

فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأَجر إن شاء الله.

فقالت: أنتِ ورأيكِ!)[١].

وعبد الله بن الزبير على الباب يسمع ذلك كلّه، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية! إننا قد عرفنا عداوتكِ لآل الزبير.

فقالت أم سلمة: والله لتورِدنّها ثم لا تصدرنّها أنت ولا أبوك ! أتطمع أن يرضى المهاجرون والانصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة، وعلي بن أبي طالب عليه السلام حي، وهو ولي كلّ مؤمن ومؤمنة ؟

فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله ﷺ ساعة قط !

فقالت أم سلمة رضوان الله عليها: إن لم تكن أنت سمعتَه فقد سمعتهُ خالتك عائشة، وها هي فاسألها! فقد سمعته ﷺ يقول: علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني، أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا ؟

فقالت عائشة: اللهمّ نعم!

قالت أم سلمة رضوان الله عليها: فاتّقي الله يا عائشة في نفسك، واحذري ما حذرك الله ورسوله ﷺ، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوأب، ولا يغرنك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيانِ عنكِ من الله شيئاً.

قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها، ثم إنّها بعثت إلى حفصة فسألتها أن تخرج معها إلى البصرة، فأجابتها حفصة[٢] إلى ذلك[٣].

---

(١) ما بين القوسين هو ما ذكره ابن أبي الحديد عن أبي مخنف في شرح نهج البلاغة:ج ٦ ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٢) وفي تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٥١، وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبدالله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت، وبعثت إلى عائشة أن عبدالله حال بيني وبين الخروج، فقالت: يغفر الله لعبدالله.

(٣) كتاب الفتوح لابن الاعثم: ج ٢ ص ٢٨١ ـ ٢٨٣، بحار الأنوار للمجلسي: ج ٣٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٤،

وفي بعض الاخبار: وخرجت، فخرج رسولها فنادى في الناس: مَنْ أراد أن يخرج فليخرج فإن أمّ المؤمنين غير خارجة !

فدخل عليها عبد الله بن الزبير فنفث في أذنها وقلبها في الذِّروة، فخرج رسولها فنادى: مَنْ أراد أن يسير فليسر فإنّ أمّ المؤمنين خارجة، فلمّا كان من ندمها أنشأت أمُّ سلمة تقول:

لو أنّ معتصماً من زلّة أحدٌ... إلى آخر الأبيات التي مرّت سابقاً.

فقالت لها عائشة: شتمتيني يا أخت !!

فقالت لها أمّ سلمة: ولكن الفتنة إذا أقبلت غضت عيني البصير، وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل[1]. انتهى ما في المناظرات[2].

وإن تعجب فاعجب من ابن أبي الحديد فإنه حينما يمرّ على هذه القضية، وينقل ما دار بين زوجتي رسول اللهﷺ يقول:

كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتاباً: أن خذّلي الناس عن بيعة علي، وأظهري الطلب بدم عثمان، وحملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير، فلمّا قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان، وكانت أم سلمة رضى الله عنها بمكة في ذلك العام، فلمّا رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك، وأظهرت موالاة عليعليه السلام ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضرتين[3].

فجعل قول أم سلمة وفعلها نابعاً من مقتضى العداوة المركوزة بين الضرتين، ولم ينبع من الإيمان، وهو عجيب منه مع ما يرى من الحجج الدامغة التي أقامتها أم سلمة، وأنها لم تنطلق في كلامها إلا من أحاديث الرسولﷺ، وما تراه من فضل عليعليه السلام، في الوقت الذي رأت تناقض عائشة في موقفيها من عثمان قبل قتله

الاختصاص للمفيد ص ١١٦ ـ ١٢٠، الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ١٦٥ ـ ١٦٧.

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ١٦٨.

(٢) مناظرات في العقائد والأحكام، المناظرة الرابعة ٢ / ٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦ / ٢١٧.

وبعده.

ولقد نسي ابن أبي الحديد قوله في السيدة أم سلمة في محل آخر من المدح وبيان الفضل ما يرد على قوله هذا فقد قال: وإن أم سلمة التي يطبق على فضلها..(١).

فهل يطبق على فضل امرأة تقف موقفاً مصيرياً بدافع الهوى والبغض والحسد وو..؟!! ولكن الحجة إذا أقبلت سدّت عيني اللبيب فلم يعِ ما يقول ولا ما يكتب.

الموقف الثاني عشر

■ مع الإمام علي عليه السلام

جاء في شرح نهج البلاغة ما لفظه: وروى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل: أن أم سلمة كتبت إلى علي عليه السلام من مكة: أما بعد: فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة، ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز ويذكرون: أن عثمان قتل مظلوماً، وأنهم يطلبون بدمه، والله كافيهم بحوله وقوته، ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك، والنصرة لك، ولكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً.

قال: فلما قدم عمر على علي عليه السلام أكرمه، ولم يزل مقيماً معه حتى شهد مشاهده(٢).

وفي رواية الطبري: وقامت أم سلمة فقالت: يا أمير المؤمنين! لولا أن أعصي الله عزّ وجل، وأنّك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابني عمر والله لهو أعزّ علي من نفسي يخرج معك، فيشهد مشاهدك فخرج فلم يزل معه(٣).

---

(١) نهج البلاغة ١٦ / ٢٦٩.
(٢) شرح نهج البلاغة ٦ / ٢١٩.
(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٨.

الموقف الثالث عشر

■ مع أبي ثابت مولى أبي ذر

في حديث عن عبد الله بن حنظلة، حدثني شهر بن حوشب قال: كنت عند أم سلمة (رض) فسلم رجل، فقيل من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذر، قالت: مرحباً بأبي ثابت، أدخل فدخل فرحبت به فقالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطايرها؟

قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

قالت: وفّقت والذي نفس أم سلمة بيده لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ولقد بعثت ابني عمر، وابن أخي عبد الله أبي أمية، وأمرتهما أن يقاتلا مع علي من قاتله، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا أن نقر في حجالنا أوفي بيوتنا، لخرجت حتى أثقّف في صف علي[1].

الموقف الرابع عشر

■ مع شداد بن أوس

عن شداد بن أوس قال: لما كان يوم الجمل قلت: لا أكون مع علي ولا أكون عليه وتوقفت عن القتال إلى انتصاف النهار، فلما كان قرب الليل ألقى الله في قلبي أن أقاتل مع علي، فقاتلت معه حتى كان من أمره ما كان، ثم إني أتيت المدينة فدخلت على أم سلمة، قالت: من أين أقبلت؟

قلت: من البصرة.

قالت: مع أي الفريقين كنت؟

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص ١٧٦، ورواه في مجمع الزوائد ج ٩، ص ١٣٤، وأسد الغابة ج ٤، ص ٣٣.

قلت: يا أم المؤمنين! إني توقفت عن القتال إلى انتصاف النهار، فألقى الله عزّ وجل في قلبي أن أقاتل مع علي.

قالت: نعم ما عملت لقد سمعت رسول اللهﷺ يقول: من حارب علياً فقد حاربني، ومن حاربني حارب الله.

قلت: أفترين أن الحق مع علي؟

قالت: إي والله! علي مع الحق والحق معه، والله ما أنصفت أمة محمد نبيهم إذ قدّموا من أخّره الله عزّ وجل ورسوله، وأخّروا من قدّمه الله تعالى ورسوله، وأنهم صانوا حلائلهم في بيوتهم وأبرزوا حليلة رسول اللهﷺ إلى القتال، والله لقد سمعت رسول اللهﷺ يقول: إن لأمتي فرقة وخلعة فجامعوها إذا اجتمعت، فإذا افترقت فكونوا من النمط الأوسط، ثم ارقبوا أهل بيتي، فإن حاربوا فحاربوا، وإن سالموا فسالموا، وإن زالوا فزولوا معهم حيث زالوا، فإن الحق معهم حيث كانوا.

قلت: فمن أهل بيته الذين أمرنا بالتمسك بهم؟

قالت: هم الأئمة بعده كما قال عدد نقباء بني إسرائيل، علي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين، وأهل بيته هم المطهّرون والأئمة المعصومون.

قلت: إنا لله! هلك الناس اذاً!

قالت: كل حزب بما لديهم فرحون[١].

الموقف الخامس عشر

جاء في تاريخ الطبري: عن الشعبي قال: بالله الذي لا إله إلا هو ما نهض في ذلك الأمر إلا ستة بدريون ما لهم سابع، فقلت: اختلفتما؟ قال: لم نختلف، إن الشعبي شكّ في أبي أيوب أخرج حيث أرسلته أم سلمة إلى علي بعد صفين أم لم

---

(١) كفاية الأثر ص ١٨٠، البحار ٣٦ / ٣٤٦.

يخرج؟ إلا أنه قدم عليه فمضى إليه وعلي يومئذ بالنهروان[١].

الموقف السادس عشر

قال أبو مخنف ولما نزل عليﷺ ذا قار كتبت عائشة إلى حفصة: أما بعد فإني أخبرك: أن علياً قد نزل ذا قار و أقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشقر، إن تقدم عقر، وإن تأخر نحر.

فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن: ما الخبر؟ ما الخبر؟ علي في السفر، كالفرس الأشقر، إن تقدم عقر، وإن تأخر نحر، وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء، فبلغ أم كلثوم بنت عليﷺ ذلك، فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت، فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل، فأنزل الله فيكما ما أنزل!

فقالت حفصة: كفى رحمك الله وأمرت بالكتاب فمزق، و استغفرت الله[٢].

وفي رواية الشيخ المفيد: فلما بلغ أم سلمة رضي الله عنها اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين، والمسرّة بالكتاب الوارد عليهنَّ من عائشة بكت وقالت: أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن وأوقع بهنَّ، فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنينﷺ: أنا أنوب عنك فإني أعرف منك، فلبست ثيابها وتنكرت..[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٦، فتنة ووقعة الجمل للضبي ٢ / ١١٠.
(٢) البحار ٣٢ / ٩٠، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤ / ١٣.
(٣) الجمل ص ١٤٩.

الموقف السابع عشر

إن معاوية حينما تولى أمر الأمة أرسلت إليه بشأن لعن الإمام عليعليه السلام من فوق المنابر قائلة: إنكم تلعنون الله ورسوله من فوق منابركم، ذلك أنكم تلعنون علياً ومن أحبّه، وأنا أشهد أن الله أحبّه ورسوله[١].

فالملاحظ من هذه المواقف أن أم سلمة رضي الله عنها كانت لا تألوا جهداً في الوقوف مع الحق، والإرشاد إليه، والدفاع عن أمير المؤمنينعليه السلام والنصرة له، وتبذل وسعها من أجل ذلك ما وجدت له سبيلاً، فمتى ما سنحت الفرصة للكلام تكلمت، فعارضت وأيّدت واستحسنت ما قام به غيرها، فجزاها الله عن الإسلام ونبيهصلى الله عليه وآله وإمامهاعليه السلام خير جزاء من أحسن عملاً، وبهذا نختم كلامنا في القسم الأول من الكتاب.

* * * *

(١) أعلام النساء ص ٧٧.



الباب الثاني

يحتوي علىٰ ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أحاديثها في أهل البيت عليهم السلام دراسة وتحليل

الفصل الثاني: ما حذفته الرقابة من أحاديث أم سلمة

الفصل الثالث: الأحاديث الموضوعة



الفصل الأول

أحاديثها في أهل البيت عليهم السلام دراسة وتحليل

المدخل

تعتبر أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من الرواة المكثرين، ولعل ما وصل إلينا من طريقها لا يشكل إلا نسبة قليلة من أصل رواياتها، وقد تعرضنا لذلك في نقطة سابقة، ومن بين تلك الروايات الكثيرة رواياتها في أهل البيت عليهم السلام، ولعلها كانت أكثر مما هي عليه الآن إلا أن أيدي العابثين حاولت أن لا تصل لنا هذه الروايات، إرضاء لبني أمية وبني العباس ومن تابعهم في نهجهم المخزي ضد أهل البيت عليهم السلام.

ومما يؤيد ما قلناه ما جاء في المناقب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قلت لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله: إنك لتكثرين من القول الطيب في علي بن أبي طالب دون نساء النبي صلى الله عليه وآله، فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله في علي شيئاً لم يسمعه غيرك؟

قالت: يا ابن عباس أما ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أكثر مما أقدر أن أخبرك به، ولكني أخبرك من ذلك بما يكفيك ويشفيك..[1].

فهذه الرواية صريحة في أنها كانت تكثر من الروايات في فضل الإمام علي عليه السلام، ومع ذلك فهو أقل بكثير مما سمعته من الرسول صلى الله عليه وآله، ويظهر من تعبيرها (فهو أكثر مما أقدر..) إن نسبة ما حدثت به أم المؤمنين أم سلمة إلى ما سمعته نسبة قليلة

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ١ / ٣٥٤.

جداً.

ومهما يكن من أمر فإنني في هذا القسم حاولت أن أستوفي ما جاء في كتب الحديث والسيرة والتأريخ والتفسير من روايات أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في أهل البيت عليهم السلام، فتتبعت الكثير من كتب المسلمين مما أحتمل وجود حديث لها فيهم، ودرست ما ورد في كتب أهل السنة سنداً ومتناً ودلالة لأمور لا تخفى على القراء، وقدمت البحث فيها على ما ورد عنها في كتب الشيعة، ورأيت من المناسب أن أبحث عن ثلاث نقاط تكون كالتمهيد لهذا القسم لما لها من الارتباط الوثيق به وهي:

النقطة الأولى: أهمية حديثها في أهل البيت عليهم السلام.

تكمن أهمية حديثها فيهم عليهم السلام في كونها أماً للمؤمنين وزوجة للرسول الكريم صلى الله عليه وآله مع إجماع الأمة على وثاقتها ونزاهتها وإيمانها، يضاف إلى ذلك ارتباطها الوثيق بأهل البيت عليهم السلام، فهي عندما تحدث تحدث عن ما يجري داخل البيت النبوي الشريف بكل جزئياته وخصائصه وتفاصيله، وتنقله بكل أمانة وصدق وإخلاص حتى ولو لم يكن الأمر من مصلحتها بحكم كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وآله، فلهذا نراها عندما حدثت بحديث الكساء وسبب نزول آية التطهير سألت الرسول أن تكون معهم فأبى ذلك ولكن قال لها: **«إنك على خير»**، فلم يمنعها عدم قبولها معهم أن تروي الرواية بكامل تفاصيلها بما فيه عدم قبول الرسول صلى الله عليه وآله لها لأن تكون مع أهل بيته عليهم السلام تحت الكساء. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نرى أن المحدثين عنها لم يكونوا من المجاهيل وغير المعروفين في كتب الحديث، بل هم من الثقاة في نظر علماء الرجال، فأكثر الروايات التي وصلت لنا صحيحة السند في نظر علماء الرجال من أهل السنة، فهي معتبرة وصالحة للاحتجاج بها على الخصم.

وهي من جهة ثالثة واضحة الدلالة غير مضطربة المتن، وهذا الأمر يرفع من مستواها في نظر علماء الحديث.

النقطة الثانية: عدم تفردها بروايات الفضائل.

بعد أن عرفنا مدى وثاقة أم المؤمنين أم سلمة بحيث لا يطرأ الشك إلى ما ترويه عن الرسول صلى الله عليه وآله، لا نحتاج فيما ترويه إلى ضم أحد معها ليحصل لنا اطمئنان بحديثها، بل لو تفردت بحديث ـ ونحن نعلم بصدقها كما هو كذلك ـ كان علينا التسليم والقبول، ولكن مع ذلك كله فإن ما ترويه من فضل في أهل البيت عليهم السلام له ما يماثله في روايات سائر الأصحاب، فلو تتبعت رواياتها وتتبعت روايات سائر الأصحاب لوجدت المضمون موجوداً عندهم أيضاً، فهي لم تنفرد بتلك الروايات، وهذا الأمر يضيف إلى قيمة رواياتها قيمة أخرى، ويرفع عن النفوس التي تشبعت بأفكار الأمويين ما ربما يحصل لها من شك، وفيما سنذكره لاحقاً ما يغني القارئ لإثبات ما ادعيناه، ولكن نستطرد بعض الأمثلة إنعاماً في التدليل على الأمر، فقد روت حديث الكساء مثلاً، ورواه غيرها بطرق مختلفة، سيأتي بيان بعضها، وروت حديث المنزلة ورواه غيرها، وسيأتي أيضاً بيان ذلك، وروت حديث «**علي مع الحق**»، ورواه غيرها من الصحابة وهكذا..

النقطة الثالثة: أقسام الحديث.

ينقسم الحديث بجهات مختلفة إلى عدة أقسام كما يذكرها علماء الحديث، ولكن ما يهم موضوعنا انقسامه إلى قسمين:

الأول: خبر الواحد.

الثاني: الخبر المتواتر.

والمقصود من خبر الواحد هو الخبر الذي لا يفيد العلم، أي درجة اليقين بنفسه، ولا توجد معه قرينة يفيد اليقين بمعونتها، فيشمل حتى الخبر الذي رواه

أكثر من شخص ولكن لم يفد خبرهم إلا الظن، وهذا القسم من الحديث قد قامت الأدلة المعتمدة على حجيته وقبوله، وإلغاء احتمال الخلاف فيه إن كان راويه ثقة صدوقاً في نقله، فهو ـ حينئذ ـ معتبر في نظر العلماء ويستدلون به في كتبهم، ويحتجون به على ما يريدون في كل مسألة تقرّرت حجية خبر الواحد فيها.

والمقصود من الخبر المتواتر هو الخبر الذي يحدث به جماعة يمتنع تواطؤهم واجتماعهم على الكذب، فيفيد هذا اللون من الخبر العلم ودرجة اليقين، فلا يحتمل في حقه أن يصدر كذباً، وقد اختلف العلماء في تحديد عدد المخبرين، ولا يهمنا الدخول في تفاصيل ذلك لخروجه عن شؤون الكتاب.

وقد قسم العلماء التواتر إلى ثلاثة أنواع:

الأول: التواتر اللفظي وهو: ما يتحد فيه لفظ الخبر ومعناه عند جميع الرواة، كأن يخبر الراوي الأول عن الرسول ﷺ أنه قال: «**علي مع الحق والحق مع علي**»، ويأتي الراوي الثاني بهذا الحديث بلفظه، وهكذا الثالث والرابع إلى أن يجتمع مجموعة يمتنع اتفاقهم على الكذب ويحصل اليقين بنقلهم.

الثاني: التواتر المعنوي وهو: أن يتعدد اللفظ ويتحد المعنى، ويمكن أن نمثل له بالروايات التي تحدثت عن ما يصنعه الإمام علي عليه السلام في الحروب من فتكه بالأبطال وقتله الشجعان ومبارزته من يخاف الآخرون من مبارزته وعدم هروبه في المعارك أو تقهقره وتراجعه عن مجالدة الأقران، فإن تلك الأحاديث مختلفة الألفاظ والمضامين إلا أنه يمكن لنا أن نستفيد من مجموعها معنى واحداً وهو الشجاعة النادرة للإمام علي عليه السلام، ونقول عن هذا المعنى أنه وصل لنا بالتواتر المعنوي، ولا يعني هذا عدم وصول خبر شجاعة الإمام علي عليه السلام لنا عن طريق التواتر اللفظي، ولكن ضربنا ذلك كمثال على التواتر المعنوي.

الثالث: التواتر الإجمالي والمراد منه: أن توجد مجموعة كبيرة من الأحاديث

بحيث يحصل لنا علم إجمالي بصدور بعضها وإن لم نعرفه بخصوصه، فلو ألقينا نظرة على كتاب جامع للأحاديث يحصل لنا علم بعدم كذبها كلها، بل نعلم بصدور بعضها عن الرسول(صلى الله عليه وآله)، بدون أن نعرف هذا البعض بخصوصه، وهذا ما يسمى بالعلم الإجمالي بصدور البعض، وهو المعبر عنه بالتواتر الإجمالي، فإذا كانت الأحاديث ذات مضمون واحد أو متقارب يكون ذلك المعلوم حجة ولو لم نميزه بشخصه فنعتمد عليه.

ولتقريب الفكرة نقول: وردت عند الطرفين ـ الشيعة والسنة ـ روايات كثيرة تدل على أفضلية الإمام علي عليه السلام على سائر الصحابة، ولكثرة هذه الروايات حصل لنا العلم بصدور بعضها - لا أقل - عن صاحب الرسالة الخاتمة(صلى الله عليه وآله)، فيمكن أن نعتمد عليه ونحتج به وإن لم نعلم أن الخبر الصادر هو خبر أبي ذر أو أم سلمة أو عمار أو فلان، لأنا نعلم أن خبراً من هذه الأخبار يحمل هذا المعنى صدر عن الرسول(صلى الله عليه وآله) قطعاً، وذلك كاف في مقام الأخذ والاحتجاج.

والخبر المتواتر بأنواعه الثلاثة حجة عند العلماء بلا ريب لأنه يفيد العلم، وما بعد العلم إلا الجهل والضلال.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الروايات التي وردت في فضل الإمام علي(عليه السلام) وأهل بيته(عليهم السلام) بلغ الكثير منها درجة التواتر بأحد أنواعه الثلاثة أو قامت عليها القرائن القطعية، فهي حجة على من يسمعها أو يقرأها، وسوف نشير إلى ذلك أثناء البحث عن الروايات إن شاء الله.

(٩)
حديث الكساء

١[1]ـ عن أبي المعدل عطية الطفاوي عن أبيه أن أم سلمة حدثته قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوما إذ قالت الخادم: إن علياً وفاطمة بالسدة قالت: فقال لي: **«قومي فتنحي لي عن أهل بيتي»**، قالت: فقمت فتنحيت في البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما، قالت: واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرىٰ فقبل فاطمة وقبل علياً فأغدف عليهم خميصة[2] سوداء، فقال: **«اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي»** قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله فقال: **«وأنت»**[3].

٢ـ حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام قال: حدثني شهر بن حوشب، قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق فقالت: قتلوه قتلهم الله غروه وذلوه لعنهم الله، فاني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة[4] قد صنعت له فيها عصيدة، تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يده، فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال: فاذهبي فادعيه وائتيني بابنيه، قالت: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد وعلي يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ وسلم فأجلسهما في حجره، وجلس علي عن يمينه، وجلست فاطمة عن يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ من تحتي كساءاً خيبرياً كان بساطاً لنا على المدامة

---

(١) سند الحديث: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر قال: ثنا عوف.

(٢) كساء أسود مربع له علمان. السان.

(٣) مسند أحمد: ج٦، ص ٢٩٦، تهذيب التهذيب ٢: ٢٥٨، فضائل الصحابة ٢ / ٦٠٢، الذرية الطاهرة للدولابي ١ / ١٠٧، تهذيب الكمال للمزي ٦ / ٢٢٩، مسند أبي يعلى ١٢ / ٣٤٤، مسند أبي يعلى ١٢ / ٣٨٣.

(٤) البرمة: القدر الصغير المتخذ من الجبال. ـ العين ـ.

في المدينة فلفه النبيصلى الله عليه وسلم عليهم جميعا فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل قال: **«اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»**، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قلت: يا رسول الله! ألست من أهلك؟ قال: **«بلى فادخلي في الكساء»**، قالت: فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة رضى الله عنهم[١].

٣ـ حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة: ان النبيصلى الله عليه وسلم جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: يا رسول الله! أنا منهم؟ قال: إنك إلى خير[٢].

٤ـ حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة قال: ثنا على بن زيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة: ان رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء فدكياً قال: ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد انك حميد مجيد قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنك على خير[٣].

٥ـ وعنها - أم سلمة - قالت: كان النبيصلى الله عليه وسلم عندنا منكساً رأسه، فعملت له فاطمة حريرة فجاءت ومعها حسن وحسين فقال لها النبيصلى الله عليه وسلم: أين زوجك؟ اذهبي فادعيه، فجاءت به فأكلوا، فأخذ كساء فأداره عليهم، وأمسك طرفه بيده اليسرى، ثم رفع اليمنى إلى السماء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي[٤] وخاصتي، اللهم

---

(١) مسند أحمد: ج٦، ص ٢٩٨.
(٢) مسند أحمد: ج ٦، ص ٣٠٤، ورواه الترمذي: ج ٥، ص ٣٦١.
(٣) مسند أحمد: ج ٦، ص ٣٢٣.
(٤) الحامة الخاصة وكرر لاختلاف اللفظ ـ منه ـ.

اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم، عدو لمن عاداهم.

أخرجه ابن القبا في معجمه[1].

٦ـ وعن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة بنت النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ متوركة الحسن والحسين، في يدها برمة للحسن، فيها سخين حتى أتت بها النبي ﷺ، فلما وضعتها قدامه قال: أين أبو حسن؟ قالت: في البيت، فدعاه فجلس النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين يأكلون، قالت أم سلمة: وما سامني النبي ﷺ، وما أكل طعاما وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم ـ تعني سامني دعاني إليه ـ، فلما فرغ التف عليهم بثوبه، ثم قال: اللهم عاد من عاداهم، ووال من والاهم[2].

■ السند:

ورد هذا الحديث بأسناد مختلفة ومتون متعددة في كتب كثيرة كما تلاحظه في الهامش مما يوحي لنا بتعدد حدوث الواقعة، بل يحصل لنا القطع بذلك خصوصاً إذا ما نظرنا إلى سائر متون الأحاديث وكيفية وقوعها من الطرق التي وردت عن غير طريق أم سلمة. وهو من الأحاديث المشهورة التي رويت عن أمي المؤمنين أم سلمة وعائشة وغيرهما..

---

(١) ذخائر العقبى: ص ٢٢.

(٢) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٦٦. وقد ورد هذا الحديث بصوره المتعددة في مصادر كثيرة غير ما ذكرناه، منها: الدر المنثور للسيوطي، ج٥، ص ١٩٨، كنز العمال: ج ١٢، ص ١٠٥، ١٠١، و ج ١٣، ص ٦٤٤، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٣٩، أخبار اصفهان: ج ١، ص ١٠٨.

وقد ورد أيضاً من غير طريق أم سلمة كما ذكرنا في المتن، ومن تلك الروايات ما جاء في المستدرك للحاكم بسنده عن واثلة بن الاسقع ﵁ قال: جئت أريد علياً ﵇ فلم أجده فقالت فاطمة رضى الله عنها: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه فاجلس فجاء مع رسول الله ﷺ فدخل ودخلت معهما قال: فدعا رسول الله ﷺ حسنا وحسينا فاجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ اللهم هؤلاء أهل بيتي). هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ج ٢ ص ٤١٦ أو ص ٤٥١.

حتى اشتهر القول (أصحاب الكساء) ويراد بهم الخمسة الذين ضمهم الكساء، وأصبح علماً عليهم لا يشاركهم أحد فيما اختصوا به، وهم النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام.

ومن خلال ما قدمناه في نقطة (الحديث المتواتر) يحصل لمن لم يخطئ فؤاده الحق الإطمئنان بصدوره وإن لم يصل عدد الراوين إلى درجة التواتر، وبعد الإطمئنان بصدوره لا حاجة في البحث عن صحة السند وسقمه، ولكن مع ذلك فقد ورد هذا الحديث الشريف بأسناد صحيحة عند أهل السنة فضلاً عن وروده عند شيعة أهل البيت عليهم السلام، ولكي نخرج من حد الدعوى إلى دائرة الاثبات نقول:

قال الترمذي بعد ذكره الحديث (رقم ٣) بصورته المتقدمة: (هذا حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، وفي الباب عن أنس وعمر بن أبي سلمة، وأبي الحمراء)[١].

وقال الهيثمي في التعليق على الحديث رقم (٦) (رواه أبو يعلى وإسناده جيد)[٢].

وقال في تعليق له على متن آخر: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف)[٣]. بينما ابن لهيعة من رواة صحيح مسلم فراجع ج ٢ ص ١١٠.

ولتزداد ثقة القارئ نذكر رجال بعض الأسانيد مع وصفهم:

إسناد الحديث رقم (٢) المنقول عن مسند أحمد، ونذكر من بعد الإمام أحمد:

١ـ أبو النضر هاشم بن القاسم: من رجال صحيح مسلم ١ / ص ١٤.

٢ـ عبد الحميد بن بهرام: وثقه أحمد وابن معين وابن المديني وأبو داود وغيرهم فراجع سنن ابن ماجة ٢ / ٨١٥ وقال أبو حاتم: (أحاديثه عن شهر

---

(١) ٥ / ٣٦١.
(٢) ٩ / ٧١، مجمع الزوئد.
(٣) ٩ / ١٦٨.

صحاح)[١].

٣ـ شهر بن حوشب: حديثه حسن كما في مجمع الزوائد ١٠ / ١٠٨، وثقه أحمد وابن معين، وقال أبو عيسى الترمذي: قال محمد هو البخاري: شهر حسن الحديث، وقوّى أمره، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: ثقة شامي[٢].

ويتحد سند الإمام أحمد مع الترمذي فيما عدا الراوي الأول، فإن الإمام أحمد يرويه مباشرة عن أبي أحمد الزبيري، وأما الترمذي فيرويه عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري، ورجال السند هم:

١ـ محمود بن غيلان: من رجال البخاري ومسلم فراجع الأول ١ / ١٥٠، ٢ / ٤، ١٥٥ / ٩٣، وراجع الثاني: ١ / ١٨، ١٩، ٨٤

٢ـ أبو أحمد الزبيري: اسمه محمد بن عبد الله، من رجال البخاري أيضاً كما في: ٦ / ٢٤٣، وهو ثقة حافظ، قال ـ أبو عيسى ـ سمعت بنداراً يقول: ما رأيت أحداً أحسن حفظاً من أبي أحمد الزبيري، كما جاء في سنن الترمذي: ١ / ٢٦١.

٣ـ سفيان: من رجال البخاري: ١ / ٢، ٤٣، ٤ / ١٦٠.

٤ـ زبيد: وهو ابن الحارث من رجال الصحيحين، البخاري: ١ / ١٧، ٤ / ١٦٠، ومسلم: ١ / ٥٧.

■ مقارنة بين متون الحديث:

اتفقت متون الأحاديث على بيان كيفية الدعاء الصادر من الرسول ﷺ لأهل بيته عليهم السلام، وإنه كان بعد أن أغدف عليهم الكساء وجللّهم به أو بالخميصة وميّزهم عن سائر الناس، واختلفت في بعض تفاصيل الدعاء زيادة ونقيصة اقتضاها تكرر الفعل كما يبدو، كما اختلفت في دخول أم سلمة (رض) معهم وعدم دخولها،

---

(١) ميزان الاعتدال: ٢ / ٥٣٨. (٢) ن.م: ٢ / ٢٨٤.

فنبيّن الاختلاف في الجانب الأول ثم الاختلاف في الجانب الثاني.

■ **الاختلاف في صياغة الدعاء:**

الحديث رقم (١) اقتصر على قولهﷺ: **«اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي»**.

الحديث رقم (٢) ورد فيه ما يختلف عن ذلك حين قال رسولﷺ: **«اللهم أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»** كررها ثلاثاً.

الحديث رقم (٣): **«اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي[1] اللهم أذهب عنهم الرجس..»**.

الحديث رقم (٤): **«اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد..»**.

الحديث رقم (٥): أضاف على ما في الحديث رقم (٣): **«أنا حرب لمن حاربهم سلم لمن سالمهم، عدو لمن عاداهم»**.

الحديث رقم (٦) ويختلف عنهم في التصريح من أم سلمة (رض) بأنه لم يشركها الرسولﷺ معهم في الأكل مع أنهﷺ لم يأكل طعاماً وهي معه إلاّ وأشركها فيه، كما يختلف في صيغة الدعاء وهو: **«اللهم عاد من عاداهم ووال من والاهم»**.

■ **دخول أم سلمة معهم:**

في الحديث رقم (١): (قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله فقال: **«وأنت»**).

في الحديث رقم (٢): (قلت: يا رسول الله، ألست من أهلك ؟ قال: **«بلى، فادخلي في الكساء»**، قالت: فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة..).

---

(١) وفي لفظ الترمذي (حامتي) والحامة الخاصة، ومنه صديق حميم أو أخ حميم.

في الحديث رقم (٣): (فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أنا منهم؟ قال: **«إنك إلى خير»**).

في الحديث رقم (٤): (قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي، وقال: **«إنك على خير»**).

والحديث رقم (٥ و ٦) لم يتعرضا لهذه الجهة.

■ **التعليق على ذلك:**

الحديثان الثالث والرابع ينفيان بوضوح أن تكون أم سلمة (رض) من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ..، خصوصاً الحديث الرابع الذي تقول فيه أم سلمة (رض): (فجذبه من يدي) مما يدل على وجود محذور في دخولها معهم وإلاّ لما كان ينبغي من صاحب الأخلاق الكريمة أن يتعامل مع زوجه المؤمنة هذا التعامل!

أما الحديث رقم (١) فأكثر ما يدل عليه أنها داخلة في مضمون قول الرسول ﷺ: **«اللهم إليك لا إلى النار»**، وليست مشمولة للدعاء باللفظ الأول فضلاً عن دخولها في أهل البيت عليهم السلام، فإن ظاهر فعل الرسول ﷺ من تخصيص غيرها بالإغداف بالخميصة وهي معهم في البيت يدل على أن الدعاء كان لأولئك فقط، ولكنها لما سألت الرسول ﷺ: (وأنا يا رسول الله؟) قال: **«وأنت»**، أي أنت أيضاً (إلى الله لا إلى النار) لأنها تستحق ذلك لا حياء منها، فهو من قبيل أن تقول لشخص: ادعُ فلانا وفلانا من أهلي على الغذاء عندي، فقال لك: وأنا؟ فقلت له: وأنت، فليس المقصود أنه من أهلك بل المراد وأنت مدعو أيضاً[1].

---

(١) ويمكن أن يقرر بما يلي: إن الرسول ﷺ خصّ بحصره آله الكرام عليهم السلام دون سواهم، ولم تشاركهم السيدة الجليلة في شرفه وشأنه، نعم نالها شرف الدعاء، فهنا أمران: ١ـ أصحاب الكساء وهم آله وليست هي منهم. ٢ـ تعميم الدعاء وذلك بعد طلبها وحرصها على نيل بركته.

فالحديث لا يدل بهذه الجملة على دخول أم سلمة في جملة أهل البيت عليهم السلام، بل يدل أول الحديث على خروجها عنهم حيث خاطبها الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: «**قومي فتنحي لي عن أهل بيتي**» وفي ذلك من التصريح بخروجها مما يعرفه أولو الحجى.

يبقى عندنا الحديث رقم (٢) فربما يتوهم منه أنه اعتبر أم سلمة (رض) من جملة أهل بيته عليهم السلام فيحصل التعارض بين الأخبار.

ولكن التأمل الدقيق في متون الروايات يبين لنا خلاف ذلك، فإن تعبير الحديث الثالث (أهل البيت)، وتعبير الحديث الرابع (آل محمد)، بينما التعبير في الحديث الثاني هو (ألست من أهلك)، فهو مثل قوله تعالى: ﴿ **وسار بأهله** ﴾ أي زوجته، أو هي مع ولده، وأين هذا التعبير من ذلك التعبير؟

فمصطلح القرآن الكريم في عنوان (أهل البيت) هو الذي مشت عليه السنة الشريفة، كما في حديث الثقلين، وحديث السفينة، وأمثالهما، وهو يختلف عما جاء في الحديث الثاني، فلا تعارض بين الأخبار.

وعلى فرض حصول التعارض فالذي نذهب إليه هو ترجيح الحديثين الثالث والرابع على الحديث الثاني، ولعل اليد العابثة تدخلت هنا فأضافت هذا الذيل لتحرف الكلم عن مواضعه كما تدخلت في موارد كثيرة مما يرتبط بفضائل أهل البيت عليهم السلام، ونسند دعوانا هذه بقرينة من داخل الحديث، وأخرى من خارجه وهما الحكم الفصل بين ما يصدر من الرسول صلى الله عليه وآله وبين غيره.

■ **القرينة الداخلية:**

إن الرسول صلى الله عليه وآله قد أخذ الكساء من تحت أم سلمة (رض) ولفّه على نفسه صلى الله عليه وآله وابنته وعلي والحسنين عليهم السلام، ولم يدخلها معهم تحت الكساء في بادئ الأمر وهي بين يديه يسمع صوتها ويرى شخصها ويعرف مكانها، فكأنه عزلهم في مكان

عن سائر الناس حيث عزلهم عن أم سلمة القريبة منه روحاً وعملاً، وإمعانا في الأمر أمسك بطرفي الكساء، وهذا الفعل مقدمة للدعاء الذي ابتدأه بقوله ﷺ: «**اللهم أهل بيتي**»، أي هؤلاء أهل بيتي، الجملة الاسمية المستفاد منها الحصر، كما هو المعروف من تركيب الجمل العربية. فبفعل الرسول ﷺ وقوله نستفيد أن أم سلمة (رض) مع صلاحها وإيمانها لم تكن من أهل بيته ﷺ.

ولا يفوتنا ونحن نبيّن القرينة الداخلية أن نقول: إن الغرض ـ كما هو الظاهر ـ من لفّهم بالكساء هو الدعاء لهم بذلك الدعاء الخاص، لا لأن يجلسوا تحته ويبقوا فيه طول مكثهم في بيت الرسول ﷺ فما هو الداعي في إذن الرسول ﷺ لأم سلمة (رض) بالدخول بعد أن قضى دعاءه لابن عمه وابنيه وابنته عليهم السلام؟!

■ **القرينة الخارجية:**

أكثر الروايات الواردة عن أم سلمة (رض) في نزول آية التطهير الآتية عن قريب إن شاء الله تتفق مع الحديثين الثالث والرابع في اللفظ أو في المعنى، «**إنك على خير، أنت على مكانك، إنك على خير، إنك من أزواج رسول الله ﷺ**».

وهكذا الأحاديث الواردة عن غير أم سلمة من أزواج الرسول ﷺ، اللائي نقلن حديث الكساء بما شاهدوه:

فقد روى الثعلبي في تفسيره بسنده إلى العوام بن حوشب، حدثني ابن عم لي من بني الحارث بن تيم الله يقال له مجمع قال: دخلت مع أمي على عائشة فسألتها عن علي عليه السلام فقالت:

سألتني عن أحب الناس كان إلى رسول الله ﷺ، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقد جمع رسول الله لفوعاً[1] عليهم ثم قال: اللهم هؤلاء أهل

---

(١) اللفوع: وفي بعض النسخ اللفاع: وهو ثوب يجلل به الجسد كله كساءاً كان أو غيره.

بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت: قلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال: تنحي، إنك إلى خير[1].

وفي المصدر بسنده عن عبد الله بن جعفر، قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة من السماء قال: من يدعو؟ مرتين، قالت زينب: أنا يا رسول الله، فقال: ادعي لي علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين.

قال: فجعل حسناً عن يمينه وحسيناً عن شماله وعلياً وفاطمة تجاهه، ثم غشاهم كساءاً خيبرياً، ثم قال: اللهم إن لكل نبي أهلاً، وهؤلاء أهل بيتي، وأنزل الله عزّ وجل: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾، فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معكم ؟ فقال رسول الله: مكانك، فإنك إلى خير إن شاء الله[2].

فبهاتين القرينتين وبما سيأتي في سبب نزول آية التطهير من بيان المراد من (أهل البيت) في الآية، ترتفع الغشاوة عن الناظرين، ويندفع ما يتوهم من التعارض، ويعود الحق إلى نصابه.

ويتجلى الحق بصورة أوضح عندما نرجع إلى الروايات الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام أعني الأئمة من أولاد علي وفاطمة خزنة علم الرسول صلى الله عليه وآله وأمنائه على وحيه فلا نجد لإدخال أم سلمة في جملة أهل البيت عيناً ولا أثراً.

وعلى فرض التنزل والقول بصدور الذيل من أم سلمة (رض) وإذن الرسول صلى الله عليه وآله لها بالدخول في ذلك الحرم المقدّس الذي لا ينال شرف الدخول فيه إلاّ ذو حظٍ عظيم، إلاّ أن في الرواية حرماً آخر لم تذق حلاوة رؤيته أم سلمة ولا غيرها من بني الإنسان إلاّ أولئك الأربعة الذين لفّهم الرسول صلى الله عليه وآله بنفسه، ذلك

---

(١) العمدة لابن البطريق / ص ٢٣، ٤٠، نقلاً عن تفسير الثعلبي.

(٢) ن . م.

الحرم هو حرم الدعاء بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم بالطهارة الإلهية، وتلك دعوة من أحب مخلوق إلى خالقه فلم تردّ ولم تؤخّر.

فأم سلمة وإن تنزلنا وقلنا: إنها اعتبرت في هذا الحديث من أهل البيت والمعنى المجازي لأهل البيت يتسع لأكثر من ذلك وهي على إيمانها أيضاً إلاّ أنها لم تحظ بهذا الشرف العظيم، ويبقى الحديث دالاً على اختصاص أولئك بالطهارة من الرجس وتلك فضيلة وأي فضيلة.

■ ما يستفاد من الحديث:

١ـ إن أهل بيت الرسول ﷺ في ذلك الوقت هم علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام.

٢ـ إنهم خاصة الرسول ﷺ وحامته، أي هم الأقرب إليه من كل أحد.

٣ـ إنهم المطهرون من الرجس ومعنى ذلك إنهم المعصومون الذين لا تزيغ قلوبهم ولا أفعالهم ولا أقوالهم عن الحق طرفة عين أوخفقة فؤاد، وسيأتي بيان ذلك في الحديث الآتي إن شاء الله تعالى.

٤ـ إنهم محل لصلوات الله ونزول بركاته.

٥ـ إن الرسول ﷺ حرب لمن حاربهم بصيغة الإخبار الدالة على ثبوت الأمر وتحققه، وهذا كلام فيه من الإطلاق ما يشمل كل حرب، بالفعل كانت أو بالقول أو بالكتابة.. ويستفاد من هذه الجملة أن من حاربهم كان محارباً للرسول ﷺ وحكم من حارب الرسول ﷺ يعرف من قوله تعالى: ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾[1].

---

(١) المائدة / ٣٣.

ولا يخفى على من له قلب يعقل وإيمان صادق أن تصريح الرسولصلى الله عليه وآله لم يصدر عن هوى في نفسه ومحض حب لأهل بيتهعليهم السلام وإن كانوا أهلاً لذلك الحب، فإنهصلى الله عليه وآله ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يُوحى** ﴾[1].

وفي هذه الجملة ما لا يعرفه إلاّ الله ورسوله والراسخون في العلم، من مزايا اختص بها أصحاب الكساءعليهم السلام ووهت عزائم بني آدم عن الوصول إليها.

٦ـ إن الرسولصلى الله عليه وآله سلم لمن سالمهم.

٧ـ إنهصلى الله عليه وآله عدو لمن عاداهم.

ومن سالمه الرسولصلى الله عليه وآله سالمه الله عز وجل، ومن عاداه الرسولصلى الله عليه وآله عاداه الله عزّ وجل لما تقدم من الآية في سورة النجم، فإذا وصل الإنسان إلى هذه المرحلة من طريق التعاسة والشقاء. فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿ **ويَومَ يُحشرُ أعداء الله إلى النار فَهم يُوزعون** ﴾[2] واتلو عليه: ﴿ **ذلك جزاءُ أعداء الله النارُ لهم فيها دارُ الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون** ﴾[3].

وأما غير المعادي لأهل البيتعليهم السلام، الموالي لأعدائهم فذكره بقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوَّكم أولياء تُلقُون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق..** ﴾[4].

٨ـ إن الرسولصلى الله عليه وآله قد طلب من الله سبحانه وتعالى أن يكون عدواً لمن عاداهم، ووليّاً لمن والاهم، ولا ريب في استجابة دعائه.

---

(١) النجم /٣، ٤.
(٢) فصلت: ١٩.
(٣) فصلت: ٢٨.
(٤) الممتحنة: ١.

(٢)
آية التطهير

١ـ حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الله بن نمير، قال: ثنا عبدالملك يعني ابن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني من سمع أم سلمة تذكر: أن النبيﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة[1] فدخلت بها عليه، فقال لها: «**ادعي زوجك وابنيك**»، قالت: فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة[2] له على دكان[3] تحته كساء له خيبري، قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[4]، قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «**إنك إلى خير، إنك إلى خير**».

قال عبد الملك: وحدثني أبو ليلى عن أم سلمة مثل حديث عطاء سواء، قال عبد الملك: وحدثني داود بن أبي عوف الحجاف عن حوشب عن أم سلمة بمثله سواء[5].

٢ـ حدثنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد، عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ قال: نزلت هذه الآية على النبيﷺ: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾، في

---

(١) الخزيرة: نوع من الطبيخ، دقيق مع شحم، عن معجم مقاييس اللغة، مادة خزر.

(٢) المنامة: ما ينام عليه فهي بمعنى: الدكان، ولكن تطلق ويراد بها القطيفة، والمراد هنا الثاني كما يظهر من وضعها على الدكان. راجع النهاية لابن الأثير، مادة (نوم).

(٣) الدكان: ما ينام عليه.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٥) مسند أحمد ح ٦ ص ٢٩٢، وجاء في كل من: المعجم الكبير ٢٣ / ٣٢٧، التاريخ الكبير ٢ / ١٠٩، الإصابة ٨ / ٥٦.

بيت أم سلمة، فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلّله بكساء ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»**.

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: **«أنت على مكانك وأنت إلى خير»**[1].

٣ـ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا عثمان بن عمر، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، ثنا شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة رضى الله عنها إنها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...** ﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي»**، قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: **«إنك على خير، وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق»**[2].

٤ـ وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة رضى الله عنها زوج النبي ﷺ: إن رسول الله ﷺ كان بينهما على منامة له عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة رضى الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله ﷺ: **«ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً»** فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ فأخذ النبي ﷺ بفضلة إزاره فغطاهم إياها، ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السماء ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»**، قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة رضى الله عنها: فأدخلت رأسي في الستر فقلت: يا رسول الله وأنا معكم؟ فقال: **«إنك إلى خير مرتين»**[3].

---

(١) الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٨، ورواه في ج ٥، ص ٣٠ باختلاف يسير.

(٢) مستدرك الحاكم: ج ٢، ص ٤١٦، ورواه أيضاً بسند آخر واختلاف يسير في ج ٣، ص ١٤٦.

(٣) الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٨.

٥ـ وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾، وفي البيت سبعة جبرئيل وميكائيل عليهما السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم وأنا على باب البيت قلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: «**إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وآله**»[1].

٦ـ وأخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: في بيتي نزلت ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكساء كان عليه ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[2].

■ السند:

لعل من نافلة القول البحث في سند الأحاديث المصرحة بنزول هذه الآية الكريمة في الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لم يشاركهم أحد غيرهم إلاّ النبي محمد صلى الله عليه وآله، فقد تواترت الروايات من الفريقين على بيان ذلك، ويكفي التواتر لسد المجرى في وجوه الذين أبت أقلامهم إلاّ الحياد عن الحق.

قال صاحب تفسير الميزان: (وبهذا الذي تقدم يتأيد ما ورد في أسباب النزول إن الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم).

وهي روايات جمة تزيد على سبعين حديثاً، يربو ما ورد منها من طرق أهل

---

(١) ن . م.

(٢) ن . م، كما وردت هذه الروايات في كتب كثيرة منها: ذخائر العقبى، ص ٢١، والمناقب للخوارزمي، ص ٦١، وأخبار اصفهان: ج ٢، ٢٥٣، والسنن الكبرى: ج٢، ص ١٥٠ وغيرها...

السنة على ما ورد منها من طرق الشيعة[١].

وجاء في إحقاق الحق: (فقد رواها أهل السنة بطرق كثيرة قاربت الأربعين طريقاً.. وروتها الشيعة في بضع وثلاثين طريقاً)[٢].

ونقل السيوطي في الدر المنثور عشرين رواية بطرق مختلفة تبين نزولها فيهمعليهم السلام وذكر ابن البطريق أربعة وعشرين حديثاً من صحاح أخبار القوم تفيد ذلك[٣].

وقال ابن حجر: (أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين..)[٤].

وعند تواتر الروايات لا حاجة لأن يتعب الباحث نفسه في البحث عن رجال السند وأحوال الرواة، فإن التواتر بنفسه يلغي احتمال الكذب والخطأ عن الرواة ويفيد القطع بالصدور عند من لم يرن على قلبه حجاب العناد والعصبية.

ومع ذلك كله فقد قال الحاكم في مستدركه: (هذا صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)[٥]، ولا يذهب عليك ما مرَّ من كلام السيوطي في دره المنثور: (وأخرج الترمذي وصححه..) وقال البيهقي في ذلك الحديث: (قال أبو عبد الله هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته)[٦].

ثم ضع في معلوماتك إن رجال سند الطريق الأول لأحمد بن حنبل هم من رجال صحيح البخاري ومسلم! وإرساله لا يضر بعد إمكان معرفة من يروي عنه (عطاء) وهو عمر بن أبي سلمة كما يعرف من رواية (الترمذي) إن لم يرو (عطاء) مباشرةً عن أم سلمة كما يعرف من رواية (الحاكم).

أضف إلى ذلك أن رجال طريقه الثاني من رجال الصحيحين ما عدا داود بن

---

(١) الميزان في تفسير القران: ١٦ / ٣١١.

(٢) إحقاق الحق : ٩ / ٨.

(٣) العمدة / ص ٣١.

(٤) الصواعق المحرقة: ص ١٤١.

(٥) مستدرك الحاكم: ج ٣، ص ١٤٦.

(٦) السنن الكبرى: ٢ / ١٥٠.

أبي عوف وقال عنه في سنن ابن ماجة: (وكان مرضياً)[١] وكذلك في سنن الترمذي، وورد ذكره في حديث في المستدرك عبّر عنه صحيح الإسناد[٢]. وجاء في ميزان الاعتدال[٣]: (وثقه أحمد ويحيى، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وأما ابن عدي فقال: ليس هو عندي ممن يحتّج به، شيعي عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت). فسرّ عدم احتجاج ابن عدي به هو كونه شيعياً وعامة ما يرويه في فضائل أهل البيتعليهم السلام فلا يُعتمد على تضعيفه للعلم ببطلان سببه.

■ **مقارنة المتون:**

اتفقت متون الروايات الحاكية لكيفية نزول هذه الآية على قول الرسولصلى الله عليه وآله لأم سلمة: «**إنك على خير**» أوما يقاربها، وذلك حينما سألت أم سلمة أن تكون معهم تحت الكساء، فتأمل في حديث أحمد بن حنبل بطرقه الثلاثة، والترمذي بطريقيه والحاكم بطريقيه والدر المنثور، وهكذا الروايات التي وردت من غير طريق أم سلمة.

ولكن ورد خلاف هذا التعبير في رواية ذخائر العقبى ومناقب الخوارزمي وأخبار اصفهان والسنن الكبرى للبيهقي فإنهم اتفقوا على عبارة (فقلت: يا رسول الله، ما أنا من أهل البيت ؟ قال: «**بلى إن شاء الله تعالى**»).

ولعل اليد الأموية العابثة في مضامين الروايات وألفاظها تدخلت هنا أيضاً لبيان عدم اختصاص الخمسة بهذه الفضيلة، ويتضح ذلك بعد معرفة أن سند الخوارزمي في المناقب والبيهقي في السنن والمستدرك في طريقه الثاني واحد من (أبو العباس محمد بن يعقوب) ولم يذكر الحاكم هذا الذيل الزائد، بل فيه ما

---

(١) ج ١، ص ٥١.
(٢) ج ٣، ص ١٢٣.
(٣) ج ٢، ص ١٨.

ينفي ذلك وبشدّة، فلاحظ قوله صلى الله عليه وآله: **«اللهم أهلي أحق»** بعد قوله **«إنك على خير وهؤلاء أهل بيتي»** ويؤيد ذلك ثلاثة أمور:

الأول: ما تقدم في حديث الكساء من قول الرسول صلى الله عليه وآله: **«قومي فتنحي لي عن أهل بيتي»**.

الثاني: جذبه صلى الله عليه وآله الكساء من يدي أم سلمة حينما أرادت أن تدخل معهم.

الثالث: تطبيق الرسول صلى الله عليه وآله لهذه الآية على خصوص الأربعة في موارد متعددة وبصور كثيرة، حتى إنه رددها على باب دارهم صباح كل يوم لمدة تتراوح بين ستة أشهر إلى تسعة على اختلاف الروايات، بل وردت في بعض الروايات إنه كررها إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، وما ذلك إلاّ ليتضح الأمر للحاضر والبادي، والزائغ والهادي، ولترتبط آية التطهير بهم ارتباطاً وثيقاً كارتباط الشمس بضوئها فترتكز في أذهان الناس ارتكاز الواحد نصف الاثنين، ﴿ **ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بيّنة** ﴾[1].

ثم ان لصاحب الذخائر حديثاً وفيه **«إنك على خير»**، وحديثا لأخبار أصفهان وليس فيه أثر مما ذكره هنا.

ويحسن بنا أن نذكر كلام الإمام شرف الدين في هذا المقام: (.. ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء، تمييزاً لهم عن سائر الأبناء، والأنفس والنساء، فلما انفردوا تحته عن كافة أسرته، واحتجبوا به عن بقية أمته، بلّغهم الآية وهم على تلك الحال حرصاً على أن لا يطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل..)[2] وإنها لكلمة تنطق بالحق لوكانوا يعقلون.

---

(١) سورة الأنفال : ٤٢.

(٢) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء٣: ص ١٥.

■ مَنْ هم أهل البيت؟

لعل أهم ما نبحثه في هذا الحديث هو بيان المراد من أهل البيت في الآية، وهل هم الإمام علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام أو أزواج النبي صلى الله عليه وآله أو كلاهما معاً أوهم مع غيرهم.

والأحاديث السابقة واضحة الدلالة في تعيين المراد من أهل البيت، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين، وما يقال خلاف ذلك فهو اجتهاد في مقابل النص لا يمكن أن يعول عليه ذو حفيظة في الدين، لكي لا يندرج في من يحارب الرسول صلى الله عليه وآله وجهاً لوجه فيقول: قال الله ورسوله، وأقول بخلاف ما قالاه، والعياذ بالله. وهذا ما حدث فعلاً من قبل أعداء آل الرسول صلى الله عليه وآله فأثاروا الغبار حول هذا المضمون الواضح، مما فتح المجال أمام مَنْ صدّه الهوى عن الحق ليظهر خلاف ما يعتقد، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم.

قال أبو الجارود: قال زيد بن علي بن الحسين عليه السلام: **«ان جهالاً من الناس يزعمون إنما أراد بهذه الآية أزواج النبي وقد كذبوا وأثموا، لو عني بها أزواج النبي لقال: ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيراً، ولكان الكلام مؤنثاً كما قال: ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن، ولا تبرجن، ولستن كأحد من النساء ﴾[1]»**.

ويكفي في إثبات ذلك والرد على ما يتفوه به من لم يشرب كأس الولاء لآل الرسول صلى الله عليه وآله، قول الإمام شرف الدين في ذلك:

(لكن حثالة من أعداء أهل البيت، وصنائع بني أمية، ودعاة الخوارج، ذهبوا في صرف الآية عن أهلها كل مذهب، فقال بعضهم: إنها خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وآله وتشبثوا في ذلك بسياق الآية. وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان في الانتصار لهذا الرأي والاستدلال بالسياق عليه. وكان عكرمة ينادي به في الأسواق تحاملاً على

---

(١) البحار ٣٥ / ٢٠٦.

أصحاب الكساء.

ولا عجب فإن عكرمة من الدعاة إلى عداوة علي عليه السلام، والسعاة في تضليل الناس عنه بكل طريق. فعن يحيى بن بكير قال: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب، قال: فالخوارج الذين هم في المغرب عنه أخذوا.

وعن خالد بن عمران قال: كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم، فقال: وددت أن بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً ـ لبنائه على كفر من عدا الخوارج من أهل القبلة ـ.

وعن يعقوب الحضرمي، عن جده، قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلاّ كافر، قال: وكان يرى رأي الأباضية ـ وهم غلاة من الخوارج ـ.

وعن ابن المديني: كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري ـ وكان نجدة من أشد الخوارج عداوة لأمير المؤمنين ـ.

وعن مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج. وعن عطاء: كان عكرمة أباضياً. وعن أحمد بن حنبل: ان عكرمة كان يرى رأي الصفرية ـ وهم من غلاة الخوارج أيضاً ـ. وحدّث أيوب عن عكرمة أنه قال:إنما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به ـ فانظر إلى آرائه ما أخبثها ـ.

وعن ابن أبي شعيب قال: سألت محمد بن سيرين عن عكرمة، فقال: ما يستوي أن يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب. وعن وهيب قال: شهدت يحيى بن سعيد الأنصاري وأيوب فذكرا عكرمة، فقال يحيى: هو كذاب. وعن المسيب انه كذّب عكرمة.

وعن عبد الله بن الحارث قال: دخلت على علي بن عبد الله بن العباس فإذا عكرمة في وثاق، فقلت: ألا تتقي الله، فقال: إن هذا الخبيث يكذب على أبي.

وعن ابن المسيب أنه قال لمولى له اسمه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة

على ابن عباس. وعن ابن عمر أنه قال ذلك أيضاً لمولاه نافع.

وعن طاووس: لو أن عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله وكفّ من حديثه لشدت إليه المطايا.

وعن ذؤيب: رأيت عكرمة وكان غير ثقة. وعن يحيى بن سعيد قال: حدثوني والله عن أيوب انه ذكر له أن عكرمة لا يحسن الصلاة، فقال : أيوب: أوكان يصلي؟!

وعن محمد بن سعيد: كان عكرمة كثير العلم وليس يحتج بحديثه ويتكلم الناس فيه. وعن مطرق بن عبد الله: سمعت أن مالكاً يكره أن يذكر عكرمة ولا يرى أن يروي عنه. وعن أحمد بن حنبل: ما علمت أن مالكاً حدّث بشيء لعكرمة إلاّ في مسألة واحدة.

وعن سليمان بن معبد السنجي قال: مات عكرمة وكُثيّر عزة في يوم واحد فشهد الناس جنازة كُثيّر وتركوا جنازة عكرمة. وعن الفضل الشيباني، عن رجل، قال: رأيت عكرمة قائماً في لعب النرد. وعن يزيد بن هارون: قدم عكرمة البصرة، فأتاه أيوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء، فقال: اسكتوا، ثم قال: قاتله الله لقد أجاد. فأما يونس وسليمان فما عادا اليه.

إلى آخر ما هو مأثور عن هذا الرجل مما يدل على سقوطه، فراجع ترجمته في (ميزان الاعتدال) للذهبي فإن فيها جميع ما نقلناه الآن عنه. على أن كل من ترجمه كالعسقلاني في مقدمة (فتح الباري)، وابن خلكان في وفياته، وياقوت الرومي في (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) معجم الأدباء وغيرهم طعنوا فيه بنحوما سمعت. ولما ذكر الشهرستاني في كتاب (الملل والنحل) رجال الخوارج كان عكرمة أول رجل عدّه منهم.

وأما مقاتل فقد كان عدواً لأمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، وكان دأبه صرف الفضائل

عنه حتى افتضح بذلك. قال ابراهيم الحربي ـ كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان ـ: قعد مقاتل بن سليمان فقال: ـ إطفاء لنور أمير المؤمنين ـ: «**سلوني عما دون العرش**»، فقال له رجل: أخبرني منْ حلق رأس آدم حين حج ؟ فبهت.

وقال الجوزجاني ـ كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبي ـ: كان مقاتل كذّابا جسوراً، سمعت أبا اليمان يقول: قدم ها هنا فأسند ظهره إلى القبلة وقال: سلوني عما دون العرش؟ قال: وحُدِّث أنه قال بمثلها بمكة، فقام إليه رجل فقال: أخبرني عن النملة أين أمعاؤها، فسكت.

ونقل ابن خلكان هذه الحكاية في ترجمة مقاتل من وفياته من طريق سفيان بن عينية. وكان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئة وغلاة المشبهة بنص جماعة منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من كتابه (الفصل).

وعدّه الشهرستاني في (الملل والنحل) من رجال المرجئة، وقال أبو حنيفة ـ كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال ـ: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه.

وقال أبو حاتم بن حيان البستي ـ كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان ـ: كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبّهاً يشبه الرب بالمخلوقين، قال: وكان يكذب مع ذلك في الحديث.

إلى آخر ما قاله أئمة الجرح والتعديل فيه، ولهم فيه وفي عكرمة كلام أوضح من ذلك الجرح، وأصرح منه في التضليل والقدح، لكن المقام لا يسع الاستقصاء، وهذا القدر كاف لما أردناه من سقوط الرجلين وفساد آرائهما، وبطلان أقوالهما، ولا سيما في هذا المقام فإنه لا ينتظر منهما فيه إلاّ ما يقتضيه الوغر والحقد ويستوجبه الخروج والنصب، ولا عجب منهما وإنما العتب والعجب ممن اعتمد عليهما وهو يعرف كنههما.

أما ما تشبّثا به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء فتضليل محض، وتمويه مجرد، وإن أطنب في تلفيقه وتزويقه صاحب (نوادر الأصول) وغيره من أعداء آل الرسول، فإنهم لم يألوا جهداً في تصويره وتزويره، ولم يدّخروا وسعاً في تقريره وتحريره، لكن مثلهم في ذلك ﴿ **كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** ﴾ ولنا في رده وجوه:

الأول: انه اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة[١] والأحاديث المتواترة وقد سمعت بعضها.

الثاني: انها لوكانت خاصة في النساء ـ كما يزعم هؤلاء ـ لكان الخطاب في الآية يصلح للإناث، ولقال ـ عز من قائل ـ: (عنكن ويطهركن) كما في غيرها من آياتهن، فتذكير ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كاف في رد تضليلهم[٢].

الثالث: أن الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض؛ وهو تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المتناسق، كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته إذ يقول لها ﴿ **إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم * يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك** ﴾[٣] فقوله: ﴿ **يوسف أعرض عن هذا** ﴾ مستطرد بين خطابيه معها كما ترى، ومثله قوله تعالى: ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون * وإني**

---

(١) لنا وقفة مع هذا التعبير (الاجتهاد في مقابل النص) الذي انتشر في الأزمنة الأخيرة، ففي رأيي المتواضع انه يشتمل على كثير من المجاملة مع أصحاب هذه الآراء وهم لا يستحقون شيئاً من ذلك، فإن مثل هذه الآراء التي يصدرها أصحابها في قبال الآيات القرآنية، أو في قبال الأحاديث الشريفة ليست لها بالاجتهاد صلة أصلاً، لا قريبة ولا بعيدة، وإنما هي افتراء في قبال النص الشريف، صدر من صاحبه عناداً للحق، وإن دلّ على شيء فإنما يدل على عدم الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله، وقد وصف كثير ممن لا شأن لهم، ولا عندهم بالمجتهدين ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

(٢) ولقد أجاد الشيخ الأميني رحمه الله في حوار له مع أحد علماء سوريا بقوله: بأن الآية لو نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله لعلقتها عائشة يوم الجمل.

(٣) سورة يوسف: ٢٨، ٢٩.

مرسلة إليهم بهدية فناظرة بمَ يرجع المرسلون ﴾[١] فقوله: ﴿ **وكذلك يفعلون** ﴾ مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس، ونحوه قوله ـ عز من قائل ـ: ﴿ **فلا أُقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم** ﴾[٢] تقديره فلا أقسم بمواقع النجوم، إنه لقرآن كريم، وما بينهما استطراد على استطراد وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العاربة وغيرهم من البلغاء.

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء، فتبيّن بسبب استطرادها أن خطاب الله لهن بتلك الأوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن إلاّ لعناية الله تعالى بأهل البيت (أعني الخمسة) لئلا ينالهم ـ ولو من جهتهن ـ لوم، أو ينسب إليهم ـ ولو بواسطتهن ـ هناة، أو يكون عليهم للمنافقين ـ ولو بسببهن ـ سبيل. ولولا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم، وكمل إعجازه الباهر كما لا يخفي.

الرابع: إن القرآن لم يترتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول بإجماع المسلمين كافة، وعلى هذا فالسياق لا يكافئ الأدلة الصحيحة عند تعارضهما؛ لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لوسلم ظهوره بما زعموا، والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الأدلة القاطعة، والحجج الساطعة. ولا غرو فإن حمل الآية على ما يخالف سياقها غير مناف للبلاغة، ولا مخل بالإعجاز، وقد أجمعوا على أنه لا جناح بالمصير إليه إذا قامت قواطع الأدلة عليه)[٣].

وفي كلام غصن الشجرة المباركة، وثمرة الدوحة المحمدية، السيد شرف الدين، ما يدفع وساوس المبطلين، وينقض غزل المشككين، من الغابرين

---

(١) سورة النمل: ٣٤، ٣٥.
(٢) سورة الواقعة: ٧٦ ـ ٧٧.
(٣) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء: (ص ٢٠).

والحاضرين، فما أحرى به أن يردد قول الله عزّ وجل: ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً** ﴾[١]، وإنما نقلناه بطوله لما اشتمل عليه من الفوائد الجليلة الجمة.

■ **مفاد الآية:**

إن في الآية الكريمة مباحث جليلة كثيرة قد استوعبها المفسرون ومن كتب حول هذه الآية على وجه خاص، والدخول في مثل تلك المواضيع يشتُّ بنا بعيداً فنخرج عن خطة الكتاب، وما يلزم علينا ذكره الآن أمران:

١ـ إن الآية الكريمة تدل على عصمة من كان تحت الكساء، لأن الله سبحانه وتعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والرجس كل صفة خبيثة في النفس تقف حاجزاً أمام الحق فيخطئه صاحبها في علمه أو في عمله، وتطهيرهم من ذلك هو معنى العصمة، فهم معصومون من كل ما يشين.. معصومون في جميع أفعالهم وأقوالهم.

٢ـ قال السيد شرف الدين: (إنها دلّت بالالتزام على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام لأنه ادّعى الخلافة لنفسه، وادعاها له الحسنان وفاطمة، ولا يكونون كاذبين؛ لأن الكذب من الرجس الذي أذهبه الله عنهم وطهرهم منه تطهيرا)[٢].

---

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) الكلمة الغراء ص ٣١.

(٣)
لا يحل هذا المسجد لجنب إلاّ للرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام

١ـ عن جسرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فوجه[١] هذا المسجد فقال: ألا لا يحل هذا المسجد لجنب ولا لحائض إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين ألا قد بينت لكم الأسماء أن لا تضلوا[٢].

٢ـ عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم[٣].

٣ـ لا ينبغي لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا أنا أو علي[٤].

٤ـ يا علي ! لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك[٥].

■ **سند الحديث:**

يوجد في طريقي البيهقي مجاهيل، أو من رمي بالضعف عند القوم فلا يمكن الاحتجاج بهما عليهم، ولكن الهيثمي في مجمع الزوائد قال عن الرواية التي نقلناها عن كنز العمال: (رواه البزار، وخارجة لم أعرفه وبقية رجاله ثقاة)[٦].

أقول: يمكن أن يقال: بأن خارجة إما انه ابن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري، وفيه كلام وقد قال عنه ابن عدي وابن معين: لا بأس به، ولكن فيه كلام سنشير إليه فيما يأتي إن شاء الله.

---

(١) كذا.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ج ٧، ص٦٥، وجاء في: المعجم الكبير ٢٣ / ٣٧٢، ٣٧٣، أخبار اصفهان: ج ١، ص ٢٩١.

(٣) السنن الكبرى: ج ٧، ص ٦٥.

(٤) كنز العمال: ج ١١، ص ٦٢٦.

(٥) كنز العمال: ج ١١، ص ٦٧٥، ج ١٢، ص ١٠٠، ١٠١.

(٦) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١١٥.

وأما انه ابن مصعب، أبو الحجاج السرخسي الفقيه فقد قال عنه ابن عدي أيضاً: هو ممن يكتب حديثه[١].

وعلى فرض أننا لم نستطع تصحيح سند هذا الحديث بطرقه عن أم سلمة، إلاّ أنه يمكن تصحيحه من غير طريق أم سلمة، فقد أورده الترمذي عن أبي سعيد وحسنه، وهذا لفظه: عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك[٢].

ورواه البيهقي في سننه، ولم يقدح فيه بل قال: وروي ذلك أيضاً من وجه آخر عن عطية وعطية هو بن سعد محتج به[٣].

وعلى فرض عدم صحة ذلك فبإمكاننا أن نصحح مضمونه بشكل لا يعتريه ريب ولا يشوبه شك، فإن لمضمون هذا الحديث بهذا الفظ صلة وثيقة بحديث (سد الأبواب) الذي يتضمن أمر النبي صلى الله عليه وآله لصحابته أن يسدوا أبوابهم المشرعة على مسجده ما عدا علياً عليه السلام، وقد أحدث هذا الأمر ضجة في أوساط الصحابة حينذاك حتى خرج الرسول صلى الله عليه وآله وخطب فيهم ليفصح لهم عن مكنون الأمر وكنهه، وإنه من قبل السماء، ولم يسدّ الرسول صلى الله عليه وآله باب أحد من تلقاء نفسه، وإنه ـ لعمري ـ لأمر واضح عند من يعرف الرسول صلى الله عليه وآله ومسيرته في دعوته المباركة، قال تعالى: ﴿ **والنجم إذا هوى * ما ضلَّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحيٌ يوحى** ﴾[٤]. ولكن في القوم ـ آنذاك ـ نفوساً ران على قلوبها فأغلقت بوابتها في وجه الحق فلا تسمع منه حسيساً ولا نجوى.

وهذا الحديث بلغ حدّ التواتر في رأي علماء السنة فهو مما يقطع بصدوره عن خيرة الله في أرضه وأمينه على وحيه صلى الله عليه وآله فقد روي عن نحو ثلاثين صحابياً[٥] وقد

---

(١) ميزان الاعتدال: ج ٢، ص ٤٠٢.
(٢) سنن الترمذي ٥ / ٦٣٩.
(٣) ٧ / ٦٥.
(٤) النجم: ٤ ـ ١.
(٥) البحار: ٣٩ / ٢٧.

استعرض علامة الغدير أعلى الله مقامه الشريف ثلاثاً وعشرين طريقاً من طرقهم فيها الصحاح والحسان[١].

نتقل حديثاً واحداً مع تعليق صاحب الغدير عليه:

زيد بن أرقم، قال: كان لنفر من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله أبواب شارعة في المسجد، قال: فقال يوماً: (سدّوا هذه الأبواب إلاّ باب علي). قال: فتكلم في ذلك الناس! قال: فقام رسول اللهصلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

(أما بعد: فإني أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم! وإني ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني أمرت بشيء فاتبعته).

سند الحديث في مسند الإمام أحمد[٢].

حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن ميمون أبي عبد الله، عن زيد بن أرقم. رجاله رجال الصحيح، غير أبي عبد الله ميمون وهو ثقة، فالحديث بنص الحفاظ صحيح، رجاله ثقات[٣]... إلى آخر ما ذكره حول هذه الطريق وسائر الطرق الأخرى مما لا يدع لمنتقد مجالاً، ولا لمتكلم مقالاً. ولكن لك أن تمتلأ غضباً وغيظاً عندما تقرأ مقالة ابن تيمية في منهاج سنته حول الحديث، وما أدلى به تلميذه ابن كثير في تفسيره، وما أحراه بقول الشاعر:

يا له من ببغاء عقله في أذنيه

فقد قال الأول: (فإن هذا مما وضعته الشيعة على طريق المقابلة..)[٤].

وقال الثاني ـ بعد ذكر سدّوا كلّ خوخة في المسجد إلاّ خوخة أبي بكر ـ: ومن روى إلاّ باب علي ـ كما في بعض السنن ـ فهو خطأ، والصواب ما ثبت في

---

(١) الغدير: ٣ / ٢٨٥.

(٢) مسند أحمد: ٥ / ٤٩٦ ج ١، ١٨٨.

(٣) الغدير: ٣ / ٢٨٥.

(٤) منهاج السنة ٥ / ٣٥.

الصحيح)[١].

فلابن تيمية سقطتان في هذا الموضع:

الأولى: إن الحديث من وضع الشيعة!

ولا ندري أكان في حالة الهذيان حينما كتب هذه المقالة ؟! أم عامل الوراثة الأموية أخذ بسمعه وبصره فلم يرَ ما رواه حفاظهم وعلماء الحديث عندهم؟! أو هو الكذب الذي كان يتمتع به ابن تيمية بكل هدوء وبأسلوب له لمعان البرق يأخذ بالسامع الغافل ؟!.

هكذا.. فليقل ما يقول من لم يجعل الله تعالى نصب عينيه، والسلام على الإمام الحسين عليه السلام حينما قال: **«عميت عين لا تراك عليها رقيباً»**.

وفي ما تقدم من كلام الأميني رحمه الله ما يغني عن الردّ، ومع ذلك فنضيف قول الحافظ ابن حجر في فتح الباري، فإنه بعد ـ أن ذكر ستة من طرق الحديث ـ قال: (وهذه الأحاديث يقوّي بعضها بعضاً، وكلّ طريق صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها، وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات، أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وابن عمر، مقتصراً على بعض طرقه عنهم، وأعلّه ببعض من تكلم فيه من رواته، وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعلّه أيضاً بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر، وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر.. انتهى. وأخطأ في ذلك خطأً شنيعاً، فإنه سلك في ذلك ردّ الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة بينها وبين ما ورد في أبي بكر..)[٢].

ويقصد مما ورد في أبي بكر (سدّوا كل خوخة فيالمسجد إلاّ خوخة أبي بكر).

---

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٥٠١.

(٢) فتح الباري ٧ / ١٥.

الثانية: إن سبب وضع الشيعة لهذا الحديث هي المقابلة لحديث أبي بكر المتقدم.

ولعله غاب عن ذهن ابن تيمية وأمثاله من سلالة الفكر الأموي أمر معاوية لأصحاب الخيال من الرواة والمحدثين الماشين في ظلاله الوارف عليهم، بأن ينظروا إلى كل فضيلة لعلي ويأتوا بمثلها في الشيخين، وأمر أن يقال في ابن عمه عثمان ثم فيه نفسه فضائل لم تخلق إلا في أذهان سماسرة الكلمة من الرواة والمحدثين فإنه أقرّ لعينيه وأدحض لحجة أبي تراب! ـ حسب قوله ـ حتى أكثروا في ذلك وبلغت أحاديث الفضائل حدّ التخمة، وسوف نتعرض لذلك فيما سيأتي بشيء من التفصيل.

أترى الشيعة بحاجة لأن يقولوا في علي عليه السلام ما ليس فيه وهو الذي قال فيه إمام الحنابلة كما في المستدرك: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

وقد سمعت سماعاً هذه الكلمة تنقل عن بعض أعلام أهل السنة: (ماذا أقول في رجل أخفى أولياؤه فضائله خوفاً وأعداؤه حسداً، وخرج ما بين هذين ما ملأ الخافقين).

إيهاً يا ابن تيمية! اكتب ما شئت فقد قيل قديماً: (إذا لم تستح فافعل ما شئت) فوالله لن تمحو ذكر آل محمد صلى الله عليه وآله، وسيظل نورهم المبين يعشي أبصار الحاقدين.

وليكن السهم الموجّه إليك ـ هذه المرة وغيرها ـ من كنانتكم، فهذا ابن أبي الحديد يقول في شرحه على نهج البلاغة: (إنّ سدَّ الأبواب كان لعلي عليه السلام فقلبته البكرية إلى أبي بكر، وآثار الوضع فيه لائحة لا تخفى على المنقِّب)[2].

وهذا الرأي هو الموافق للموازين الطبيعية والشواهد التاريخية.

---

(١) ٣ / ١١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٩، خطبة ٢٠٣.

■ **متن الحديث:**

ولا تنسى اليد العابثة في متون الأحاديث أن تضع إصبعها في هذا الحديث أيضاً، فنرى الحديث بالروايات المتقدمة بطرقها المختلفة خالية عن ذكر زوجات الرسول ﷺ، وكذلك أحاديث سد الأبواب فراجع طرقها، ولكن في حديث مناقب الخوارزمي وتاريخ المدينة أضيفت هذه الجملة: (إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلاّ للنبي وأزواجه وفاطمة..).

ولا مناقشة في حلية جنابة أزواج النبي ﷺ فإنها ملازمة لما يحل للرسول ﷺ من ذلك الأمر إن أريد من الروايات وقوع الجنابة كما يستفاد من روايتي كنز العمال، ولكن من أضاف هذه الزيادة أضاف كلمة (ولا لحائض) فيدخل زوجات الرسول ﷺ في هذه المكرمة، والذي يسهل الأمر ويهون الرد إن الروايات الصحيحة لم تذكر الأزواج من قريب ولا بعيد، وتعبير الرواية بعد ذكر أسماء أهل البيت عليهم السلام: (ألا قد بينت لكم الأسماء أن لا تضلوا) فيه من التلويح الأبلغ من التصريح ما يخرج أزواج النبي ﷺ عن دائرة هذه الكرامة مع ما هن عليه من فضل الزوجية.

■ **ما يستفاد من الحديث:**

لسنا بحاجة لأن نفصّل الكلام في ذلك لنثبت مدى ما يدل عليه الحديث من فضل لعلي عليه السلام، وليكن الرأي في هذا الموضوع رأي الخليفة الثاني فهو من الذين عاصروا هذا الحدث التأريخي فيكون قوله انطباعاً صادقاً عنه وعن الصحابة الآخرين.

قال أبو هريرة: قال عمر: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لئن تكن لي خصلة منها أحب إليّ من أن أعطى حمر النعم.

قيل: وما هن يا أمير المؤمنين ؟

قال: تزوجه فاطمة بنت رسول لله، وسكناه المسجد مع رسول الله يحلّ له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر[١].

ولكي نقترب من الفضيلة أكثر نقرأ الحديث برواية أبي حازم الأشجعي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ هو وهارون، وإن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ أنا وعلي وابنا علي عليهما السلام)[٢].

إذن إنها الطهارة التي اختص الله بها نبيه صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من دون سائر المسلمين، وأي طهارة تلك! أهي الطهارة الظاهرية التي يمكن أن يحصل عليها كل أحد من المسلمين بقطرة ماء، ويتمناها الخيلفة عمر وتكون أحب إليه من أن يُعطى حمر النعم؟!

لا.. إنها طهارة من نوع آخر، نعم هي طهارة وأي طهارة!

---

(١) المستدرك على الصحيحين وصححه: ٣ / ١٣٥.

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي: ٢ / ٢٤٢.

(٤)
حديث المنزلة

١ـ الترمذي في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله أن النبيﷺ قال لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**[١].

٢ـ الذهبي بسنده عن ابن عباس عن النبيﷺ إنه قال: **«يا أم سلمة، إن علياً لحمه من لحمي وهو بمنزلة هارون من موسى مني غير أنه لا نبي بعدي»**[٢].

٣ـ وفي المناقب للخوارزمي بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ: **«هذا علي بن أبي طالب، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وقال: يا أم سلمة اشهدي واسمعي هذا علي أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وعيبة علمي، وبابي الذي أوتى منه، أخي في الدنيا، وخدني في الآخرة، ومعي في السنام الأعلى»**[٣].

٤ـ الهيثمي: وعن أم سلمة ان النبيﷺ قال لعلي: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»**[٤].

٥ـ البداية والنهاية: وقال كثير النوري: عن عبد الله بن بديل قال: دخل سعد على معاوية فقال له: مالك لم تقاتل معنا فقال: إني مرّت بي ريح مظلمة فقلت: أخ أخ، فأنخت راحلتي حتى انجلت عني، ثم عرفت الطريق فسرت، فقال معاوية: ليس في كتاب الله: أخ أخ، ولكن قال الله تعالى: ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**

---

(١) سنن الترمذي: ج ٥، ص٣٠٤، ورواه ابن عساكر في أماكن متعددة ج ١، ص ٧٨، ٣٠٨، ٣٩، ٣٥٣، صحيح ابن حبان جزء ١٥ / ١٥، سند أبي يعلى ١٢ / ٣١٠، معجم أبي يعلى ص ٧٠، مسند الشاشي ٢ / ١٦١، المعجم ٢٣ ٣٧٧.

(٢) ميزان الاعتدال: ٢ / ٣، كنز العمال: ج ١٣ ص، الخصائص للنسائي ص،

(٣) المناقب للخوارزمي: ص ١٣٠. (٤) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٠٩.

فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾[١] فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ولا مع العادلة على الباغية.

فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي**».

فقال معاوية: من سمع هذا معك؟

فقال: فلان وفلان وأم سلمة.

فقال معاوية: أما إني لو سمعته منه صلى الله عليه وآله لما قاتلت علياً.

وفي رواية من وجه آخر أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجة حجها معاوية، وأنهما قاما إلى أم سلمة فسألاها فحدثتهما بما حدث به سعد فقال معاوية: لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خادما لعلي حتى يموت أو أموت[٢].

٦ـ شرح نهج البلاغة: وذكر أبو أحمد العسكري في كتاب الأمالي: أن سعد بن أبي وقاص دخل على معاوية عام الجماعة فلم يسلم عليه بإمرة المؤمنين، فقال له معاوية: لو شئت أن تقول في سلامك غير هذا لقلت.

فقال سعد: نحن المؤمنون ولم نؤمرك، كأنك قد بهجت بما أنت فيه يا معاوية! والله ما يسرني ما أنت فيه وإني هرقت محجمة دم.

قال: ولكني وابن عمك علياً ـ يا أبا اسحق ـ قد هرقنا أكثر من محجمة ومحجمتين، هلمَّ فاجلس معي على السرير، فجلس معه فذكر له معاوية اعتزاله الحرب يعاتبه، فقال سعد: إنما كان مثلي ومثل الناس كقوم أصابتهم ظلمة فقال واحد منهم لبعيره: أخ فأناخ حتى أضاء له الطريق.

فقال معاوية: والله يا أبا اسحق ما في كتاب الله أخ وإنما فيه ﴿ **وإن طائفتان من**

---

(١) الحجرات: الآية ٩.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٧، ص ١٧٨، وج ٨، ص ٨٤.

المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾، فوالله ما قاتلت الباغية ولا المبغي عليها فأفحمه.

وزاد ابن ديزيل في هذا الخبر زيادة ذكرها في كتاب صفين: قال: فقال سعد: أتأمرني أن أقاتل رجلا قال له رسول الله ﷺ: «**أنت مني بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»؟

فقال معاوية: من سمع هذا معك؟

قال: فلان وفلان وأم سلمة.

فقال معاوية: لو كنت سمعت هذا لما قاتلته[١].

■ **سند الحديث:**

قال الترمذي في ذيل الحديث المذكور: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن سعد وزيد بن أرقم وأبي هريرة وأم سلمة).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه أبو يعلى والطبراني وفي إسناد أبي يعلى محمد بن سلمة بن كهيل وثقه ابن حيان وضعفه غيره، رجاله رجال الصحيح.

وقال عن عامر بن سعد عن أبيه وعن أم سلمة، وقال الطبراني عن عمر بن سعد عن أبيه عن أم سلمة فالله أعلم)[٢].

وحديث المنزلة بطرقه المتعددة عن الصحابة من الأحاديث المتواترة التي لا يرتاب في صدورها عن صاحب النبوة الخاتمة أحد ممن يحترم عقله وعلمه، وقد بلغ حدّاً يسمج معه التكلم في سنده.

قال صاحب المراجعات: (لم يختلج في صحة سنده ريب، ولا سنح في

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٦٣. (٢) ج ٩ ص ١٠٩.

خواطر أحد أن يناقش في ثبوته ببنت شفة، حتى إن الذهبي ـ على تعنّته ـ صرح في تلخيص المستدرك بصحته، وابن حجر الهيثمي ـ على محاربته بصواعقه ـ ذكر الحديث في الشبهة ١٢ من الصواعق، فنقل القول بصحته عن أئمة الحديث الذين لا معوّل فيه إلا عليهم، فراجع، ولولا إن الحديث بمثابة من الثبوت، ما أخرجه البخاري في كتابه، فإن الرجل يغتصب نفسه عن خصائص علي وفضائل أهل البيت اغتصابا)[1].

ولكي يزداد القارئ هدى وبصيرة ننقل له كلام الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل: (وهذا هو حديث المنزلة الذي كان شيخنا أبو حازم الحافظ يقول: خرّجته بخمسة آلاف إسناد)[2].

■ **ما يستفاد من الحديث:**

إن حديث المنزلة من الأحاديث التي استدل بها الشيعة الإمامية على خلافة الإمام عليعليه السلام بعد الرسولصلى الله عليه وآله بلا فاصلة، وطريق الاستدلال: إن الحديث جعل الإمام علياًعليه السلام من الرسولصلى الله عليه وآله بمنزلة هارونعليه السلام من موسىعليه السلام، وقد بيّن القران الكريم هذه المنزلة في قوله تعالى: ﴿ **واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري** ﴾[3]. وفي قوله أيضاً: ﴿ **واخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين** ﴾.

فهارونعليه السلام وزير وخليفة للنبي موسىعليه السلام، فالإمام عليعليه السلام وزير وخليفة للنبي محمدصلى الله عليه وآله، وبما أن هارون كان نبياً وأن علياً ليس بنبي، قال الرسولصلى الله عليه وآله: «**إلاّ أنه لا نبي بعدي**» ليستثني هذه المنزلة عن عليعليه السلام وتبقى المنازل الأخرى داخلة في أوصاف الإمامعليه السلام.

---

(١) المراجعات: ص ٢١٦، المراجعة ٢٨.
(٢) ١ / ١٥٢.
(٣) طه: ٢٩ ـ ٣٠.

فيكون المراد من «أشركه في أمري» على سبيل الخلافة لا النبوة.

فالفهم العربي لنص الحديث يجبرنا على القول: بأن علياً عليه السلام هو خليفة الرسول صلى الله عليه وآله ووصيه، وأنه أولىٰ به من كل أحد، وأنه أفضل الصحابة.. إلى غير ذلك من المنازل التي كانت لهارون من موسى عليه السلام دون غيره من بني إسرائيل.

والتعميم لسائر المنازل يستفاد من إطلاق تنزيله منه منزلة هارون من موسى، ولو كان يريد منزلة بخصوصها لا يفارقها ولا يتعداها لغيرها لبيّنها النبي صلى الله عليه وآله وهو ربّ الفصاحة والبلاغة العارف بأساليب الكلام ولغة الحوار.

وربَّ قادم من جفاف الصحراء يتمتم بلسانه المنعقد ليقول بأن كلام الرسول صلى الله عليه وآله وارد في حالة خاصة وهي حالة استخلاف الإمام علي عليه السلام على المدينة المنورة يوم أراد النبي صلى الله عليه وآله المسير لغزوة تبوك، فلا يدل كلام الرسول صلى الله عليه وآله على كون الإمام علي عليه السلام بمنزلة هارون من موسى في كل شيء ما عدا النبوة.

وما أوضح الجواب عنه، فهل يستفاد من المتكلم العربي عندما يرى المجنب في المسجد ويقول له: إن المحدث بالأكبر لا يدخل المسجد، هل يستفاد من كلامه خصوص المحدث بالجنابة أو يتعدى إلى كل حدث كبير؟ لا شك في التعدية، ولا يسمح الذوق السليم ـ للسامع العربي ـ أن يستفيد من هذا الخطاب إرادة خصوص المجنب.

وإذا رأى الطبيب مريضه يأكل الرمان الحامض وقال له: لا تأكل الحامض؛ فإنه يضر بصحتك، فهل يفهم منه إنه أراد خصوص الرمان، لأن الطبيب نهاه وهو يأكل الرمان؟

وقول الرسول صلى الله عليه وآله كذلك، فإنه مطلق لا يختص بمورد صدوره، وهذا ما يعبر عنه علماء الأصول بأن المورد لا يخصص الوارد.

أضف إلى ذلك أن هذا القول قد تكرر من الرسول صلى الله عليه وآله في موارد أخرى غير

غزوة تبوك فراجع متون الحديث ومصادره، ما ذكرناه وما لم نذكره، لترى ما ندعيه، وهو المناسب أيضاً لكلام سعد.

وهنا شيء آخر ينبغي التعرض لبيانه وهو: إن مقام خلافة النبي صلى الله عليه وآله ووزارته أمره بيد السماء حيث طلبه النبي موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام من الله سبحانه وتعالى، فهو بالنص لا بالشورى كما يذهب إليه الفكر السني، فيكون هذا الحديث دليلاً واضحاً على خلافة الإمام علي عليه السلام من جهة، وعلى بطلان نظرية الشورى من جهة أخرى. والحمد لله على التسليم بما جاء به الرسول الأمين صلى الله عليه وآله.

(٥)
علي مع الحق

١ـ في المستدرك بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لما سار علي إلى البصرة دخل على أم سلمة زوج النبيﷺ يودعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلى الحق والحق معك، ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله؛ فإنه أمرناﷺ أن نقر في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعزّ علي من نفسي ابني عمر[١].

٢ـ وعن أم سلمة إنها كانت تقول: كان علي على الحق، من اتبعه اتبع الحق، ومن تركه ترك الحق، عهد معهود قبل يومه هذا[٢].

٣ـ ابن عساكر بإسناده إلى سلمة بن كهيل عن مالك بن جعونة، عن أم سلمة، قالت: والله إن علياً على الحق قبل اليوم وبعد اليوم، عهداً معهوداً وقضاءاً مقضياً.

قلت: أنت سمعته من أم المؤمنين؟

فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات.

(قال سلمة بن كهيل) فسألت عنه فإذا هم يحسنون عليه الثناء[٣].

٤ـ وعن محمد بن إبراهيم التيمي، أن فلاناً (معاوية) دخل المدينة حاجاً فأتاه الناس يسلمون عليه، فدخل سعد فسلم، فقال: وهذا لم يُعنّا على حقنا على باطل غيرنا! قال: فسكت عنه، فقال: مالك لا تتكلم؟ فقال: هاجت فتنة وظلمة فقلت لبعيري: إخ إخ فأنخت حتى انجلت.

فقال الرجل: إني قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره فلم أر فيه إخ إخ.

فقال أما إذ قلت ذاك فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: علي مع الحق أوالحق

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ٣، ص ١١٩.
(٢) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٣٤.
(٣) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام علي٧: ج ٣، ص ١٢٠.

مع علي حيث كان.

قال: من سمع ذلك؟

قال: قاله في بيت أم سلمة.

قال: فأرسل إلى أم سلمة فسألها فقالت: قد قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتي.

فقال الرجل لسعد: ما كنت عندي قط ألوم منك الآن.

فقال: ولِمَ؟

قال: لو سمعت هذا من النبي صلى الله عليه وآله لم أزل خادما لعلي حتى أموت[1].

■ **سند الحديث:**

الحديث الأول: قال الحاكم عنه وعن حديثين قبله: (هذه الأحاديث الثلاثة كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه)[2].

والحديث ـ كما جاء في المستدرك ـ وإن لم تنقله أم المؤمنين أم سلمة (رض) عن الرسول صلى الله عليه وآله كرواية ترويها عنه إلاّ أنها استقت هذا المعنى بهذا اللفظ من الرسول صلى الله عليه وآله، إذ كيف لها أن تقسم بالله بأن علياً مع الحق والحق معه بدون مستند شرعي تستند إليه وهي المرأة الصالحة المؤمنة الصادقة بإجماع المسلمين قاطبة؟!

ويشهد لهذا المعنى الطرق الأخرى التي روت الحديث بعينه عنها (رض).

الحديث الثاني: قال عنه الهيثمي: (رواه الطبراني وفيه مالك بن جعونة ولم أعرفه، وبقية أحد الإسنادين ثقات)[3].

أقول: ما ورد في رواية ابن عساكر يرفع الاشكال عن مالك بن جعونة، لأن الراوي عنه سلمة بن كهيل قال: فسألت عنه فإذا هم يحسنون عليه الثناء، ونقل

---

(١) مجمع الزوائد: ج ٧، ص ٢٣٥، و ج ٩، ص ١٣٥. وراجع البداية والنهاية ج ٧، ص ٣٩٨، وتاريخ بغداد ج ١٤، ٣٢٠.

(٢)

(٣) مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٤.

محقق الكتاب في الهامش الرواية وفي آخرها: (فأتيت قومه فسألتهم فقلت: أتعرفون مالك بن جعونة؟ قالوا: نعم. فأثنوا عليه معروفاً وقالوا خيراً)[١].

الحديث الثالث: قال ابن عساكر: قال الدارقطني: هذا حديث غريب من حديث شعيب بن خالد، عن سلمة بن كهيل، تفرد به عمرو بن أبي قيس عنه[٢] فالملاحظ أنه لم يرمه بالضعف.

الحديث الرابع: قال الهيثمي: (ورواه البزار وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح)[٣].

قال الأميني: (الرجل الذي لم يعرفه الهيثمي هو سعد بن شعيب الحضرمي، وقد خفي عليه لمكان التصحيف، ترجمه غير واحد بما قال شمس الدين إبراهيم الجوزجاني: إنه كان شيخاً صالحاً صدوقاً. كما في خلاصة الكمال: ١ / ٣٨٢، وتهذيب التهذيب: ٤ / ٤٢)[٤].

■ من علم ابن تيمية:

كانت حجج العلامة الحلي في كتابه (منهاج الكرامة) دامغة وقوية، تسلب الطرف الآخر لبّه، وتسرق منه عقله، فيظل تائهاً لا يستطيع الإلتفات ولو لأكبر جرم أمامه، وهذا ما حصل بالفعل مع ابن تيمية حينما حدثته نفسه، أو أوحى إليه صاحبه بأن يرد على العلامة الحلي بكتاب سماه (منهاج السنة)، وأحرى به أن يسميه (منهاج البدعة)، فتسلق ابن تيمية جبلاً أملس مطلاً على هوّة سحيقة تكفي رؤيتها لأن تأخذ بروحه وعقله وفكره، فكلما رأى الشمس ساطعة تعشي بصره حثا عليها تراباً في يديه ليسترها عن الناظرين فما يبرح إلاّ والتراب ينزل في عينيه فيزداد ضلالة وعمي حتى سقط في تلك الهوّة دامي الجراح غير مأسوف عليه،

---

(١) ج ٣، ص ١٢١.
(٢) تاريخ ابن عساكر: ج ٣، ص ١٢٠.
(٣) مجمع الزوائد: ٧ / ٢٣٦.
(٤) الغدير: ج ٣، ص ٢٥٢.

هذا أخصر وصف وأحسنه لبيان ما أقدم عليه ابن تيمية من الرد على العلامة الحلي.

اقرأ معي كلامه حول هذا الحديث لتعرف الوصف المتقدم لمن سماه بعضهم بـ(شيخ الإسلام) وإن كفره علماء نحلته في عصره.

قال ابن تيمية: (حديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«علي مع الحق والحق مع علي..»** من أعظم الكلام كذباً وجهلاً، فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي صلى الله عليه وآله لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، وهل يكون أكذب ممن يروي عن الصحابة والعلماء أنهم رووا حديثاً، والحديث لا يعرف عن أحد منهم أصلاً ؟ بل هذا من أظهر الكذب، ولو قيل: رواه بعضهم وكان يمكن صحته لكان ممكناً، وهو كذب قطعاً على النبي صلى الله عليه وآله فإنه كلام ينزّه عنه رسول الله)[1].

ومما استعرضناه من الروايات المروية عن أم سلمة تعرف مَنْ هو الكاذب! بدون أن تجهد نفسك بعناء تفكير ولا طول سهر في قراءة كتب الحديث وتتبعه في مظان وجوده، ومع ذلك فقد روته علماؤهم ـ وقد أنكر رواية العلماء له ـ عن صحابة آخرين غير أم سلمة (رض)، فقد تقدمت رواية سعد بن أبي وقاص له، ورواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة[2] عن محمد بن أبي بكر حينما دخل على أخته عائشة وقال لها: (أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«علي مع الحق والحق مع علي»** ثم خرجت تقاتلينه؟).

وأخرجه الحافظ ابن مردويه في المناقب والسمعاني في فضائل الصحابة بالإسناد عن محمد بن أبي بكر عن عائشة[3].

وأخرجه ابن مردويه عن أبي ذر أيضاً[4]. والخوارزمي في المناقب[5] عن

---

(١) منهاج السنة: ٣ / ١٧٧.
(٢) ١ / ٧٣.
(٣) راجع الغدير: ٣ / ٢٥٢.
(٤) ن.م ٣ / ٢٥٣.
(٥) ص ١٧٧.

حذيفة بن اليمان.

ومن حقنا وحق كل مسلم يريد أن يتحرى الحقيقة أن يسأل ابن تيمية عن السبب الذي حمله على الحكم بكذب هذا الحديث، وأنه مما يتنزه عنه الرسولﷺ؟! فمما لا ريب فيه أن هناك أموراً تقودنا كمسلمين نؤمن بنبوة النبي محمدﷺ للقول بكذب بعض ما ينسب إليهﷺ، فهل يوجد بعضها في هذا الحديث أو مجرد لعبة بهلونية من ابن تيمية قفز بها ليتخطى رقاب الضعفاء من أهل السنة؟!

ولكي ندخل حلبة الصراع مع ابن تيمية بشكل واضح، وجو صحو لا غيم فيه نقول له: حتى نسمح لأنفسنا أن نرفع اليد عن شيء مما يروى عن الرسولﷺ ونقول عنه انه كذب ومما يتنزه عنهﷺ ـ مع أنه صحيح السند ـ لابد وأن تكون هناك مبررات واضحة المعالم، وهذه المبررات هي:

١ـ أن يكون القول المنسوب إلى الرسولﷺ مخالفاً لضرورة العقل كأن يستلزم منه الجمع بين السلب والإيجاب المحال عقلاً، أو يلزم منه اجتماع الضدين أو المثلين.

٢ـ أن يكون مخالفاً لنص القرآن الكريم غير القابل للتأويل كقوله تعالى: ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾، فيأتي مغفل ويروي عن الرسولﷺ أنه قال: (إن للسماء إلهاً وللأرض إلهاً آخر).

٣ـ أن يكون مخالفاً لخُلُق الرسولﷺ كأن يكون الكلام فحشاً ـ والعياذ بالله ـ فالرسولﷺ لا ينطق بالفحش.

٤ـ أن يكون مخالفاً لطبيعة الرسالة الإسلامية ومعالمها الواضحة.

فنسأل ابن تيمية: هل قول الرسولﷺ: «**علي مع الحق..**» فيه شيء من هذه الأمور حتى حكم بضرس قاطع أنه كذب ويتنزّه عنه الرسولﷺ؟!

كل الأدلة تشير إلى عكس قول ابن تيمية، وأن قول الرسول صلى الله عليه وآله هذا موافق لمضامين آيات القرآن وطبيعة الرسالة الإسلامية، فإن مَنْ طهره الله تعالى من الرجس وكان أجر رسالة السماء مودته ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى** ﴾ ونزلت فيه ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون** ﴾، ومن كان بابا لمدينة العلم وكان من الرسول صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى.. و... يكون مع الحق والحق معه بدون أن يداخلنا في ذلك أي ارتياب. فهل في هذا الكلام ضير يا أولي الألباب ؟ أوأن العِرق الأموي عاود نبضه من جديد ؟!

■ **ما يستفاد من الحديث:**

إن أقرب ما يخطر في ذهن المتلقي العربي الواعي لما يسمعه من كلام فصيح هي دلالة الحديث على عصمة الإمام علي عليه السلام، لأنه مع الحق دائماً وأبداً في قوله وفعله، في قيامه وقعوده بمقتضى الإطلاق في الرواية، ولا يكون الحق مخطأ أبداً وإلاّ لم يكن حقاً، بل كان باطلاً، وبهذا يكون الإمام علي عليه السلام هو الميزان بين الحق والباطل، ولهذا حكمت أم سلمة بما تقدم عنها من رواية الحاكم، وحكمت بذلك أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث كما جاء في مجمع الزوائد(١) عن جري بن سمرة قال: لما كان من أهل البصرة الذي كان بينهم وبين علي بن أبي طالب انطلقت حتى أتيت المدينة، فأتيت ميمونة بنت الحارث وهي من بني هلال فسلمت عليها، فقالت: ممن الرجل؟

قلت: من أهل العراق.

قالت: من أي أهل العراق؟

---

(١) ج ٩، ص ١٣٤.

قلت: من أهل الكوفة.

قالت: من أي أهل الكوفة؟

قلت: من بني عامر.

قالت: مرحباً، قربا على قرب، ورحبا على رحب، فمجيء ما جاء بك؟

قلت: كان بين علي وطلحة الذي كان فأقبلت فبايعت علياً.

قالت: فألحق به؛ فوالله ما ضَلَّ ولا ضُلَّ به، حتى قالتها ثلاثاً.

ويؤيده رواية أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: **«يا علي من فارقني فارق الله ومن فارقك يا علي فارقني»**. رواه البزار ورجاله ثقات[1].

(١) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٣٥.

(٦)
علي مع القرآن[١]

١ـ في المستدرك بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: كنت مع علي رضي الله عنه يوم الجمل، فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع أمير المؤمنين، فلما فرغ ذهبت إلى المدينة فأتيت أم سلمة فقلت: إني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شرابا، ولكني مولى لأبى ذر، فقالت: مرحباً فقصصت عليها قصتي، فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟

قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس.

قالت: أحسنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**»[٢].

٢ـ وفي المناقب بسنده عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أم سلمة (رض) فسلم رجل، فقيل من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذر، قالت: مرحباً بأبي ثابت، أدخل فدخل فرحبت به فقالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطايرها؟

قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

قالت: وفّقت والذي نفس أم سلمة بيده لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**»، ولقد بعثت ابني عمر، وابن أخي عبد الله أبي أمية، وأمرتهما أن يقاتلا مع علي من قاتله، ولولا أن رسول

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٥ / ٤٥٥، ج ٤٨٧٧ وحسن سنده، المعجم الأوسط ٥ / ١٣٥، المعجم الصغير للطبراني ٢ / ٢٨، الصواعق المحرقة ص ٧٤، ٧٥ أو ١٢٤، ١٢٦، الجامع الصغير: ٢ / ١٤٠ أو ص ١٧٧ ج ٥٥٩٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٦، أو ١٦٢، فيض القدير: ٤ / ٣٥٦.

(٢) مستدرك الحاكم: ج ٣، ص ١٢٤.

الله ﷺ أمرنا أن نقر في حجالنا أو في بيوتنا، لخرجت حتى أثقّف في صف علي[١].

٣ـ عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: في مرضه الذي قبض فيه ـ وقد امتلأت الغرفة من أصحابه ـ **«أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول، معذرة إليكم: ألا إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب ربي عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي»**، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: **«هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»** فاسألوهما ما خلفت فيهما (كذا)[٢].

■ **سند الحديث:**

قال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ثقة مأمون ولم يخرجاه.

■ **مفاد الحديث:**

وهذا الحديث كسابقه في دلالته على عصمة الإمام علي عليه السلام، فإنه مع القرآن لا يفترق عنه أبداً، ومن كان كذلك فهو معصوم، فإن الآية الكريمة تصف القرآن بأنه ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[٣].

ومن كان مع القرآن لا يفترق عنه في جميع شؤونه فهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا عمداً ولا سهواً، ومن كان كذلك لا يكون إلا معصوماً، ﴿ **وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين** ﴾[٤].

والذي يظهر من مثل الحديث الثالث أن الرسول ﷺ ـ لا سيما في أيامه الأخيرة من الحياة الدنيا ـ كان يؤكد على أمر إمامة الإمام علي عليه السلام، بألفاظ مختلفة، وأساليب

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص ١٧٦، ورواه في مجمع الزوائد ج ٩، ص ١٣٤، وأسد الغابة ج ٤، ص ٣٣.
(٢) هامش تاريخ ابن عساكر ج ٣، ص ١٢٥، عن أرجح المطالب ص ٣٤٠ و ٥٩٨.
(٣) فصلت / ٤٢.
(٤) البقرة / ٤٥.

متنوعة، إلا أن ذلك التأكيد لم يجد له صدى في نفوس الكثيرين من المسلمين ـ آنذاك ـ ويا للأسف!

(٧)
علي وصيي

في المناقب للخوارزمي من رواية مطولة نختار منها هنا ما يخص العنوان، وسوف نذكر الباقي تحت عنوان آخر إن شاء الله تعالى: بإسناده عن أم سلمة زوج النبي ﷺ وكانت ألطف نسائه وأشدهن له حباً وقال: إلى قول أم سلمة:

ثم قال لي ـ تعني الرسول ﷺ ـ: **«يا أم سلمة لا تلوميني، فان جبرئيل أتاني من الله تعالى بأمر أن أوصي به علياً من بعدي، وكنت بين جبرئيل وعلي، وجبرئيل عن يميني وعلي عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر علياً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة، فاعذريني ولا تلوميني، إن الله عز وجل اختار من كل أمة نبياً واختار لكل نبي وصياً، فأنا نبي هذه الأمة وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي من بعدي...»**[١].

■ **سند نصوص الوصية:**

إن نصوص الوصية من النصوص المتواترة التي لا يرقى إليها الشك وإن استعان بأجنحة الجن، وحسبك للتعرف على ذلك ما قاله الإمام شرف الدين في مراجعته العشرين حول حديث الدار يوم الإنذار المتضمن لقول الرسول ﷺ: **«إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم»**.

قال ﵀: (من أحاط علماً بسيرة النبي ﷺ، في تأسيس دولة الإسلام، وتشريع أحكامها، وتمهيد قواعدها، وسن قوانينها وتنظيم شؤونها عن الله عزّ وجل، يجد علياً وزير رسول الله في أمره، وظهيره على عدوه، وعيبة علمه، ووارث حكمه، وولي عهده، وصاحب الأمر من بعده، ومن وقف على أقوال النبي ﷺ وأفعاله، في حله وترحاله ﷺ، يجد نصوصه في ذلك متواترة، من مبدأ أمره إلى منتهى عمره..)

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص ١٤٦.

إلى أن قال:

(أخرجه بهذه الألفاظ كثير من حفظة الآثار النبوية، كابن اسحق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في سننه وفي دلائله، والثعلبي، والطبري في تفسير سورة الشعراء من تفسيرهما الكبيرين، وأخرجه الطبري أيضاً في الجزء الثاني من كتابه: تاريخ الأمم والملوك، وأرسله ابن الأثير إرسال المسلمات في الجزء الثاني من كامله عند ذكره أمر الله نبيه بإظهار دعوته..)[1].

■ **مدلول الحديث:**

إن ألفاظ هذا الحديث تغلق الباب في وجه أصحاب التأويل وتقطع عليهم كل طريق، وتسد جميع منافذ العبور، أو التسلق من فوق الجدران، فلا تدع مجالاً لمكابر أو معاند، ويكفي القارئ له أن يكون صاحب عقل ولغة يستطيع بهما أن يدرك معاني المفردات ومداليل الكلمات. نعم من لا حياء له يمكنه التخبط في تيه لا يعرف مداه، وليس كلامنا مع أمثاله.

■ **ما يستفاد من الحديث:**

١ـ إن الإمام علياًعليه السلام وصي الرسولصلى الله عليه وآله، والوصي في مصطلح الفقه هو الشخص المعيّن لتنجيز وصايا الميت وتنفيذها، فلا يكون ـ إذن ـ إلاّ بعد موته وقد صرحت الرواية بذلك في كلمة (من بعدي) في مقطعين منها.

٢ـ إن المراد من الوصية في الحديث هي الوصاية العامة لا الخاصة، أي أنه الخليفة من بعدهصلى الله عليه وآله، وذلك لقولهصلى الله عليه وآله: **«وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي»**، وهو المناسب لأمره بما هو كائن إلى يوم القيامة، وأن الاختيار وقع من قبل الله سبحانه وتعالى.

---

(١) المراجعات: ص ٢٠١، وقد ذكر محقق الكتاب مصادر الحديث بأرقام الصفحات والطبعات فراجع.

٣ـإن الوصية والخلافة بالنص لا بالشورى واختيار الناس، فهي كالنبوة من هذه الجهة، (وإن الله عز وجل اختار من كل أمة نبياً واختار لكل نبي وصياً).

٤ـ إن الإمام علياًعليه السلام يعلم الغيب بتعليم من السماء بواسطة الرسولصلى الله عليه وآله (فأمرني جبرئيل أن آمر علياً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة).

(٨)
مَن سب علياً فقد سبني

١ـ الإمام أحمد بسنده عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سب علياً فقد سبني**»[1].

٢ـ الحاكم بسنده عن أبي عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي! فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه، قالت: يسب رسول الله ﷺ في ناديكم؟ قال: وأنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى**»[2].

وورد بعده ما يصلح لتأييد هذا المعنى:

٣ـ بسنده إلى أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة، عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام فسب علياً عند ابن عباس، فحصبه ابن عباس فقال: يا عدو الله أذيت رسول الله ﷺ، ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذابا مهيناً**﴾[3] لو كان رسول الله ﷺ حيا لآذيته.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٤ـ ما ردّت به على من سب علياً عليه السلام وفيه فضائل كثيرة، وسيأتي في مواقفها العقائدية[4].

---

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٢٣.

(٢) مستدرك الحاكم: ج ٣، ص ١٢١، كنز العمال ١١ / ٦٠١.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٤) المناقب للخوارزمي: ص ١٤٦.

٥ـ وعن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله أيسب رسول الله ﷺ فيكم؟ قلت: أنى يسب رسول الله ﷺ؟ قالت: أليس يسب علي ومن يحبه؟ وقد كان رسول الله ﷺ يحبه.

■ **سند الحديث:**

قال الهيثمي بعد روايته للحديث رقم (١): (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة).

وقال بعد الحديث رقم (٤): (رواه الطبراني في الثلاثة وأبو يعلى، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عبد الله وهو ثقة.

وروى الطبراني بعده بإسناد رجاله ثقات إلى أم سلمة عن النبي ﷺ قال مثله)[١].

وقال الحاكم بعد ذكره للحديث رقم (١): (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه بكير بن عثمان البجلي عن أبي اسحق بزيادة ألفاظ)[٢]. وسنده للحديث نفس سند الإمام أحمد ما عدا من أخبره وهو أحمد بن كامل القاضي حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثنا يحيى بن أبي بكير..الخ.

■ **وقفة مع ابن كثير:**

وبعد قرائتك لما تقدم تعرف أن الحديث لا غبش في سنده أصلاً عند القوم، ولكن هنا وقفة مع ابن كثير المتربي على بقايا سفرة ابن تيمية ووارث حقده على أهل البيت الطاهر عليهم السلام، وكلاهما شاميان فلا غرابة في ذلك..

قال ـ بعد حديث أحمد، وأبو يعلى أيضاً ـ : (وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة، وقد ورد حديثها وحديث جابر وأبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي:

---

(١) مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٠.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣ / ١٢١.

(كذب من زعم انه يحبني ويبغضك)، ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتج بها)[١].

ولكي ننصف الرجل نحتمل في عبارته احتمالين:

الأول: أنه أرجع الضمير في قوله (أسانيدها كلها) إلى جميع الروايات التي تقدمت على هذا الكلام أي روايات (من سبني) وروايات (كذب من..) وهذا الاحتمال هو الظاهر من كلامه، وعليه يظهر نتن ابن كثير حيث مرّ علينا عن قريب أن رواية الإمام أحمد صحيحة السند بشهادة الهيثمي والحاكم.

الثاني: إنه أرجع الضمير إلى خصوص روايات (كذب من..) وسيأتي الكلام حولها أو ما يقرب من مضمونها وأنها صحيحة، وعلى فرض عدم صحتها فذكر هذه العبارة هنا واضحة القصد لما فيها من الإيهام وهو المترقب من أمثال ابن كثير.

■ ما يستفاد من الحديث:

السبُّ هو الشتم ويقال عنه السباب وهي صفة يتنزّه عنها كل من كانت له أخلاق الأشراف، وقد ورد في الحديث **«سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر»**[٢] وأما هذا الحديث فقد نزّل سبَّ الإمام علي عليه السلام بمنزلة سب الرسول صلى الله عليه وآله وسبّ الرسول صلى الله عليه وآله يعني سبّ الله سبحانه وتعالى، فتكون النتيجة أن مَنْ يسب علياً فهو كافر إذ لا شك في كفر من سبّ الله والرسول صلى الله عليه وآله، فحسبك بهذا الحديث دلالة واضحة على منزلة الإمام علي عليه السلام عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

■ حكم مَنْ سبَّ النبي صلى الله عليه وآله:

وحتى تكون عند القارئ رؤية واضحة حول هذه المسألة ننقل أقوال الفقهاء

---

(١) البداية والنهاية: ٧ / ٣٩١. (٢) البخاري: ج ٤ كتاب الفتن.

في من يسب النبي‌صلى الله عليه وآله وما هو حكم الإسلام فيه:

■ **رأي الإمامية:**

قال السيد الخوئي‌قدس سره في متن تكملة المنهاج: (يجب قتل من سب النبي‌صلى الله عليه وآله على سامعه ما لم يخف الضرر على نفسه أو عرضه أو ماله الخطير..).

وعلّق على ذلك في مباني التكملة بقوله: (أما وجوب قتله ـ مضافاً إلى أنه لا خلاف فيه، بل ادّعي الإجماع عليه بقسميه ـ فلعدة روايات: (منها) صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله‌عليه السلام: (أنه سئل عمن شتم رسول الله‌صلى الله عليه وآله فقال‌عليه السلام: يقتله الأدنى فالأدنى قبل أن يرفع إلى الإمام)[1].

فالمسألة موضع إجماع عند الشيعة، مضافاً إلى وجود الروايات من قبل أهل البيت‌عليهم السلام.

■ **رأي السنة:**

قال في المغني: (وقذف النبي‌صلى الله عليه وآله وقذف أمه: ردّة عن الإسلام وخروج عن الملة، وكذلك سبّه بغير القذف، إلاّ أن سبه بغير القذف يسقط بالإسلام، لأن سبّ الله تعالى يسقط بالإسلام فسبّ النبي‌صلى الله عليه وآله أولى)[2].

وجاء في الفقه على المذاهب الأربعة: (ويكفر بقوله: بجواز اكتساب النبوة وتحصيلها بسبب الرياضة، لأنه يستلزم جواز وقوعها بعد النبي، أو سب نبي أجمعت الأمة على نبوته، أو سب ملكاً من الملائكة يجمع على ملكيته)[3].

حكم مَنْ سب الإمام‌عليه السلام

هذه بعض أقوالهم في مَنْ سبَّ النبي‌صلى الله عليه وآله وقد نزّلت الرواية التي نحن في صدد

---

(١) مباني تكملة المنهاج: ١ / ٢٦٤.
(٢) المغني لابن قدامة: ٨ / ٢٣٣.
(٣) ٥ / ٤٢٣.

الحديث عنها سب الإمام عليعليه السلام منزلة سبّ النبيصلى الله عليه وآله فالحكم بعد ضمّ هاتين المقدمتين واضح لا غبار عليه، وقد قال شيخ الطائفة المحقة الشيخ الطوسي في مَنْ سبّ الإمامعليه السلام: (مَنْ سب الإمام العادل وجب قتله)، وقال الشافعي (يجب تعزيره)، وبه قال جميع الفقهاء، ثم استدل بإجماع الفرقة وأخبارهم، وقول النبيصلى الله عليه وآله: **«مَنْ سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبَّ الله، ومَنْ سب الله وسب نبيه فقد كفر ويجب قتله»**(١).

وقال السيد الخوئيرحمه الله بعد أن ألحق بسبّ النبيصلى الله عليه وآله سب الأئمةعليهم السلام وسب فاطمة الزهراءعليها السلام: (من دون خلاف بين الأصحاب، بل ادعي عليه الإجماع بقسميه ـ المحصّل والمنقول ـ وذلك لما علم من الخارج بالضرورة أن الأئمةعليهم السلام والصديقة الطاهرةعليها السلام بمنزلة نفس النبيصلى الله عليه وآله وأن حكمهمعليهم السلام حكمهصلى الله عليه وآله وكلهم يجرون مجرى واحداً..)(٢).

ثم إن الإمام علياًعليه السلام أحد الصحابة، بل أفضلهم وقد حكم بعضهم بفسق من سبّ أحدهم عالماً متعمداً، بل زاد ابن حزم فكفره وإن لم يلتفت إلى ملازمات كلامه، فقد قال: في كتابه الفصل (٣ / ٢٥٧) وأما من سبّ أحداً من الصحابة(رض) فإن كان جاهلاً فمعذور، وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق، كمن زنى وسرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسولهصلى الله عليه وآله فهو كافر..)(٣).

ولنزداد بصيرة في المسألة يجب علينا أن نعرف: أنّ من سبّ الإمام علياًعليه السلام أو أحداً من أئمة أهل البيتعليهم السلام فهو ناصبي، لأنّ السبّ أظهر عناوين العداء والبغض والحقد، وقد عرّف النصب بالمعاداة، يقال نصبت لفلان نصباً: إذا عاديته، ومنه (الناصب) وهو الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت، أو لمواليهم لأجل متابعتهم لهم،

---

(١) الخلاف: ٢ كتاب الباغي مسألة ٥. (٢) مباني تكلمة المنهاج: ١ / ٢٦٥.
(٣) راجع الغدير: / ١ من ص ٥٨٥ الى ص ٦٠٨.

وفي القاموس النواصب والنصبة وأهل النَّصب المتدينون ببغض علي عليه السلام لأنهم نصبوا له، أي عادوه[١].

وقد رمق النبي صلى الله عليه وآله المستقبل بطرفه الغيبي فرأى ما سيقوم به أعداء علي عليه السلام، من سبّه فوق منابر المسلمين والأمر بسبه وشتمه، فأعطى للمسلمين هذا الوسام الواضح ليعقل من يعقل ويجهل من يجهل، وقد طوّق هذا الوسام أعناق قوم من الجاهلين فكان سبّة لهم مدى الدهر، لا يغسل عاره ماء البحر.

والأدهى من ذلك ما حاوله المتأخرون عنهم، من تبرير الموقف السياسي الباغي بأنه اجتهاد يؤجر عليه صاحبه!! فلم يكتفوا بغسل سيئاتهم بماء آسن حتى حبوهم بالأجر والثواب وكأنهم القيّمون على ثواب الله عز وجل وميزانه في أعمال البشر، يعطي الله من أعطوا ويمنع من منعوه.

يقول الحجوي ـ في ترجمة معاوية ـ: (ومن أقبح ما يذكر في تاريخه سبه لعلي ـ كرم الله وجهه ـ ولولا أنه في (صحيح مسلم) ما صدقت بوقوعه منه، ما أدري ما وجه اجتهاده فيه حتى كانت سنّة من بعده، والله يغفر له،وليست العصمة إلاّ للأنبياء)!![٢].

قال ابن حزم:(إن معاوية(رض) ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً)!![٣].

وقال ابن حجر الهيثمي: (وأعداؤه ـ يعني علياً عليه السلام ـ الخوارج ونحوهم من أهل الشام، لا معاوية ونحوه من الصحابة، لأنهم متأولون فلهم أجر)!![٤].

وقال أيضاً:إن معاوية وأتباعه مثابون غير مأثومين بما فعلوه من قتال علي)!![٥].

---

(١) راجع مجمع البحرين: ٢ / ١٧٣.

(٢) دروس في فقه الإمامية ١ / ٧٩ عن الفكر السامي ١ / ٢٧٦.

(٣) دليل المتحيرين ص ٣٦٦ عن الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ١٦١.

(٤) دليل المتحيرين ص ٣٦٦ عن الصواعق المحرقة ص ١٨٤.

(٥) ن . معن تطهير الجنان واللسان ص ٣٠٢.

فيا لله ولهذا الاجتهاد الذي يقول صاحبه: قال الله ورسولهصلى الله عليه وآله وأقول بخلافهما! وهنيئاً لصاحبه ما ينتظره يوم العرض الأكبر، فهلاّ كان إبليس مجتهداً مخطئاً له أجر واحد حين أمره الله سبحانه وتعالى بالسجود لآدم فلم يمتثل! ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم**﴾[1].

وكيف استطاعت أن تمرَّ هذه السخافة على عقول الكثيرين، عبر أجيال من المسلمين، وهم يدّعون أنهم أصحاب فكر وقلم ودين ؟! ألم يكن هذا الدفاع المستميت عن رجل لم يكن بذي فضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود ـ حسب وصف الإمام الحسنعليه السلام له ـ ألم يكن ذلك حرباً لله ورسوله وجهاً لوجه واجتهاداً نحو اجتهاد صاحبهم ؟ ألم يصدر عن ما خبّأته النفس الأمارة بالسوء تجاه الإمام عليعليه السلام الذي ضحّى بنفسه وما لديه من أجل رفع راية الإسلام لتخفق فوق رؤوس أولئك الذين سبّوه باسم الإسلام ودافع عنهم هؤلاء باسم الدين ؟

أعيدوا حساب أوراقكم أيها المرابون بعملة التاريخ، وارجعوا إلى رواياتكم لتعرفوا الحق، فإن من يعرف الحق يعرف أهله، وليس لكم أن تعرفوا الحق بالرجال.

جاء في الغدير: قال الزمخشري في ربيع الأبرار ـ على ما يعلق بالخاطر ـ والحافظ السيوطي: إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر، يُلعن عليها علي بن أبي طالب، بما سنّه لهم معاوية من ذلك. وفي ذلك يقول العلامة الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في أُرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي أنّه	**قد كان فيما جعلوهُ سُنّة**
سبعون ألف منبرٍ وعَشَرة	**من فوقهن يلعنون حيدرة**

(١) سورة الكهف: ٥.

وهــذه فــي جـنبها العـظائمُ	تـصغُرُ بـل تُـوجّهُ اللـوائـمُ
فـهل تـرى من سنّها يعادى	أم لا وهــل يُسـتَرُ أو يـهادى
أو عــالمٌ يـقول عـنه نسكتُ	أجب فـإنّي للجواب مُنصتُ
وليت شعري هل يقال اجتهدا	كـقولهم فـي بـغيه أم ألحدا
أليس ذا يـؤذيه أم لا فـاسمعنْ	إنّ الذي يؤذيه من ومـن ومـنْ
بل جـاء في حـديث أم سلمة	هل فـيكمُ الله يُسبُّ مَهْ لِمَهْ
عـاونْ أخـا العرفان بـالجوابِ	وعادِ مـن عـادى أبـا تـرابِ[١]

ويحسن بنا أن نختم الكلام بما كتبه ابن أبي الحديد في شرحه لقول الإمام عليه السلام: (إيه أبا وذحة) ويقصد به الحجاج وفسرت الوذحة بالخنفساء، قال في قصة ذلك وجوهاً: (ومنها أن الحجاج كان مثفاراً، وكـان يـمسك الخـنفساء حـية ليشـفى بحركتها في الموضع حكاكة، قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلاّ شانئاً مبغضاً لأهل البيت، قالوا: ولسنا نقول: كل مبغض فيه هذا الداء، وإنما قلنا: كل من فيه هذا الداء فهو مبغض.

قالوا: وقد روى أبو عمر الزاهد ـ ولم يكن مـن رجـال الشـيعة[٢] فـي أماليه وأحاديثه عن السياري عن أبي خزيمة الكاتب، وقال: ما فتشنا أحداً فيه هذا الداء إلاّ وجدناه ناصبياً)[٣].

وجاء في مجمع البحرين ما هذا لفظه: (في حديث علي عليه السلام **«إيهِ أبا وَذَحَة»** فإيه معناه زدنا وهات، والوذحة الخنفساء، وهذا القـول يـومئ بـه إلى الحـجاج بـن يوسف لعنه الله.. إلى قوله: ونقل البعض: ان الحجاج كـان مـخنثاً وكـان يأخـذ الخنفساء ويجعلها على مقعده لتعض ذلك الموضع فتسكن بعض علته)[٤].

---

(١) الغدير: ٢ / ١٦٠.
(٢) هذه الجملة من المتن.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٨٠.
(٤) ٢ / مادة وذح.

(٩)

لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن

١ـ أحمد بسنده عن مساور الحميري، عن أمه قالت: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: **«لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»**[١].

٢ـ الترمذي بسنده عن المساور الحميري، عن أمه قالت: دخلت على أم سلمة فسمعتها تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«لا يحب علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن»**، وفي الباب عن علي، هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه[٢].

٣ـ وفي المصنف لابن أبي شيبة بسنده عن مساور الحميري، عن أمه، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله يقول: **«لا يبغض علياً مؤمن، ولا يحبه منافق»**[٣].

■ **سند الحديث:**

رواة الحديث في سند الإمام أحمد هم:

١ـ عثمان بن محمد بن أبي شيبة: من رجال البخاري ومسلم.

٢ـ محمد بن فضيل: من رجال البخاري ومسلم.

٣ـ عبد الله بن عبد الرحمن أبي نصر وثقه أحمد وقال أبو حاتم: صالح[٤].

٤ـ مساور الحميري وأمه: قد عبّر الحاكم عن حديث فيه مساور وأمه بأنه صحيح الإسناد[٥].

وقد عبّر الترمذي في سننه عن الحديث بـ(هذا حديث حسن غريب من هذا

---

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٢، وجاء في المصنف لابن أبي شيبة ٦ / ٣٧٢، مسند أبي يعلى ١٢ / ٣٦٢، المعجم الكبير ٢٣ / ٢٧٤، ٣٧٥، ٣٨٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢ / ١٧٣، فضائل الصحابة ٢ / ٦١٩، ٦٤٨.

(٢) سنن الترمذي: ج ٥، ص ٢٩٩، ٤٨ / باب ١٠٨٣.

(٣) المصنف ٦ / ٣٧٢، وورد في مسند أبي يعلى ١٢ / ٣٦٢، والمعجم الكبير للطبراني ٢٣ / ٣٧٥، والسنة لابن أبي عاصم ٢ / ٥٩٧.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢ / ٤٥٤.

(٥) المستدرك ٤ / ١٩١.

الوجه)[١].

ورجال الحديث بطريقه هم رجال الإمام أحمد ما عدا الراوي عن محمد بن فضيل، فانه بطريق الترمذي واصل بن عبد الأعلى، وبطريق الإمام أحمد هو عثمان بن محمد، وهو من رجال البخاري ومسلم كما تقدم، فالحديث صحيح بهذا الإسناد.

وقد جاء في العمدة لابن البطريق عن الجمع بين الصحاح الستة عن صحيح البخاري عن أم سلمة.. فإذا ورد الحديث عن البخاري فهو غاية الغايات عند القوم.

■ وقفة قصيرة:

إن مضمون الحديث ورد عند العامة بطرق كثيرة وصور مختلفة وأسانيد صحيحة، ومن يدّعي تواتره لا يركب متن الجزاف، حتى قال علامة المعتزلة: (وقد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند المحدثين على أن النبي ﷺ قال: **«لا يبغضك إلاّ منافق ولا يحبك إلاّ مؤمن»**).

وقال: قال الشيخ أبو القاسم البلخي: (وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة قالوا: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلاّ ببغض علي بن أبي طالب)[٢].

ونتقل ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ صورتين لمضمونين:

الأولى: أبو سعيد الخدري قال: كنا نعرف المنافقين ـ نحن معاشر الأنصار ـ ببغضهم علياً.

ولم يصدر ذلك منهم عن فراغ، أو لرؤيا رأوها في المنام وعندهم حامل أسرار

---

(١) سنن الترمذي: ٥ / ٢٩٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤ / ٨٣.

السماء النبي محمد صلى الله عليه وآله، فهم وضعوا هذا الميزان الدقيق بإرشاد منه صلى الله عليه وآله، وقد تكرر مثل هذا القول من صحابة آخرين كما تقدم عن البلخي وقد خرجه في الغدير عن كل من: سنن الترمذي (٥ / ٥٩٣)، وحلية الأولياء (٦ / ٢٩٥)، والفصول المهمة (ص ١٢٣)، وأسنى المطالب (ص ٥٦)، ومطالب السؤول (ص ١٧)، ونظم الدرر (ص ١٠٢)، والصواعق المحرقة (ص ١٢٢).

الثانية: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي إليّ: انه لا يحبني إلاّ مؤمن، لا يبغضني إلاّ منافق).

■ **مصادره كما في الغدير:**

صحيح مسلم (١/ ١٢٠) كتاب الإيمان، كفاية الطالب (ص ٦٨ باب ٣)، سنن الترمذي (٥ / ٦٠١)، مسند أحمد (١ / ١٣٥)، سنن ابن ماجة (١ / ٤٢)، السنن الكبرى (٥ / ٤٧)، خصائص أمير المؤمنين (ص ١١٨)، مصابيح السنة (٤ / ١٧١)، إلى آخر ما ذكرهم ونقل التصحيح عن بعضهم فراجع[1].

وبعد هذه الإلمامة القصيرة والخلاصة المفيدة فلتذهب محاولات ابن تيمية أدراج الرياح فإنه ـ لكي ينطبق عليه الحديث المذكور ـ قال في منهاج سنته: (فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث انهماحديثان موضوعان مكذوبان على النبي صلى الله عليه وآله، ولم يُرو واحد منهما في كتب العلم المعتمدة، ولا لواحد منهما إسناد معروف)[2].

ونترك التعليق للقارئ الكريم، وما أراه فاعلاً إلاّ أن يردد الحديث على مسامع ابن تيمية ومن مشى في ركابه، فلينظر الإنسان في نفسه ودينه.

---

(١) الغدير: ٣ / ٢٦٠. واعتمدنا ترقيم صفحات المصادر على ما في الهامش.

(٢) منهاج السنة:٣ / ١٨٢ أو ٢ / ١٦٩.

■ **مدلول الحديث:**

لنذهب سوية إلى عمق التاريخ ونسمع ممن سمع من أحمد بن حنبل رأيه واستفادته من هذا الحديث، ليتضح الأمر عند من يعتقد بالإمام أحمد ويصدر عنه في فعله وقوله، ولتبلغ الحجة أقصى مداها.

قال ابن عساكر ـ بعد سند طويل ـ أنبأنا محمد بن منصور الطوسي، قال: سمعت أحمد بن حنبل وقد سأله رجل عن قول النبي ﷺ: **«علي قسيم النار»**.

فقال: هذا حديث يضطرب طريقه عن الأعمش، ولكن الحديث الذي ليس عليه لبس هو قول النبي ﷺ: **«يا علي لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق»**.

وقال الله عز وجل: ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾[1]، فمن أبغض علياً فهو في الدرك الأسفل من النار[2].

ونقله محقق الكتاب في الهامش، عن كفاية الطالب ص ٧٢ بصورة أخرى وهي:

كنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله! ما تقول في هذا الحديث الذي يروى أن علياً قال: أنا قسيم النار ؟ فقال أحمد وما تنكرون من هذا الحديث؟ أليس روينا أن النبي ﷺ قال لعلي: **«لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق»**؟

قلنا: بلى.

قال: فأين المؤمن؟

قلنا: في الجنة.

قال: فأين المنافق؟

قلنا: في النار.

---

(١) النساء: ١٤٥.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢ / ٢٥٣.

قال: فعلي قسيم النار[١].

فعندنا من هذا الحديث معادلة صحيحة لا تقبل الغلط وهي: إن حبَّ الإمام علي عليه السلام = الإيمان، وإن بغضه عليه السلام = النفاق.

فالمؤمن هو من يحب علياً، ومن يحب علياً عليه السلام هو المؤمن، ومن يبغض علياً عليه السلام هو المنافق، والمنافق من يبغض علياً عليه السلام.

والنتيجة الواضحة من هذه المعادلة هي قول الله تعالى: ﴿ **وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل وأُتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهّرة وهم فيها خالدون** ﴾[٢].

وأما المنافق فيتوجه له الخطاب القرآني المحكم: ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾[٣].

فلنا أن نعرف ـ ونحن في الحياة الدنيا ـ من سيدخل الجنة في غدٍ ومن سيلقى في الدرك الأسفل من النار، ولكل قارئ للحديث أن يضعه ميزانا يميّز به حتى من تقدمه بسنين متطاولة ليعرف صاحبه في أي الكفتين ليتمسك به ويتبعه أو يتركه ويدعه.

فهل لك ـ بعد هذا ـ أن تقول للصاحب بن عباد: انك مغال في قولك:

علي حبُّه جُنّة — قسيم النار والجَنّة

وصي المصطفى حقاً — إمام الإنس والجِنّه

ولو قام القارئ المنصف بهذا الاقتراح لانقلبت المفاهيم في عينيه، وتأرجح بين طريقين لابد من المسار في إحداهما: فإما أن يأخذ بقول الرسول صلى الله عليه وآله وهو الصادق الأمين في قوله وفعله فيعمل على ضوء وصفته الناجعة، فلا يخرج من

---

(١) ن.م. الهامش.

(٢) البقرة: ٢٥.

(٣) النساء: ١٤٥.

هدى ولا يدخل في ضلال، ويكون المسلم الحق الذي آمن بالرسول ﷺ وما جاء به من عند الله، وإما أن يشتَّ به هواه فيبعد ويبعد عن هدى الرسول ﷺ فينطبق عليه قول الله عزّ وجل: ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذابا مهيناً** ﴾[2].

فانظر ـ عزيزي القارئ ـ لدينك، وكن خير ناصح لنفسك، وتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله يعصمك من الناس.

---

(١) البقرة: ٨٥.
(٢) النساء: ١٥٠ ـ ١٥١.

(١٠)
من أحبَّ علياً أحبّني

١ـ عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل.

أخرجه المخلص الذهبي، وأخرجه غيره من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه وزاد فيه: ومن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولّى الله[١].

٢ـ رواه ابن عساكر بهذا اللفظ: دخل علي على النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله: كذب من زعم انه يحبني ويبغض هذا[٢].

٣ـ وبسند آخر: بهذا اللفظ: قالت: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله[٣].

٤ـ من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله. (طب عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده، طب عن أم سلمة)[٤].

■ **سند الحديث:**

قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني وإسناده صحيح).

والأحاديث الحاملة للحث على حبِّ الإمام علي عليه السلام والزاجرة عن بغضه كثيرة ومتعددة، ونتحمل مسؤولية الكلمة الصادقة عندما نقول: انها بلغت حدّ التواتر

---

(١) ذخائر العقبى: ٦٥، مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٣٠، كنز العمال ١١ / ٦٢٢، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٣٢.

(٢) ابن عساكر: ٢ / ١٨٦ رقم (٦٦٧).

(٣) ص ١٩٠ رقم (٦٧٣).

(٤) كنز العمال، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٣٢.

المفيد للعلم بصدورها عن صاحب النبوة الخاتمة.

■ **سرّ العلاقة بين حب علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله:**

عندما نقرأ التأريخ الإسلامي الصحيح ونلاحظ انتقالات الدعوة الإسلامية من مرحلة إلى أخرى، هناك نعرف هذا السر العجيب، فالرسول صلى الله عليه وآله يبعث اليوم ويصلي معه علي عليه السلام في غدٍ، ويدعو الرسول صلى الله عليه وآله عشريته الأقربين لينذرهم برسالة السماء وعلي عليه السلام هو الذي يهيّئ وجبة الطعام له ولضيوفه، ثم يقوم فيهم ويبيّن لهم ما أراده الله له ويسألهم ـ وكانوا أربعين رجلاً يزيدون شخصاً أو ينقصون ـ: من منكم يؤازرني على أن يكون هو الخليفة والوصي من بعدي؟ فسكت الجمع الحاضر إلاّ علياً عليه السلام فإنه يقول: أنا يا رسول الله، ويبلّغ الرسول صلى الله عليه وآله كلمته الصاعقة في داخل الحرم: (قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا) وعلي إلى جانبه[1].

ويهاجر الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة ويخلّف علياً عليه السلام ليؤدي أمانته صلى الله عليه وآله، وتقوم القبائل ضد الرسول صلى الله عليه وآله من أجل أن يخفى الضوء الإلهي، وعلي عليه السلام هو الفدائي الذي يردّ الهجمات والصدمات ويعالج وحوش الحجاز بقطع رقابهم وقدِّ أجسادهم، فيقتل نصف قتلى المشركين في (بدر) ويقتل المسلمون النصف الباقي، ويفرُّ المسلمون في (أحد) ويبقى علي عليه السلام يدافع عن الرسول صلى الله عليه وآله مع قلة من المسلمين، ويسكت الجميع في غزوة (الخندق) عندما صرخ عمرو بن عبد ود: (هل من مبارز) ويقوم له علي عليه السلام، وهكذا....

إذن للإمام علي عليه السلام دور بارز في حفظ رسالة السماء فسيف علي عليه السلام كان مع عزيمة النبي محمد صلى الله عليه وآله جنباً إلى جنب في المواقف الحرجة التي مرّت على

---

(١) تاريخ الطبري: ١ / ٥٤٢ فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي قال فأحجم القوم عنها جميعا رجاء وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي ووصي فاسمعو له وأطيعوا.
واما في تفسيره ١٩ / ١٢١، فرفع كلمة وصيي وقال: أخي وكذا وكذا، وتبعه في ذلك ابن كثير.

المسلمين، بعد هذا كله ـ وهو قليل من كثير ـ ألَا يستحق الإمام عليه السلام هذا الوسام الخالد من الوفيّ القائد الرسول محمد صلى الله عليه وآله: (من أحبّ علياً فقد أحبني)؟!

ورحم لله الشاعر السيد مصطفى جمال الدين حيث يقول:

نحن نهواك، لا لشيء، سوى ... إنك من أحمد أخٌ ووزيرُ

وحسام يحمي، وروح تفدّي ... ولسان يدعو، وعقل يُشيرُ

ومفاتيح من علوم، حباها ... لك إذ أنت كنزها المذخورُ

ضرب الله بين وهجيكما حَدْ ... أ: فأنت المنار وهو المنيرُ

وإذا الشمس آذنت بمغيبٍ ... غطّت الكونَ من سناها البدورُ

ولكي نكشف السر بصورته الواقعية نقرأ هذه الرواية المباركة:

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إن الله تعالى عهد إليّ في علي عهداً»**، قلت: **«ربِّ بيّنه لي»**.

قال: اسمع يا محمد.

قال: **«قلت: سمعت»**.

(قال): **«إن علياً راية الهدى بعدي، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، فمن أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني، فبشره بذلك»**[1].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢ / ١٨٩.

(١١)
يحبه الله ورسوله

المناقب للخوارزمي من حديث طويل عن أم سلمة:

وأقبل إلى رسول الله ﷺ فكان رسول الله في منزل زوجته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، فدق علي بن أبي طالب الباب فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها رسول الله ﷺ ـ قبل أن يقول علي: أنا علي ـ: **«قومي يا أم سلمة فافتحي له الباب ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما»**، قالت أم سلمة: فقلت: فداك أبي وأمي! ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟ فقال: **«مه يا أم سلمة، هذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق، هذا أخي، وابن عمي، وأحب الخلق إلي»**، قالت أم سلمة: فقمت مبادرة أكاد أن أعثر بمرطي، ففتحت الباب فإذا أنا بعلي بن أبي طالب عليه السلام، والله ما دخل حين فتحت له حتى علم أني قد رجعت إلى خدري، قالت: ثم إنه دخل على رسول الله ﷺ فقال: **«السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»**، فقال النبي: **«وعليك السلام يا أبا الحسن، أجلس»**[1].

■ **وفي موضع آخر:**

في المناقب بسنده عن علقمة، عن عبد الله: قال خرج النبي ﷺ من عند زينب بنت جحش، فأتى بيت أم سلمة وكان يومها من رسول الله ﷺ، فلم يلبث أن جاء علي، فدقّ الباب دقاً خفياً، فاستثبت رسول الله ﷺ الدق وأنكرته أم سلمة، فقال لها رسول الله ﷺ: **«قومي فافتحي له الباب»**، فقالت: يا رسول الله! من هذا الذي بلغ من خطره ما أفتح له الباب فأتلقاه بمعاصمي وقد نزلت في آية في كتاب الله بالأمس؟ فقال لها كالمغضب: **«إن طاعة الرسول طاعة الله ومن عصى الرسول فقد**

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٣٤٤.

عصى الله، إن بالباب رجلا ليس بالنزق ولا بالخرق، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، ففتحت له الباب، فأخذ بعضادتي الباب، حتى إذا لم يسمع حساً ولا حركة وصرت إلى خدري استأذن فدخل، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **«أتعرفينه؟»** قلت: نعم هذا علي بن أبي طالب، قال **«صدقت، سحنته من سحنتي، ولحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، اسمعي واشهدي، هو قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي، اسمعي واشهدي هو والله محيي سنتي، اسمعي واشهدي لو أن عبداً عبد الله ألف عام من بعد ألف عام بين الركن والمقام، ثم لقى الله مبغضا لعلي لأكبّه الله يوم القيامة على منخريه في النار»**[1].

ولا أراني بحاجة في التعليق عليه أكثر مما ذكرنا في الأحاديث السابقة.

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٨٦، أخبار مكة ١ / ٤٧٢.

(١٢)
فضائل متعددة

الخوارزمي بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«هذا علي بن أبي طالب، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»**، وقال: **«يا أم سلمة اشهدي واسمعي هذا علي أميرالمؤمنين وسيد المسلمين وعيبة علمي، وبابي الذي أوتي منه، أخي في الدنيا، وخدني في الآخرة، ومعي في السنام الأعلى»**[١].

■ **سند الحديث:**

سند الحديث وإن كان فيه من رمي بالضعف؛ لكونه شيعياً كما يستفاد من ميزان الاعتدال إلا أن المضامين التي وردت في الحديث قد وردت في غيره عن غير أم سلمة من الطرق المعتبرة بموازين القوم، فالحديث ـ على هذا التقدير ـ معتبر المضمون فلا يضره ضعف رجاله، على فرض ثبوت الضعف.

والحديث وإن كان مروياً عن ابن عباس إلاّ أن فيه (يا أم سلمة..) فيظهر أن الخطاب موجّه لها بالخصوص وقد روته إلى ابن عباس، أو أنه كان موجوداً في مجلس الحديث، ويشهد لذلك كلامها مع ميثم التمار الوارد في شرح نهج البلاغة:

(قال: وحج ـ ميثم التمار ـ في السنة التي قتل فيها، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقالت له: من أنت؟ قال عراقي، فاستنسبته فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب، فقالت: أنت هيثم؟ قال: بل أنا ميثم، فقالت: سبحان الله! والله لربما سمعت رسول الله ﷺ يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي، فقالت: هو في حائط له، قال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه ونحن ملتقون

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص ١٣٠.

عند رب العالمين إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقائه وأريد الرجوع، فدعت بطيب فطيبت لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، فقالت: من أنبأك هذا؟ قال: أنبأني سيدي، فبكت أم سلمة، وقالت له: إنه ليس بسيدك وحدك هو سيدي وسيد المسلمين)[١].

فالملاحظ أنها عبّرت عن الإمام عليه السلام بكلمة (سيد المسلمين) وهو نفس تعبير الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها.

■ **مدلول الحديث:**

لقب (أمير المؤمنين وسيد المسلمين) يؤكد ـ وبصورة واضحة خارجة عن دائرة الريب ـ أن الإمام علياً عليه السلام هو أفضل صحابة الرسول صلى الله عليه وآله على الإطلاق، لا يدانيه في منزلته أحد كائناً من كان، وأنه هو الخليفة الذي بيده الأمر والنهي، والحل والعقد، والسلم والحرب، والعزل والتنصيب.

(**عَيْبَة علمي**) العيبة بالفتح في اللغة هي مستودع الثياب أو مستودع أفضل الثياب. وعيبة العلم على الاستعارة[٢].

فالإمام علي عليه السلام مستودع علم النبي صلى الله عليه وآله وخزانته، ذلك العلم المتصل بالسماء فما أدراك ما هو! فعلي أعلم الصحابة بلا استثناء؛ لأنه لم يكن فيهم من كان مستودعاً لعلم النبي صلى الله عليه وآله غيره، وثبت في الصحاح أن الإمام علياً عليه السلام هو المراد بمن عنده علم الكتاب في قوله تعالى: ﴿ **ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾[٣].

وقد حاول أعداء علي عليه السلام أن يميلوا بالآية إلى عبد الله بن سلام ولكنهم لم يلتفتوا إلى أن الآية مكية وقد أسلم الرجل المذكور في المدينة، وتنبّه لذلك ابن

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٩٢. (٢) سورة الرعد: ٤٣.
(٣) سورة الرعد: ٤٣.

تيمية فادعى بأن السورة مدنية وخالف بذلك الإجماع وأحداث الواقعة، ولكنه من الذين لا يبالون بما يقولون، وقد نزع الحياء منه؛ لبغضه لأمير المؤمنينعليه السلام، فتجرّد عن معاني الأمانة العلمية والكلمة المسؤولة وكل ما ينبغي أن يتصف به العلماء، فالموعد القيامة والحكم الله والخصيم محمد.

(وبابي الذي أوتى منه) ورد عن الرسولصلى الله عليه وآله أنه قال: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»**[١]، وأما هذه الرواية فقد أطلقت ولم تحدد أنه باب لأي صفة، بل هو باب لتلك الذات المقدسة وهي ذات الرسولصلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء والمرسلين ومجمع الفضائل والمناقب، فلك أن تستفيد من هذه الجملة ما وسعك، وما أحاط به علمك، وبلغه إدراكك، فإن الإطلاق محكّم وهو حجة في الكلام بلا ريب، فلا يمنعك من ذلك مانع ولا يقف دونك حاجز ولن تستطيع أن تبلغ ما يريده الرسولصلى الله عليه وآله، فإنه ربُّ جوامع الكلم، وحسب القارئ أن يدرك قصوره عن التحليق في تلك الأجواء حتى لا يكون جاهلاً بالجهل المركب.

(أخي في الدنيا) ورد حديث مؤاخاة النبيصلى الله عليه وآله للإمام عليعليه السلام دون سائر أصحابه على ألسنة كثيرة من الصحابة وفي كتب القوم بصور مختلفة، وقد ذكر علامة الغديررحمه الله خمسين حديثاً في ذلك[٢] رداً منه على صاحب (الفصل في الملل والنحل) الذي ادّعى أخوة النبيصلى الله عليه وآله لأبي بكر دون أخوتهصلى الله عليه وآله للإمام عليعليه السلام، وهو خلاف ما عرف من الأحاديث وسيرة الرسولصلى الله عليه وآله وأنهصلى الله عليه وآله آخىٰ بين أبي بكر وعمر وبين أصحابه كل مع من يماثله واختصصلى الله عليه وآله بالإمامعليه السلام.

وقد قال ابن أبي الحديد في حديث أخوة النبيصلى الله عليه وآله لأبي بكر: (ووضعته البكرية في مقابلة حديث الإخاء)[٣].

---

(١) المستدرك ٣ / ١٣٧، ١٣٨. (٢) الغدير: ٣ / ١٦١ - ١٨١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ٤٩.

(وخِذْني في الآخرة) الخِذْن الصديق.

(ومعي في السنام الأعلى) فدرجة الإمام علي عليه السلام هي درجة الرسول صلى الله عليه وآله، ولا شك أن درجته صلى الله عليه وآله لا يصل إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل لكونه أفضل الكل وقد بلغها الإمام علي عليه السلام بتصريح الرسول صلى الله عليه وآله، فقف على السفح وصعّد بنظرك إلى قمة الجبل الشامخ واعترف بالقصور.

(١٣)
إذا غضب الرسولﷺ لم يجترئ أحد أن يكلمه إلاّ عليعليه السلام

١ـ الحاكم وغيره بسندهم عن أم سلمة رضي الله عنها، إن النبيﷺ كان إذا غضب لم يجترئ أحد منا يكلمه غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

■ **سند الحديث:**

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[2].

■ **مدلول الحديث:**

يحكي هذا الحديث عن مدى العلاقة والارتباط القلبي والروحي بين النبيﷺ والإمام عليعليه السلام، فإن اقتراب الإنسان من الآخر في حالة الغضب لا يحصل إلاّ ممن كان له قرب نفسي تذوب معه جميع الحواجز الأخرى، لا سيما إذا كان الغاضب صاحب منصب رئاسي، كيف والغاضب ـ في الرواية ـ هو الرسولﷺ الذي لا يغضب إلاّ لله وللحق.

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٣٠، كنز العمال: ج ٧ ص، المعجم الأوسط ٤ / ٣١٨، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١١٦، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وسقط منه التابعي وفيه حسين بن الأشقر وثقه ابن حيان وضعفه الجمهور وبقية رجاله وثقوا.

(٢) المستدرك: ٣ / ١٣٠.

(١٤)

في خيبر

عن أم سلمة وكانت في غزوة خيبر قالت: سمعت وقع السيف في أسنان مرحب[١].

■ **سنده:**

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات[٢].

■ **شجاعة عليعليه السلام وقوته:**

مرحب هو بطل اليهود وقائدهم المعتمد في الحروب، وحينما نزل المعركة كان مدججاً بالسلاح، محتمياً بترسه ولامة حربه وخوذة فوق رأسه، لتحميه من الأذى أن يصل إلى رأسه، ولكن سيف ابن أبي طالبعليه السلام وصل إلى أسنانه وسمعت أم سلمة وقع السيف فيها، ولا ندري طول المسافة بين حصن اليهود وموقع معسكر الرسولصلى الله عليه وآله ولا أظنها تقل عن ألف متر أو ألفين، فانظر إلى هذه القوة التي يحتضنها سيف الإسلام الخالد وبطله الذي لا ندٌّ له.

قال ابن أبي الحديد: وأما الشجاعة فإنه أنسي الناس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرَّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاّ قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث كانت ضرباته وتراً، ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال عمرو: لقد أنصفك. فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي

(١) مجمع الزوائد: ٦ / ١٥٢، الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٩٣٩، المعجم الكبير ٢٣ / ٢٥١.

(٢) نفس المصدر.

الحسن وأنت تعلم انه الشجاع المطرق، أراك طمعت في أمارة الشام بعدي، وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته.

وقال: (وأما القوة والأيد فبه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في المعارف: ما صارع أحداً قط إلاّ صرعه، وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة وكان عظيماً جداً وألقاه إلى الأرض)[١].

وقد أشاد ببطولة ابن أبي طالب عليه السلام كل من قرأ التاريخ الإسلامي في بدء الدعوة إلاّ تلك الوجوه التي تقرأ ما في نفسها وعينها مسمرة في أوراق التاريخ البيضاء أمثال محب الدين الخطيب، فهذا المسيحي بولص سلامة يقول:

(ويقرأ الجبان سيرة علي فتهدر في صدره النخوة وتستهويه البطولة، إذ لم تشهد الغبراء، ولم تظل السماء، أشجع من ابن أبي طالب، فعلى ذلك الساعد الأجدل اعتمد الإسلام يوم كان وليداً، فعلي هو بطل بدر وخيبر والخندق..)[٢].

وزبدة القول: لم تلد رحم التاريخ ـ غير النبي محمد صلى الله عليه وآله ـ كفاً كتلك الكف التي يستريح في راحتها ذو الفقار، ولم تُشِد السماء بفتوة غير تلك الفتوة التي أشادت بها حين حامى عن النبي صلى الله عليه وآله في غزوة أحد وقد هرب عامة المسلمين إلاّ هو، ثم رجع نفر ممن أدركتهم رحمة الله **«لا فتى إلاّ علي، ولا سيف إلاّ ذوالفقار»**، وأداة الحصر في كلتا الجملتين دليل على كل ما ندعيه.

وغزوة خيبر من أكبر الشواهد على ذلك حين قتل بطل اليهود مرحباً وهو شاكي السلاح كما يدل على ذلك رجزه الذي ارتجز به:

قد علمت خيبر أني مرحبُ — شاكي السلاح بطل مجربُ

وقلع باب الحصن الذي قال فيه ابن أبي الحديد:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ١ ص ٢٠.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ص ١١.

يا قالع الباب الذي عن هزّه   عجزت أكف أربعون وأربعُ

وقد تكرر ذلك في الأشعار فإليك هذه المقطوعة من القصيدة الأزرية:

وله يـــوم خـــيبر فـــتكات   كـبرت مـنظراً عـلى مـن رآهـا

يـوم قـال النبي اني لأعطي   رايـتي ليـثها وحـامي حـماها

فـاستطالت أعـناق كـل فـريق   ليـــروا أي مـــاجد يـــعطاها

فـدعا أيـن وارث الحـلم والبـ   ـأس مـجير الأيـام مـن بأسـاها

أيـن ذو النـجدة الذي لو دعـته   فـــي الثـــريا مـروعة لبّـاها

فأتـــاه الوصـــي أرمـد عـين   فسـقاها مـن ريـقه فشـفاها

ومضى يطلب الصفوف فولّت   عـــنه عـــلماً بأنّـه أمـضاها

وبـرى مـرحباً بكـف اقـتدار   أقـوياء الأقـدار مـن ضعفاها

ودحـــى بـــابها بـقوة بأس   لو حـمته الأفـلاك مـنه دحـاها

(١٥)
حديث الغدير

جاء في كتاب الغدير عند تعداد رواة حديث الغدير من الصحابة:

١٥ـ أم سلمة زوجة النبي الطاهرﷺ: أخرج ابن عقدة من طريق عمرو بن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه عن جده عن أم سلمة قالت: أخذ رسول اللهﷺ بيد علي بغدير خم، فرفعها حتى رأينا بياض إبطيه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

ثم قال: أيها الناس! إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي ولن يتفرّقا حتى يردا علي الحوض.

ورواه عنها السمهودي الشافعي في جواهر العقدين كما في ينابيع المودة ص ٤٠، والشيخ أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكي الشافعي في وسيلة المآل من طريق ابن عقدة باللفظ المذكور[١].

وحديث الغدير من أقوى الأدلة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وقد اختار الرسولﷺ لإبلاغه زماناً ومكاناً موقتين ليثير بذلك الانتباه، ويبقى الموقف في الأذهان راسخاً، فقد اختار وقت رجوع المسلمين من حجة الوداع، وقد كانوا في ذلك العام مائة وعشرين ألف مسلم أو يزيدون، وكان المكان مفترق الطرق المؤدية إلى بلاد الإسلام آنذاك، في منطقة صحراء، وفي جو مشمس شديد الحرارة.

■ **سند الحديث:**

لا يخفى على أحد من أهل العلم أن حديث الغدير من الأحاديث المتواترة

---

(١) الغدير ١ / ١٧.

التي لا يرقى الشك إلى سندها، ولا أراني بحاجة إلى الإطناب لإثبات ذلك، وما عليك ـ إن داخلك الشك ـ إلا أن تقرأ كتاب (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) لتعرف صدق ما نقول، فقد نهض علامة الغدير الشيخ الأميني رحمه الله رحمة الأبرار، بأعباء هذا الأمر فقام به خير قيام فأثبت أسانيده في جميع الطبقات من الصحابة إلى عصره، أي من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع عشر، ونكتفي الآن بنقل شيء مما جاء في كتابه، حيث قال:

(ولا أحسب أن أهل السنة يتأخرون بكثير من الإمامية في إثبات هذا الحديث، والبخوع لصحته، والركون إليه، والتصحيح له، والإذعان بتواتره، اللهم إلا شذّاذ تنكّبت عن الطريقة، وحدت بهم العصبية العمياء إلى رمي القول على عواهنه، وهؤلاء لا يمثلون من جامعة العلماء إلا أنفسهم، فإن المثبتين المحققين للشأن، المتولعين في الفن، لا تخالجهم أيّة شبهة في اعتبار أسانيدهم التي أنهوها متعاضدة متظافرة بل متواترة إلى جماهير من الصحابة والتابعين..)[1].

وجاء في الهامش من نفس الصفحة:

(رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً، والجزري المقري من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً، وفي تعليق هداية العقول ص ٣٠ عن الأمير محمد اليمني (أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر): أن له مائة وخمسين طريقاً).

■ **دلالة الحديث**

نستفيد من هذا الحديث مثل ما استفاد الصحابة حينما سمعوا هذا القول من

---

(١) الغدير ١ / ١٤.

الرسولﷺ، فإنهم استفادوا من ذلك ولاية الإمام عليعليه السلام على الناس من بعد الرسولﷺ، وهم الأعرف أولاً بلغة العرب ممن جاؤا بعدهم بقرون طالت أو قصرت، وهم الأعرف ثانياً بمقاصد الرسولﷺ حيث كان معهم، يعيش بين ظهرانيهم، وهم يسمعون لما يتلو عليهم، فيعرفون عباراته وإشاراته ومقاصده.

فلا نحتاج ـ إذن ـ للأبحاث المطولة في المقصود من كلمة (أولى)، وهل تدل على ولاية الإمام عليعليه السلام أو لا، فإن من أنكر دلالتها على ذلك ـ بعد ما جاءه من الذكر المبين ـ ما هو إلا من المتعصبين أو الجاهلين.

فليس علينا الآن إلا أن نثبت أن الصحابة استفادوا من كلمة (أولى) الولاية عليهم بعد الرسولﷺ، ومما يدل على ذلك حديث التهنئة، فقد ذكر علامة الغدير ستين مصدراً من مصادر أهل السنة تروي تهنئة الشيخين لعلي بن أبي طالبعليه السلام، ولا أظن أن تهنئتهم له لأن الرسول قال لهم: إنه ناصركم أو محبكم، أو شيء من هذا القبيل!

قال الأميني أعلى الله مقامه: (وخصوص حديث تهنئة الشيخين رواه من أئمة الحديث والتفسير والتأريخ من رجال السنة كثير لا يستهان بعدّتهم بين راو مرسلاً له إرسال المسلّم، وبين راوٍ إياه بمسانيد صحاح برجال ثقات تنتهي إلى غير واحد من الصحابة كابن عباس وأبي هريرة والبراء بن عازب وزيد بن أرقم، فممن رواه:

الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة المتوفى ٢٣٥، أخرج بأسناده عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول اللهﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم، إلى أن قال: فأخذ بيد علي فقال: اللهم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة)[1].

(١) الغدير ١ / ٢٧٢.

ونكتفي بهذا المقدار ومن أراد المزيد حول هذا الحديث فعليه بالجزء الأول من الغدير ففيه الكفاية، بل ما فوقها، سنداً ومتناً ودلالة، وأقام القرائن الكثيرة، الداخلية والخارجية، على أن المراد من كلمة (مولى) هي (الأولى) وأنها تعني الأولى بالأمر، ومن قرأه بعين الإنصاف، وتجنب طريق الاعتساف، آمن بأن المراد منه تنصيب علي عليه السلام على المسلمين إماماً ووليّاً وخليفة للرسول صلى الله عليه وآله كما يذهب إليه الشيعة الإمامية.

(١٦)
ان الإمام علياًعليه السلام أقرب الناس عهداً بالرسولصلى الله عليه وآله

١ـ الحاكم وغيره بسندهم إلى أم سلمة رضي الله عنها قالت: والذى أحلف به: أن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول اللهصلى الله عليه وآله، عدنا رسول اللهصلى الله عليه وآله غداة وهو يقول: جاء علي؟ جاء علي؟ مراراً، فقالت فاطمة رضي الله عنها: كأنك بعثته في حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت: أم سلمة فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول اللهصلى الله عليه وآله وجعل يسارّه ويناجيه، ثم قبض رسول اللهصلى الله عليه وآله من يومه ذلك فكان علي أقرب الناس عهدا[1].

■ **سند الحديث:**

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[2]. وهو يرويه عن أحمد بن حنبل.

وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى.. والطبراني باختصار، ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة)[3].

■ **آخر مَنْ ودّع الرسولصلى الله عليه وآله:**

وقفت عائشة وحدها في صف مواز لمجموعة من الرواة رووا أن النبيصلى الله عليه وآله قد انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو في حجر ابن عمه الإمام عليعليه السلام، ومن جملة هؤلاء

---

(١) المستدرك للحاكم: ج ٣ ص ١٣٨، وورد في مسند أحمد: ج ٦، ص ٣٠٠، كنز العمال: ج ١٣ ص، ذخائر العقبى: ص ٧٢، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢، البداية والنهاية: ج ٧ ص٣٩٧، وص ٣٦٠، أخبار أصفهان: ج ١ ص ٢٥٠، المصنف لابن أبي شيبة ٦ / ٣٦٥، فضائل الصحابة ٢ / ٦٨٧، الوفاة للنسائي ٢ / ٥٢، الخصائص للنسائي ٢ / ١٦٥، مسند أبي يعلى ١٢ / ٣٦٤، المعجم الكبير ٢٣ / ٣٧٥.

(٢) المستدرك: ٣ / ١٣٨.

(٣) مجمع الزوائد: ٩ / ١١٢.

الرواة هي أم المؤمنين أم سلمة، وقد رأينا لهجتها في هذا الحديث مختلفة عن أحاديثها الأخرى تماماً، فإنها افتتحت مقالتها بقولها: (والذي أحلف بـه..) مـما يومي إلى أهمية الموقف، وإلى أن هناك شيئاً يختفي وراء الألفاظ، والذي يظهر من ذلك ومن ملاحظة روايات عائشة المختلفة الألفاظ والمضامين، أن عـائشة كانت تشيع عكس ما رأته أم سلمة وآخرون من الصحابة لأمر كان في نـفسها، فكان الموقف يقتضي هذا الأسلوب الصارم، فإنه أسلوب مواجهة وإثبات حـق وليس مجرّد رواية ترويها.

وهذا ما يدعونا لاستعراض بعض روايات عائشة وروايات غيرها لتبدو خيوط من الضوء فتكشف لنا عن ملامح الموقف الصحيح:

أمثلة من روايات عائشة:

١ـ في صحيح البخاري أن عائشة كانت تقول: (من نعم الله علي أن رسـول الله صلى الله عليه وآله توفي في بيتي وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته..)[1].

٢ـ وقالت في حديث آخر: مات رسول الله صلى الله عليه وآله وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

٣ـ وأخرج البخاري ومسلم وابن سعد والنسائي وأحمد عن الأسود قال: ذكر عند عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله أوصىٰ إلى علي، فقالت: من قاله؟ وفي رواية: متى أوصىٰ إليه؟ لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وأنـا مسـندته إلى صـدري، أو قـالت: حـجري، فـدعا بالطست ليبول فيها فانخنث فمات فما شعرت به، فكيف أوصى إلى علي؟ أو فمتى أوصى إلى علي؟ وما مات إلاّ بين سحري ونحري، توفي وليس أحد عنده

---

(١) كتاب المغازي، باب مرض النبي: ٣ / ٦٤. (٢) ن.م.

غيري(١).

والرواية الثالثة هي التي تبيّن لنا السبب في إصرار عائشة على دعواها أن الرسول ﷺ مات بين سحرها ونحرها.. إنها الوصية لعلي عليه السلام، وكأنها تظن أن الوصية لا تكون إلاّ في آخر ساعة من ساعات الدنيا، فإذا لم يكن علي حاضراً ساعتئذ فكيف يوصي اليه الرسول ﷺ؟!

لا يا أم المؤمنين! فان الوصية قد تسبق الوفاة بأيام وسنين، وأما الوصية لعلي عليه السلام فهي من أول يوم أنذر فيه الرسول ﷺ عشيرته الأقربين كما مرَّ عن قليل، يوم لم تكن عائشة شيئاً يُذكر في تاريخ الإسلام، ثم توالت الكلمات في ذلك، كلمة تتبع أخرى.

والعجب كل العجب كيف تخطّت هذه الفكرة عقول من رووا عنها أن النبي ﷺ أوصى لعلي! هل هو الجهل بأحكام الإسلام أو شيء آخر؟!

أمثلة من روايات الصحابة:

١ـ قيل لابن عباس: (أرأيت الرسول ﷺ توفي ورأسه في حجر أحد ؟ قال: نعم وإنه لمستند إلى صدر علي عليه السلام، فقيل له: إن عروة يحدّث عن عائشة أنها قالت: توفي بين سحري ونحري، فأنكر ابن عباس ذلك قائلاً للسائل: أتعقل؟ والله لتوفي رسول الله وإنه لمستند إلى صدر علي، وهو الذي غسله(٢).

٢ـ عن جابر بن عبد الله الانصاري، ان كعب الأحبار سأل عمر فقال: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: سل علياً، فسأله كعب، فقال علي: أسندت رأسه على منكبي، فقال: الصلاة الصلاة، قال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء، وبه أمروا وعليه يبعثون..)(٣).

---

(١) ن. م: ٢ / ٨٤، وسنن النسائي: ٦ / ٢٤١، وراجع كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة القسم الثاني ص ١٨٨ وما بعدها.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢ / ٢٦٣.

(٣) ن. م: ٢ / ٢٦٢.

وفي إرجاع عمر لكعب الأحبار إشارة واضحة إلى معرفته بأن الإمام علياً عليه السلام هو آخر من تعاهد الرسول، وفي تصريح الإمام عليه السلام ما يغني عن المقال.

٣ـ قال الإمام علي عليه السلام في إحدى خطبه: «**ولقد علم المستحفظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها، ولقد قبض صلى الله عليه وآله، وان رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي...**»[1].

فهذه الروايات وغيرها تقف في صف أم سلمة وتؤيّد مقالتها حتى أنّ ابن عباس قد استفهم استفهاماً إنكارياً: (أتعقل؟) ثم قال: (والله لتوفي..)، وهذا الأسلوب فيه من الوضوح ما يجعلنا نقطع بكون الأمر عندهم من المسلمات التي لا تقبل الشك، ولكن عائشة حدا بها سائق فمال بها عن الطريق، ولكنها ما برحت حتى عاودت المسير على الجادة فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما حضرته الوفاة: ادعوا لي حبيبي، فدعوا له أبا بكر فنظر اليه ثم وضع رأسه فقال: ادعوا لي حبيبي، فدعوا له عمر فلما نظر اليه وضع رأسه ثم قال: ادعوا لي حبيبي، فدعوا له علياً، فلما رآه أدخله معه في الثوب الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض صلى الله عليه وآله[2].

ويؤيد هذا الحديث ما رواه ابن كثير ـ وإن أنكره على عادته في أحاديث فضائل الإمام علي عليه السلام ولكن لم يرمه بالضعف ـ: عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا: يا أم المؤمنين أخبرينا عن علي، قالت: أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وآله موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه..)[3].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٧). (٢) ذخائر العقبى: ص ٧٢.

(٣) البداية والنهاية: ٧ / ٣٩٧.

(١٧)
زواج الإمام علي عليه السلام بالزهراء عليها السلام

حديث زواج الإمام عليه السلام بفاطمة عليها السلام وفضائل كثيرة:

الخوارزمي بسنده عن أم سلمة وسلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما أدركت فاطمة بنت رسول الله مدرك النساء، خطبها أكابر قريش من أهل السابقة والفضل في الإسلام والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله أعرض رسول الله عنه بوجهه، حتى كان الرجل منهم يظن في نفسه أن رسول الله ساخط عليه، أو قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وحي من السماء.

ولقد خطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر الصديق، فقال له رسول الله: يا أبا بكر أمرها إلى ربها، وخطبها بعد أبي بكر عمر بن الخطاب، فقال له كمقالته لأبي بكر، وإن أبا بكر وعمر كانا ذات يوم جالسين في مسجد رسول الله ومعهما سعد بن معاذ الانصاري، ثم الأوسي فتذاكروا أمر فاطمة بنت رسول الله، فقال أبو بكر: لقد خطبها من رسول الله الأشراف فردهم رسول الله، وقال: أمرها إلى ربها إن شاء أن يزوجها زوجها، وإن علي بن أبي طالب لم يخطبها من رسول الله ولم يذكرها له، ولا أراه يمنعه من ذلك إلا قلة ذات اليد، وإنه ليقع في نفسي ان الله ورسوله إنما يحبسانها عليه.

قال: ثم أقبل أبو بكر على عمر بن الخطاب وعلى سعد بن معاذ فقال: هل لكما في القيام إلى علي بن أبي طالب حتى تذكرا له هذا، فإن منعه منه قلة ذات اليد، واسيناه وأسعفناه، فقال له سعد بن معاذ: وفقك الله يا أبا بكر فما زلت موفقا، قوموا بنا على بركة الله ويمنه.

قال سلمان الفارسي: فخرجوا من المسجد فالتمسوا علياً في منزله فلم يجدوه، وكان ينضح ببعير كان له الماء على نخل رجل من الأنصار بأجرة، فانطلقوا نحوه

فلما رآهم نظر إليهم عليعليه السلام، قال: ما وراءكم وما الذي جئتم له؟ فقا له أبو بكر: يا أبا الحسن إنه لم يبق خصلة من خصال الخير إلا ولك فيها سابقة وفضل، وأنت من رسول اللهصلى الله عليه وآله بالمكان الذي قد عرفت من القرابة والصحبة والسابقة، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله ابنته فاطمة فردهم وقال: أمرها إلى ربها إن شاء أن يزوجها، زوجها، فما يمنعك أن تذكرها لرسول الله وتخطبها منه؟ فإني أرجو أن يكون الله سبحانه وتعالى ورسوله إنما يحبسانها عليك، قال فتغرغرت عينا علي بالدموع وقال: يا أبا بكر لقد هيجت مني ما كان ساكنا، وأيقظتني لأمر كنت عنه غافلا، وبالله إن فاطمة لرغبتي، وما مثلي يقعد عن مثلها، غير أني يمنعني من ذلك قلة ذات اليد، فقال له أبو بكر: لا تقل هذا يا أبا الحسن، فإن الدنيا وما فيها عند الله تعالى ورسوله كهباء منثور، قال ثم إن علي بن أبي طالبعليه السلام حل عن ناضحه وأقبل يقوده إلى منزله، فشده فيه وأخذ نعله، وأقبل إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله فكان رسول الله في منزل زوجته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، فدقَّ علي بن أبي طالب الباب، فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها رسول اللهصلى الله عليه وآله - قبل أن يقول علي: أنا علي -: قومى يا أم سلمة فافتحي له الباب ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما، قالت أم سلمة: فقلت: فداك أبي وأمي ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وانت لم تره؟ فقال: مه يا أم سلمة، هذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق، هذا أخي وابن عمي وأحب الخلق إلي، قالت أم سلمة: فقمت مبادرة، أكاد أن أعثر بمرطي[1]، ففتحت الباب فإذا أنا بعلي بن أبي طالبعليه السلام، والله ما دخل حين فتحت له حتى علم أني قد رجعت إلى خدرى، قالت: ثم إنه دخل على رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال النبي: وعليك السلام يا أبا الحسن، اجلس، قالت أم سلمة: فجلس علي بن أبي طالبعليه السلام

---

(١) المرط: كساء من خز او صوف او كتان يؤتزر به وتتلفع بها المرأة المعجم الوسيط.

بين يدى رسول الله ﷺ، وجعل يطرق إلى الأرض كأنه قصد لحاجة وهو يستحيي ان يبديها لرسول الله، فهو مطرق إلى الأرض حياء من رسول الله، فقالت أم سلمة: فكأن النبي ﷺ علم ما في نفس علي فقال له: يا أبا الحسن، إني أرى انك أتيت لحاجة فقل حاجتك وابد ما في نفسك، فكل حاجة لك عندي مقضية.

قال علي بن أبي طالب: «**فقلت فداك أبي وأمي إنك تعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، لا عقل لي**[1] **فغذيتنى بغذائك وأدبتني بأدبك فكنت لي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة، وان الله عزَّ وجلَّ هدانى بك وعلى يديك، واستنقذتني مما كان عليه آبائي**[2] **وأعمامي من الحيرة والشرك، وإنك والله يا رسول الله ﷺ ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة، يا رسول الله فقد أحببت مع ما قد شد الله من عضدي بك أن يكون لي بيت وأن تكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً أخطب إليك ابنتك فاطمة فهل أنت مزوجني يا رسول الله ﷺ**»؟ قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل فرحا وسرورا، ثم تبسم في وجه علي عليه السلام وقال له: «**يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوجك به**»؟ فقال له علي: «**فداك أبي وأمى، والله ما يخفىٰ عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحي، ما أملك شيئاً غير هذا**»، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا علي أما سيفك فلا غناء بك عنه، تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله، وناضحك فتنضحه على نخلك وأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوجتك بالدرع ورضيت بها منك، يا أبا الحسن! أأبشرك؟**» قال علي عليه السلام فقلت: «**نعم فداك أبي وأمي يا رسول الله، بشرني فانك لم تزل ميمون النقيبة مبارك الطائر رشيد الأمر صلى الله عليك**» فقال لي رسول الله: «**أبشر يا أبا الحسن فان الله عز وجل قد زوجكها في السماء من قبل أن**

---

(١) التعبير لا يخلو من شوب الإشكال.

(٢) كلمة « آبائي» زيادة سهوية أومقحمة، وسيأتي التعرض لذلك.

أزوجكها في الأرض ولقد هبط عليّ في موضعي من قبل أن تأتيني، ملك من السماء له وجوه شتى، وأجنحة شتى، لم أر قبله من الملائكة مثله فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أبشر يا محمد باجتماع الشمل وطهارة النسل».

فقلت: «وما ذاك أيها الملك؟».

فقال: «يا محمد أنا سيطائيل الملك الموكل بإحدى قوائم العرش، سألت ربي عز وجل أن يأذن لي في بشارتك، وهذا جبرئيل في أثرى يبشرك عن ربك عز وجل بكرامة الله عز وجل»، قال النبي: «فما استتم الملك كلامه حتى هبط علي جبرئيل فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا نبي الله، ثم انه وضع في يدي حريرة بيضاء من حرير الجنة وفيها سطران مكتوبان بالنور، فقلت: حبيبي جبرئيل ما هذه الحريرة وما هذه الخطوط؟.

فقال جبرئيل: يا محمد إن الله اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه وابتعثك برسالاته، ثم اطلع إلى الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً، فزوجه ابنتك فاطمة».

فقلت: «حبيبي جبرئيل ومن هذا الرجل؟» فقال لي: «يا محمد أخوك في الدين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب، وان الله أوحى إلى الجنان أن تزخر في فتزخرفت، وإلى شجرة طوبى أن احملي الحلي والحلل، فحملت شجرة طوبى الحلي والحلل، وتزخرفت الجنان وتزينت الحور العين، وأمر الله الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور، قال: فهبطت الملائكة: ملائكة الصفيح الأعلى، وملائكة السماء الخامسة، إلى السماء الرابعة، وزفت ملائكة السماء الدنيا وملائكة السماء الثانية وملائكة السماء الثالثة إلى الرابعة، وأمر الله عز وجل رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور، وهو المنبر الذي خطب فوقه آدم يوم علمه الله الأسماء وعرضهم على الملائكة، وهو منبر من نور، فأوحى الله عز وجل إلى ملك من

ملائكة حجبه يقال له راحيل: أن يعلو ذلك المنبر وأن يحمده بتحميده، وأن يمجده بتمجيده، وأن يثني عليه بما هو أهله، وليس في الملائكة كلها أحسن منطقا، ولا أحلى لغة من راحيل الملك، فعلا الملك راحيل المنبر وحمد ربه ومجده وقدسه وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السماوات فرحاً وسروراً.

قال جبرئيل: ثم أوحى إلي: أن أعقد عقدة النكاح، فإني قد زوجت أمتي فاطمة ابنة حبيبي محمد من عبدي علي بن أبي طالب، فعقدت عقدة النكاح، وأشهدت على ذلك الملائكة أجمعين، وكتبت شهادة الملائكة في هذه الحريرة، وقد أمرني ربي أن أعرضها عليك، وأن أختمها بخاتم مسك أبيض، وأن أدفعها إلى رضوان خازن الجنان، وإن الله عز وجل لما أن أشهد على تزويج فاطمة من علي بن أبي طالب عليه السلام ملائكته، أمر شجرة طوبى أن تنثر حملها وما فيها من الحلي والحلل، فنثرت الشجرة ما فيها والتقطته الملائكة والحور العين، وإن الحور يتهادينه ويفخرن به إلى يوم القيامة، يا محمد وإن الله أمرني أن آمرك أن تزوج علياً في الأرض فاطمة، وأن تبشرهما بغلامين زكيين نجيبين طيبين طاهرين فاضلين خيرين في الدنيا والآخرة.

يا أبا الحسن فوالله ما خرج الملك من عندي حتى دققت الباب ألا وإني منفذ فيك أمر ربي، أمض يا أبا الحسن أمامي، فإني خارج إلى المسجد ومزوجك على رؤوس الناس، وذاكر من فضلك ما تقر به عينك، وأعين محبيك في الدنيا والآخرة»، قال علي بن أبي طالب: «فخرجت من عند رسول الله مسرعاً، وأنا لا أعقل فرحاً وسروراً فاستقبلني أبو بكر وعمر وقالا لي: ما وراك يا أبا الحسن؟ فقلت زوجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة، وأخبرني إن الله عز وجل زوجنيها في السماء، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله خارج في أثرى ليظهر ذلك بحضرة الناس، ففرحا بذلك فرحاً شديداً ورجعا معي إلى المسجد، فوالله ما توسطناه حيناً، حتى لحق بنا رسول الله وإن وجهه ليتهلل سروراً وفرحاً وقال: أين بلال بن حمامة؟ فأجابه مسرعاً بلال وهو يقول: لبيك، لبيك يا رسول

الله فقال له رسول الله: اجمع لي المهاجرين والانصار.

فانطلق بلال لأمر رسول الله، وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله قريبا من منبره حتى اجتمع الناس، ثم رقى على درجة من المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: معاشر المسلمين، إن جبرئيل عليه السلام أتاني آنفاً فأخبرني عن ربي عز وجل بأنه جمع الملائكة عند البيت المعمور، وأنه أشهدهم جميعاً أنه زوج أمته فاطمة بنت رسوله محمد، من عبده علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمرني أن أزوجه في الأرض وأشهدكم على ذلك»، ثم جلس وقال لعلي عليه السلام: «قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك».

قال: «فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلىٰ على النبي وقال: الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ولا إله إلا الله، شهادة تبلغه وترضيه وصلى الله على محمد، صلاة تزلفه وتحظيه، والنكاح مما أمر الله عز وجل به ورضيه، ومجلسنا هذا مما قضاه الله ورضيه وأذن فيه، وقد زوجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعي هذا وقد رضيت بذلك، فسلوه واشهدوا»، فقال المسلمون لرسول الله: زوجته يا رسول الله؟ فقال رسول الله: «نعم»، فقال المسلمون: بارك الله لهما وعليهما وجمع شملهما.

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أزواجه فأمرهن أن يدففن لفاطمة، فضربن أزواج النبي صلى الله عليه وآله على رأس فاطمة عليها السلام بالدفوف[1].

قال علي بن أبي طالب: «وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا أبا الحسن انطلق الآن فبع درعك وأتني بثمنه حتى أهيئ لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما»، قال علي عليه السلام: «فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال لي: يا أبا الحسن ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن الدرع هدية مني إليك، قال: فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فطرحت الدرع والدراهم بين

(١) سيأتي التعليق على هذه العبارة.

يديه وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبيﷺ بخير، وقبض رسول الله قبضة ودعا بأبي بكر فدفعها إليه وقال: يا أبا بكر اشتر بهذه الدراهم لابنتي ما يصلح لها في بيتها، وبعث معه سلمان الفارسي وبلال بن حمامة ليعيناه على حمل ما يشتري به، قال أبو بكر: وكانت الدراهم التي دفعها إلي رسول الله ثلاثة وستين درهما، قال: فانطلقت إلى السوق فاشتريت فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف، ونطعاً من أدم، ووسادة من أدم محشوة ليف النخل، وعباءة خيبرية، وقربة للماء، وقلت: هي خادم البيت، وكيزاناً وجراراً ومطهرة للماء وستر صوف رقيق، وحملت أنا بعضه وسلمان بعضه وبلال بعضه وأقبلنا به فوضعناه بين يدي رسول اللهﷺ، فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه على لحيته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بارك لقوم جل آنيتهم الخزف».

قال علي بن أبي طالبعليه السلام: «ودفع رسول اللهﷺ باقي ثمن الدرع إلى أم سلمة وقال: ارفعي هذه الدارهم عندك، ومكثت بعد ذلك شهراً، لا أعاود رسول اللهﷺ في أمر فاطمة بشيء استحياء من رسول اللهﷺ غير أني إذا خلوت برسول اللهﷺ، قال لي: يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، أبشر يا أبا الحسن فقد زوجتك سيدة نساء العالمين»، قال علي: «فلما كان بعد شهر، دخل علي أخي عقيل فقال: والله يا أخي، ما فرحت بشيء قط كفرحي بتزويجك فاطمة ابنة رسول اللهﷺ، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول اللهﷺ أن يدخلها عليك فتقر أعيننا باجتماع شملكما؟ فقلت: والله يا أخي إني لأحب ذلك وما يمنعني أن أسأل رسول اللهﷺ ذلك إلا حياء منه فقال: أقسمت عليك، إلا قمت معي تريد رسول اللهﷺ فلقيتنا في الطريق أم أيمن مولاة رسول اللهﷺ فذكرنا ذلك فقالت: لا تفعل يا أبا الحسن، ودعنا نحن نكلم في هذا، فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع في قلوب الرجال، قال ثم انثنت راجعة فدخلت على أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبيﷺ، فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء رسول اللهﷺ جميعاً، فاجتمعت أمهات المؤمنين إلى رسول اللهﷺ وكان في

بيت عائشة بنت أبي بكر فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء، لقرت بذلك عينها، قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة؟ صدقتني حين كذبني الناس وآزرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها، إن الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد، لا صخب فيه ولا نصب.

قالت أم سلمة: فقلنا فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك، غير أنها قد مضت إلى ربها فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورحمته ورضوانه، يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذا أخوك في الدين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب عليه السلام يحب أن تدخل زوجته فاطمة وتجمع بها شمله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة فما بال علي لا يسألني ذلك؟ قلت: يمنعه من ذلك الحياء منك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت أم أيمن: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يا أم أيمن: انطلقي إلى علي فأتيني به، فخرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا أنا بعلي ينتظرني ليسألني عن جواب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآني، قال: ما وراك يا أم أيمن؟ قلت: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال علي: فدخلت عليه وهو في حجرة عائشة وقمن أزواجه فدخلن البيت، وأقبلت فجلست بين يدي رسول الله مطرقاً نحو الأرض، حياء منه، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟ فقلت وأنا مطرق نعم فداك أبي وأمي، فقال: نعم وكرامة يا أبا الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء الله، فقمت من عنده فرحاً مسروراً، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أزواجه ليزين فاطمة وليطيبنها ويفرشن لها بيتاً حتى يدخلها على بعلها علي، ففعلن ذلك وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله من الدراهم التي دفعها إلى أم سلمة من ثمن الدرع عشرة دراهم فدفعها إلى علي ثم قال: اشتر تمراً وسمناً وإقطاً، قال علي: فاشتريت بأربعة دراهم تمراً، وبخمسة دراهم سمناً وبدرهم إقطاً، وأقبلت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فحسر النبي عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم

وجعل يشدخ[١] التمر بالسمن وجعل يخلطه بالإقط حتى اتخذه حيسا[٢] ثم قال لي: يا علي ادع من أحببت.

فخرجت إلى المسجد، وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فقلت: أجيبوا رسول الله ﷺ، فقام القوم بأجمعهم وأقبلوا نحو النبي ﷺ فدخلت على رسول الله فأخبرته: إن القوم كثير، فجلل رسول الله ﷺ السفرة بمنديل ثم قال: أدخل علي عشرة بعد عشرة، ففعلت ذلك فجعلوا يأكلون ويخرجون والسفرة لا ينقص ما عليها، حتى لقد أكل من الحيس تسعمائة رجل وامرأة، كل ذلك ببركة كف رسول الله ﷺ».

قالت أم سلمة: ثم دعا النبي بابنته فاطمة ودعا بعلي فأخذ علياً بيمينه وأخذ فاطمة بشماله فجمعهما إلى صدره فقبل بين أعينهما، ودفع فاطمة إلى علي عليه السلام وقال: يا علي نعم الزوجة زوجتك، ثم أقبل على فاطمة فقال لها: يا فاطمة نعم البعل بعلك، ثم قام معهما يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هيأ لهما، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب وقال: طهركما الله وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما.

قال علي عليه السلام: ومكث رسول الله ﷺ بعد ذلك ثلاثا لا يدخل علينا، فلما كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ﷺ ليدخل علينا فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعمية فقال لها: ما يوقفك هاهنا وفي الحجرة رجل؟ فقالت له: فداك أبي وأمي إن الفتاة إذا زفت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعهدها وتقوم بحوائجها، فأقمت هاهنا لأقضي حوائج فاطمة وأقوم بأمرها فتغرغرت عينا رسول الله بالدموع وقال: يا أسماء، قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة.

قال علي عليه السلام: وكانت غداة قرة وكنت أنا وفاطمة تحت العباء، فلما سمعنا كلام

---

(١) الشدخ: كسر الشيء الأجوف، عن النهاية.

(٢) الحيس: تمر وإقط وسمن، تخلط وتعجن وتسوى كالثريد، عن المعجم الوسيط.

رسول اللهصلى الله عليه وآله لأسماء، ذهبنا لنقوم فنظر إلينا رسول الله فقال: سألتكما بحقي عليكما لا تفترقا حتى أدخل عليكما، فرجع كل واحد منا إلى صاحبه ودخل علينا رسول اللهصلى الله عليه وآله فقعد عند رؤوسنا وأدخل رجليه فيما بيننا[1]، فأخذت رجله اليمنى وضممتها إلى صدري وأخذت فاطمة رجله اليسرى فضمتها إلى صدرها، وجعلنا ندفئ رجلي رسول اللهصلى الله عليه وآله من القر حتى إذا دفئت رجله قال لي: يا علي آتني بكوز من ماء فأتيته بكوز من ماء فتفل فيه ثلاثا وقرأ عليه آيات من كتاب الله عز وجل وقال:يا علي اشربه واترك منه قليلا ففعلت ذلك، فرش رسول اللهصلى الله عليه وآله باقي الماء على رأسي وصدري وقال:أذهب الله عنك الرجس يا أبا الحسن وطهرك تطهيراً.

ثم قال آتني بماء جديد فتفل فيه ثلاثا وقرأ عليه آيات من كتاب الله عز وجل ودفعه إلى ابنته فاطمة وقال: اشربي هذا الماء واتركي منه قليلاً، ففعلت ذلك فاطمة ورش النبيصلى الله عليه وآله باقي الماء على رأسها وصدرها وقال: أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً، وأمرني بالخروج عن البيت وخلا بابنته وقال: كيف أنت يا بنية وكيف رأيت زوجك ؟ قالت: يا أبة، خير زوج إلا أنه دخل علي نساء قريش وقلن لي: زوجك رسول اللهصلى الله عليه وآله من رجل فقير، لا مال له، فقال لها رسول اللهصلى الله عليه وآله: ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير،ولقد عرضت علي خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عز وجل، لو تعلمين ما يعلم أبوك لسمجت الدنيا في عينك، والله يا بنية ما آلوتك نصحاً أن زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً، يا بنية إن الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك، يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصين له أمراً.

ثم صاح بي رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا علي فقلت لبيك يا رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها فإن فاطمة بضعة مني، يؤلمني مايؤلمها ويسرّني

---

(١) سيأتي التعليق على هذا.

ما يسرّها، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما.

قال عليعليه السلام: فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلك على أمر حتى قبضها الله عز وجل إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتكشف عني الغموم والأحزان بنظري إليها، قال عليعليه السلام: ثم قام رسول اللهصلى الله عليه وآله لينصرف فقالت له فاطمة: يا أبة لا طاقة لي بخدمة البيت، فأخدمني خادماً يخدمني ويعينني على أمر البيت، فقال لها رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا فاطمة أيما أحب إليك، خادم أو خير من الخادم؟ فقال علي: فقلت: قولي: خير من الخادم، فقالت: يا أبة خير من الخادم، فقال لها رسول اللهصلى الله عليه وآله: تكبرين الله في كل يوم أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين مرة، وتسبحينه ثلاثاً وثلاثين مرة فذلك مائة باللسان وألف حسنة في الميزان، يا فاطمة إنك إن قلتها في صبيحة كل يوم، كفاك الله ما أهمك من أمر الدنيا والآخرة[1].

■ **سند الحديث:**

روي حديث زواجهماعليهما السلام بصور مختلفة، مفصلة ومجملة، وأوسع ما اطلعت عليه منها هذه الرواية المروية عن الإمام عليعليه السلام وسلمانرضي الله عنه وأم سلمة (رض) ولا أدري أنها وردت عنهم كذلك أم أن الراوي سمع من كل واحد منهم ما يخص روايته، حيث إن كل واحد منهم ـ حسبما تضمنته أحداث الرواية وطريقة سردها ـ قد روى فصلاً من قصة الزواج، ولا شك أن كل مقطع منها متمم للآخر.

وقد اشتملت هذه الرواية على فضائل متعددة لعلي والزهراءعليهما السلام، ونشير إلى شيء منه وندع القارئ الكريم أن يمضي في قراءتها وقتاً ممتعاً للروح والعقل فيدرك منها ما يدرك من الفضل.

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص٣٤٣، وراجع أحاديث الزواج في الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص١٩ ـ ٢٥.

الأول: إن أمر زواج الزهراءعليها السلام موكول إلى ربها فهو الذي يختار لها الكفؤ الكريم فهذه خصوصية للزهراءعليها السلام، وفضل للإمام عليعليه السلام الذي وقع عليه اختيار السماء، ويؤيد هذا ما جاء في حلية الأولياء عن أم سلمة أيضاً: قالت أم سلمة: لقد كانت فاطمة تفتخر على النساء لأن أول من خطب عليها جبريلعليه السلام[1].

الثاني: إن الإمام علياًعليه السلام قد زوجه الرسولصلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى بعد أن ردَّ من خطبها من أكابر قريش وأهل السابقة، فيكشف عن أفضلية الإمام عليعليه السلام على جميع الصحابة، وأنه لم يكن منهم من له أهلية الاقتران بالزهراءعليها السلام سواهعليه السلام.

الثالث: إن الإمام علياًعليه السلام يحبه الله ورسوله ويحبهما، وتكرر هذا المعنى من الرسولصلى الله عليه وآله في مواقف أخرى.

الرابع: إن الإمام علياًعليه السلام أحبّ الخلق إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله، وتدل عليه روايات أخرى من غير طريق أم سلمة.

الخامس: إن الله سبحانه وتعالى قد اختار علياًعليه السلام أخاً وصاحباً وختناً لرسولهصلى الله عليه وآله، كما اختارهصلى الله عليه وآله رسولاً، فالوزارة كالنبوة من حيث الاختيار، أي أنه باختيار الله سبحانه ولا شأن للبشر فيها فتسقط نظرية الشورى، وإجماع أهل الحل والعقد المدعى من قبل أهل السنة.

السادس: إن الإمام علياًعليه السلام أكثر صحابة الرسولصلى الله عليه وآله علماً وأعظمهم حلماً وأقدمهم سلماً.

السابع: إن السيدة الزهراءعليها السلام بلغت من المنزلة العالية بحيث يؤلم الرسولصلى الله عليه وآله ما يؤلمها ويسره ما يسرها، ولم يكن الرسولصلى الله عليه وآله يتألم من أمر إلا إذا أسخط الله عز وجل، ولا يسره إلا ما فيه رضا الله سبحانه، فهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الزهراءعليها السلام لم تكن تتألم من شيء أو تسر لشيء لم يكن موافقاً لما يريده الله عز وجل، فهذا أحد الدلائل الكثيرة على عصمتها وطهارتها.

---

(١) حلية الأولياء ٥ / ٥٩.

الثامن: إن الإمام علياًعليه السلام لم يغضب الزهراءعليها السلام مدة بقائها معه كما أنها لم تغضبه، فلتذهب افتراءات مبغضي علي أدراج الرياح.

التاسع: اعتراف أبي بكر بعدم وجود خصلة من خصال الخير إلاّ وللإمام عليعليه السلام سابقة وفضل، فهو إقرار ضمني بأفضلية الإمام عليعليه السلام منه وأسبقيته عليه في فعال الخير.

■ **إضاءة:**

لابد أن نقف هنا وقفة قصيرة لنتأمل بعض الجمل التي وردت في الرواية فإن يد التحريف آلت على نفسها إلاّ أن تضع بصماتها في ما يروى من فضائل لأهل البيتعليهم السلام فتغير ما امتدت استطاعتها إلى تغييره، وتدخل في غيره ما تشاء من التشويه، ولما لم يكن بالإمكان أن يدّعوا في الزواج غير الذي حصل كان نصيب هذه الرواية ما يلي ـ حسب اعتقادنا وطبقاً للموازين العامة لروح الرسالة وتأريخها المضيء ـ:

١ـ قول أبي بكر للإمام عليعليه السلام: (لا تقل هذا يا أبا الحسن فإن الدنيا وما فيها عند الله تعالى ورسوله كهباء منثور).

ووجه استبعاد هذه الجملة أمران:

الأول: عدم وجودها في الروايات الأخرى.

الثاني: إن الإمام علياًعليه السلام أعلم بالله تعالى ورسولهصلى الله عليه وآله من أبي بكر ويعرف أن الدنيا لا تساوي عندهما مقدار حبة من خردل أو ذرة من تراب، فلا يصدر من الإمامعليه السلام ما يحتاج فيه إلى إرشاد أبي بكر، أو غيره من الصحابة الآخرين.

٢ـ جملة: (واستنقذني مما كان عليه آبائي وأعمامي من الحيرة والشرك).

فإن كلمة (آبائي) مقحمة بلا ريب، فإن آباء الإمام عليعليه السلام هم آباء النبيصلى الله عليه وآله، وقد ثبت بالدليل وقام إجماع الإمامية على طهارتهم من الشرك، كما ذهب إلى

ذلك أيضاً كثير من علماء الإسلام من غير الإمامية فراجع ـ إن شئت ـ تفسير قوله تعالى: ﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾[١].

٣ـ (فأمرهن أن يدفقن لفاطمة، فضرب أزواج النبيصلى الله عليه وآله على رأس فاطمةعليها السلام بالدفوف).

لم يوجد هذا المضمون في روايات أهل البيتعليهم السلام، والدفوف من آلات اللهو المنزّه عن استعمالها من طهره الله من الرجس تطهيراً، إلا أن يكون المراد من الدفوف أمراً آخر يضرب عليه ليس من صنف آلات اللهو.

٤ـ اشتراء عثمان درع الإمامعليه السلام وإهداؤه إياه ثم دعاء النبيصلى الله عليه وآله له بخير، كل هذا لم يرد في الرواية المروية عن أهل البيتعليهم السلام، بل ورد فيها: (فقمت فبعته وأخذت الثمن، ودخلت على رسول اللهصلى الله عليه وآله فسكبت الدراهم في حجره ..)[٢].

ولعل اليد المعروفة قد أضافت مثل هذا لتثبت يداً وجميلاً لشخصية من بني أمية على الإمامعليه السلام، ومن ثمّ على بني هاشم.

٥ـ «فقعد عند رؤسنا...»، ونحن لا نستوعب صدور مثل هذه الأفعال من الرسولصلى الله عليه وآله والله أعلم بالحال.

■ لفت نظر:

ورد في الرواية ذكر (أسماء بنت عميس) وهي زوجة جعفر بن أبي طالبعليه السلام وكانت في الحبشة مع زوجها حين زواج الإمام عليعليه السلام بفاطمةعليها السلام إذ لم يرجع جعفر إلاّ في فتح خيبر فلعل ذلك اشتباه من الراوي أو من أقلام النساخ، وقد قال محمد بن يوسف الكنجي الشافعي: أنها أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري، للسبب المذكور كما نقله عنه صاحب البحار[٣].

---

(١) الشعراء: ٢١٩.

(٢) البحار ٤٣/ ٩٤.

(٣) البحار: ٤٣ / ١٣٤.

(١٨)

أصحاب عليعليه السلام في الجنة

١ـ وعن أم سلمة قالت: كانت ليلتي، وكان النبيصلى الله عليه وآله عندي، فأتته فاطمة فسبقها علي فقال له النبيصلى الله عليه وآله: يا علي أنت وأصحابك في الجنة[١].

٢ـ عن أم سلمة (رض) قالت: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **«علي وشيعته هم فائزون يوم القيامة»**[٢].

٣ـ عن جابر بن يزيد، عن محمد بن علي، قال: سئلت أم سلمة زوج النبيصلى الله عليه وآله عن عليعليه السلام؟ فقالت: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: **«إن علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»**[٣].

نتيجة حتمية ومنتهى مبارك لمن مشى على ضوء الخطوات التي رسمها الرسولصلى الله عليه وآله **«يا علي أنت وأصحابك في الجنة»**، لماذا؟ لأن أصحاب عليعليه السلام وشيعته هم الذين اقتفوا آثار رسول اللهصلى الله عليه وآله في رسالته الخاتمة فقدموا علياً علىٰ غيره حين قدّمه الإسلام ولم يختاروا عليه بدلاً وإن كلفهم ذلك بذل أرواحهم وأنفسهم، وتلقّوا أقوالهصلى الله عليه وآله، وأقوال أهل بيتهعليهم السلام بالقبول والتسليم إذ هي الإسلام الواقعي والدين الصحيح، فعنهم يأخذون وبأقوالهم يعملون، وهذه الرواية حلقة من سلسلة روايات جاءت على لسان الذي لا ينطق عن الهوى، وإليك نماذج من ذلك:

١ـ أخرج ابن مردويه عن عليعليه السلام قال: قال لي رسول اللهصلى الله عليه وآله: **«ألم تسمع قول**

---

(١) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٢.

(٢) ينابيع المودة ٢ / ٤ باب ٥٦، فضائل الصحابة ٢ / ٦٥٤.

(٣) ابن عساكر: ٢ / ٣٤٨. وأيضاً رواه أبو الجحاف عن محمد بن علي، عن فاطمة بنت علي، عن أم سلمة، وفي ص ٣٥٢ من ج ٢ عن البلاذري في الحديث (١١٥) من ترجمة الإمام عليعليه السلام من أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٨٢ ط ١.

الله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾[1]، هم أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجلين»[2].

٢ـ روى ابن حجر في الصواعق المحرقة: عن ابن عباس، قال: لما أنزل الله تعالى: **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾**، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: **«هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضابا مقمحين»**[3].

٣ـ ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي صلى الله عليه وآله: **«قد أتاكم أخي»**، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال: **«والذي نفسي بيده أن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»**، ثم قال: **«إنه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية»**. قال: ونزلت **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾** قال: فكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله إذا أقبل علي قالوا: قد جاء خير البرية[4].

■ على قارعة الدس:

مشكلة الدس والوضع والتدليس في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله من أصعب المشاكل التي ابتليت بها السنة النبوية الشريفة حيث كانت حاجزاً كبيراً يمنع ضوء الرسالة عن أن يصل إلى مداه، ونشر الوضاعون خطرهم في الأحاديث بصور مختلفة فتلوّثت الكتب بذلك، ولم ينج من هذا المارد الجبار إلاّ ثلة من الأولين وقليل من

---

(١) البينة: ٧. (٢) الدر المنثور: ٦ / ٣٧٩.
(٣) الصواعق المحرقة: ص ١٦١، ط ٢ سنة ١٣٨٥ هـ مكتبة القاهرة.
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام علي عليه السلام تحقيق المحمودي: ٢ / ٤٤٢.

الآخرين كانت عندهم موازين يزنون بها الفكر المستقيم.

ونحن عندما نقرأ التاريخ ونعرف توجيهات معاوية في ذلك والحركة الكبيرة التي قام بها أتباعه يتبيّن لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود فلا نُخدع ولا نُغر في ديننا، وإليك ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج من جملة رواية رواها عن الإمام محمد الباقرعليه السلام في حديث له مع بعض أصحابهعليه السلام:

«.. ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغّضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية، بعد موت الحسنعليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطّعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسينعليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له: زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال: شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعله يكون ورعاً صدوقاً يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حقٌّ لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع»[1].

وقال ابن أبي الحديد:

(وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب الأحداث قال:

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٣.

روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر.

وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به، واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه.

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك بلية القرّاء المراءون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة، وولي عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي، وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضا أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له، حتى أن إنساناً وقف للحجاج ـ ويقال: إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب ـ فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقوني فسمّوني علياً، وأني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجّاج وقال: للطف ما توسّلت به قد ولّيتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم ـ في تأريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرّباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم)[١].

ولك بعد قراءة هاتين الوثيقتين التاريخيتين المهمتين أن تميّز الحديث الموضوع من غيره في سائر أحاديث الفضائل، وقد ذكرناهما لتعرف ما سنقوله في هذا الحديث الذي نحن في عنوانه فقد روي بالصور التي قرأتها ما عدا الحديث الأول فقد أضافت له أصابع اليد الأموية هذه الزيادة:

(إلاّ انه ممن يزعم أنه يحبك أقوام يرفضون الإسلام ثم يلفظونه، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، لهم نبز، يقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فجاهدهم، فإنهم مشركون.

قلت: يا رسول الله، ما العلامة فيهم؟

قال: لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف الأول).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٤.

قال الهيثمي في ذيل هذه الرواية: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الفضل بن غانم وهو ضعيف(١).

وبهذا المقدار يمكننا إسقاط هذه الرواية بلا عناء، ولكن المقطع الأول منها ـ وهو يا علي أنت وأصحابك في الجنة ـ صحيح ومؤيد بالروايات الأخرى، ولنا أن نحاسب الراوي في المقطع الثاني من ناحية اللفظ والمضمون.

أما اللفظ فمن له خبرة بأساليب الروايات ومعرفة بفصاحة النبيﷺ يعرف أن خيوط هذه الشباك غير متشابكة فما وجه الربط بين يرفضون الإسلام ثم يلفظونه؟ فان اللفظ عملية تتم بعد الأخذ وليست بعد الرفض.

ثم إن الراوي قد أخذ جملاً من روايات أخرى ولم يحسن حبكها ولا صنعها فوضعها في غير موضعها كجملة (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم) الواردة في ضمن رواية أو روايات وردت في ذم أصحاب ذي الخويصرة وهم الخوارج وذلك عندما طلب عمر من رسول اللهﷺ أن يأذن له بضرب عنق ذي الخويصرة حينما قال للنبيﷺ: اعدل! ولكن النبيﷺ قال لعمر: **«دعه فإن له أصحابا يحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**(٢).

ويسمى أيضاً ذو الثديّة رأس الخوارج.

وأما المضمون فلنا فيه كلام طويل فأولاً: تعالَ معي إلى الشيعة الإمامية فهل ترى في أقوالهم وأفعالهم ما يؤدّي بهم إلى رفض الإسلام؟!

إذن لماذا يتشهدون الشهادتين ويصلّون الخمس ويصومون شهر رمضان ويحجون إلى البيت العتيق في مكة المكرمة ويخرجون زكاة أموالهم وو..؟!

ولماذا لم يظهروا على حقيقتهم من رفضهم للإسلام ويحقنوا بذلك دماءهم

---

(١) مجمع الزوائد: ١٠ / ٢١.
(٢) صحيح البخاري: ٤ / ١٧٩.

التي ضجت الأرضون السبع من كثرتها يوم كان الملك بيد بني أمية؟! يوم كان القول للرجل أنه يهودي خير من القول له إنك شيعي! فإن الكافر اليهودي وغيره محترم في بلاد الإسلام محقون الدم محفوظ العرض والمال، وأما الشيعة فتقتل على التهمة والظنة! **«فَقَتَلَهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل..»**.

كل هذا وغيره مما غاب عن ذاكرة الراوي يشهد بأن الشيعة لم يرفضوا الإسلام بل عضّوا عليه بالنواجذ وبذلوا في ذلك كل غال ونفيس، وإنما رفضوا الباطل والسير في خطى الطلقاء وأبناء الطلقاء فاستحقوا العقوبة الكبيرة من قِبَلِهم، وامتدّت في أعقابهم، ولا يزال السيف هو السيف، والأوداج هي الأوداج إلى أن يخرج المنتظر الموعود عجل الله فرجه الشريف.

وثانياً: تعالَ معي لنصنف المسلمين بالقسمة الحاصرة الدائرة بين النفي والإثبات إلى صنفين: الصنف الأول شيعة علي عليه السلام، والصنف الثاني غير الشيعة، ثم قل لعامة الناس أن يضعوا (أهل السنة) في أحد الصنفين وانظر ماذا يصنعون، أتراهم يضعونهم في الصنف المكتوب عليه (شيعة علي)؟ كلاّ وألف كلاّ، بل هم شيعة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وسائر حكام بني أمية، إذ يصدرون عن أوامرهم ويقتفون آثارهم وينتسبون إليهم، ولو قلت لأحدهم: إنك من شيعة علي لصفعك على وجهك وتبرّأ منك ومن مقولتك.

ولو قلنا لهم: ضعوا من سميتموهم بـ(الرافضة) في أحد الصنفين، فإنهم يضعونهم تحت عنوان (شيعة علي) بدون أي تردد وتوقف.

فيثبت أن من اتفق الناس على تسميتهم بـ(شيعة علي) هم المبشرون بالفوز، وهم المعنيون بصدر الحديث الأول، وإلا لما كان لهذه الأحاديث مصداق تنطبق عليه.

ثالثاً: من علامات الحب وآثاره السماع للمحبوب والأخذ بأقواله والاقتداء بأفعاله والمشي على خطاه والوفاء له والتضحية دونه وفي سبيله، وكل ذلك متجسد في من أطلقوا عليهم (الرافضة) وهم شيعة اليوم كما أنهم شيعة الأمس، والتاريخ على امتداد حقبه شاهد على ذلك، فعنوان (الرافضي) = عنوان محب أهل البيت عليهم السلام، ولهذا قال الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمدٍ ... فليشهد الثقلان أني رافضي

رابعاً: رمي الشيعة بالشرك مما يتنزّه عنه الرسول صلى الله عليه وآله ولا يجري على لسانه بحال من الأحوال، كيف؟ وهم يأخذون دينهم في أصولهم وفروعهم عنه صلى الله عليه وآله بطريق أهل بيته عليهم السلام، الطريق الخالية عن شوائب الأوهام والهوى، وقد أمر صلى الله عليه وآله الأمة المسلمة بأن تتمسك بهم لكيلا يضلوا، والشيعة يقولون: (لا إله إلاّ الله) صباحاً ومساء، ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، ويعملون على طبقها، وتلك كلمة لا تجتمع مع الشرك أبداً.

خامساً: افتح أي كتاب فقهي أردت لترى أحكام صلاة الجمعة والجماعة، وادخل مساجدهم لتراهم يقيمون الجماعة، ولكنهم لا يصلون إلاّ خلف من ثبتت عدالته ونزاهته ولم تزل قدمه عن الصراط المستقيم، فإن لم ترهم يصلون خلف أمراء بني أمية وبني العباس وولاتهم وقضاتهم فلِمَا حدّث التاريخ عنهم وعن أعمالهم البعيدة عن هدى الإسلام بأميال وأميال وأميال.. إلى أن ينقطع النفس.

سادساً: لم يكن الطعن على السلف الأول (الصحابة) صفة من صفات الشيعة ولكنهم لا يدينون لكل الصحابة بالاحترام والتقدير، إذ فيهم الصالح وغيره، فمن الصحابة الإمام علي عليه السلام والحسنان عليهما السلام وسلمان رضي الله عنه وأبو ذر رضي الله عنه وعمار رضي الله عنه والمقداد رضي الله عنه وجابر بن عبد الله رضي الله عنه.. وغيرهم الكثير من أكابر الصحابة وأعيانهم ممن يدين الشيعة لهم بالتقدير والحب والولاء والاحترام، ومنهم غير أولئك ممن

قام ضد علي عليه السلام وحاربه وحثَّ على قتله وسبّه من على ذروات المنابر وأمر بسبّه، ولا يمكن الجمع بين الولائين. وسيأتي في الحديث القادم إن شاء الله ما يبيّن منزلة الصحابة في القرآن وعند الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وكلمتنا الأخيرة: إن ذيل الحديث الأول ـ لو صح ـ لانطبق على غير الشيعة ممن يدعي الحب والولاء للإمام علي عليه السلام وهو بعيد في قوله وعمله وولائه عنه بعد المشرقين!

(١٩)
الصحابة

١ـ روى مسلم بسنده عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أم سلمة زوج النبيﷺ أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول اللهﷺ، فلمّا كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني، فسمعت رسول اللهﷺ يقول: أيها الناس! فقلت للجارية: استأخري عني، قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت: إني من الناس، فقال رسول اللهﷺ: **«إني لكم فرط على الحوض، فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً»**[1].

٢ـ وفي مسند أحمد بسنده عن عبد الله بن رافع قال: كانت أم سلمة تحدث: إنها سمعت النبيﷺ يقول على المنبر وهي تمتشط: أيها الناس! فقالت لماشطتها لفي رأسي، قالت: فقالت: فديتك إنما يقول: أيها الناس! قلت: ويحك أولسنا من الناس؟! فلفّت رأسها وقامت في حجرتها، فسمعته يقول: **«أيها الناس بينما أنا على الحوض جيء بكم زمراً فتفرقت بكم الطرق، فناديتكم ألا هلموا إلى الطريق، فناداني مناد من بعدي فقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فقلت: ألا سحقاً ألا سحقاً»**[2].

■ **سند الحديث:**

الأحاديث التي تعرضت للصحابة وشأنهم يوم القيامة ـ برواية أم سلمة ـ من الأحاديث التي لا يتطرق الشك إليها لكونها واردة في المصدر الثاني في الأهمية عند أهل السنة وهو صحيح مسلم، مضافاً إلى ورودها في غيره بأسناد صحيحة، وأما برواية غيرها فقد ورد حتى في صحيح البخاري.

---

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ٦٧، مسند ابن المبارك ص ١٥٣.

(٢) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٧، كنز العمال ج ١٤.

■ **حول الصحابة**

امتدَّ الكلام حول الصحابة ليشغل حيّزاً كبيراً من الكتب والمؤلفات المختصة بمسائل الخلاف، ومكاناً واسعاً من طاولة البحث، وكان الحديث حولهم معركة دامية، والجدال فيهم جلاداً، وأهم نقطة تثار في هذا الموضوع هي نظرية عدالة الصحابة، فهل أنهم أجمعين عدول؟ أو أنهم كسائر الناس فيهم العادل الذي بلغ المكان الأقصى والمحل الأعلى من الطهارة والنزاهة، وفيهم من استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه؟

ذهب علماء أهل السنة إلاّ قليلاً منهم[1] إلى الأول كما اتخذ علماء الشيعة الطريق الثانية.

ونحن بدورنا هنا نذكر رأي الفريقين على لسان علمائهم ثم نعرض ذلك على الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله ليتضح الحق من خلال عرض الرأي على قول الرسول صلى الله عليه وآله فإنه والقرآن الكريم هما الميزان الفاصل لمعرفة الحق من الباطل.

■ **رأي الشيعة في الصحابة:**

يقول الإمام شرف الدين العاملي: (إن من وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء، إذ لم نفرّط فيه تفريط الغلاة الذين كفرّوهم جميعاً، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم جميعاً، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافة، وقال أهل السنة بعدالة كل فرد ممن سمع النبي أو رآه من المسلمين مطلقاً، واحتجوا بحديث كل من دبّ أو درج منهم أجمعين أكتعين.

---

(١) استثنينا القليل لما وجدناه من قول التفتازاني: (ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ والمذكور على ألسنة الثقات يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق! وبلغ حد الظلم والفسق وكان الباعث له الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرئاسة، والميل إلى اللذات والشهوات، إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا كل من لقي النبي صلى الله عليه وآله مرسوماً..) شرح المقاصد: ٢ / ٣٠٦.

أما نحن وإن كانت الصحبة بمجردها عندنا فضيلة جليلة لكنها بما هي من حيث هي غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العادل وهم عظماؤهم وعلماؤهم، وفيهم البغاة وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة.

أما البغاة على الوصي وأخي النبي ﷺ وسائر أهل الجرائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطاة وأمثالهم، فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم، ومجهول الحال نتوقف فيه حتى نتبين أمره.

هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة، والكتاب والسنة هما بينتنا على هذا الرأي كما هو مفصّل في مظانّه من أصول الفقه، لكن الجمهور بالغوا في تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم والسمين، واقتدوا بكل مسلم سمع النبي ﷺ أو رآه اقتداءً أعمى، وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو، وخرجوا في الإنكار على كل الحدود.

وما أشد إنكارهم علينا حين يروننا نرد حديث كثير من الصحابة مصرّحين بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال، عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية والبحث عن الصحيح من الآثار النبوية.

وبهذا ظنوا بنا الظنون فاتهمونا بما اتهمونا رجماً بالغيب وتهافتاً على الجهل، ولو ثابت إليهم أحلامهم ورجعوا إلى قواعد العلم لعلموا أن أصالة العدالة في الصحابة مما لا دليل عليها، ولو تدبروا القرآن الحكيم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم وحسبك منه سورة التوبة والأحزاب....)[1].

■ رأي السنة: في الصحابة:

يقول الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: (إن الصحابة(رض) كلهم هم

---

(١) الفصول المهمة.

صفوة الناس وسادات الأمة، وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم..)[1].

وقد استطاع الإمام النووي أن يختصر المسافة في البحث فيهم بهذه الجمل القصيرة حيث كان الصحابة في رأيه ـ وهو رأي السنة أيضاً ـ صفوة الناس وسادات الأمة وكلهم عدول!

والأسئلة التي تدور في ذهن كل من قرأ الأحاديث السابقة محيرة له بدون أدنى شك، إذ كيف يمكنه أن يجمع بين قول الرسول صلى الله عليه وآله: (فيذب عني كما يذب البعير الضال)، وقوله صلى الله عليه وآله: (فأقول سحقاً)، وبين قول الإمام النووي وغيره من أنهم (صفوة الناس)؟!

إذن عندما نعرض رأي أهل السنة على أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله نجده مجانباً لها ومبتعداً عنها، فلو خيّر الإنسان المسلم بين الأخذ بالحديث النبوي، وبين الأخذ بغيره مما جرت عليه سيرته وسيرة آبائه من قبل، ماذا تراه صانعاً؟

لاشك في كون الجواب ـ لأول وهلة ـ هو الأخذ بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وهذا ما يختاره كل مسلم آمن بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله عن اعتقاد ومعرفة، ولكن .. وللأسف المرير نجد كثيراً من أبناء السنة يتغاضون عن الحديث، ويمشون وراء الكلمات الأخرى، وفي ظني أنها مشكلة نفسية، تحتاج إلى علاج وإن كان الدواء مرّاً.

ولنؤكد الأمر بصورة واضحة نقول: أليس صحيح البخاري هو المعتمد عندكم والحجة بينكم وبين الله سبحانه وتعالى بعد القرآن الكريم؟

ها هو البخاري يروي في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «**بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص**

---

(١) ٨ / ٢٢.

منهم إلاّ مثل همل النعم»[١].

إسأل معي أصحاب هذا الرأي ولن تجد لك جواباً: كيف يمكن الجمع بين كون الصحابة كلهم (صفوة الناس) وبين سوقهم إلى النار لأنهم ارتدوا بعد الرسول ﷺ على أدبارهم ولم ينج منهم إلاّ القليل؟ حيث شبهتهم الرواية بـ(همل النعم) أي الإبل الضائعة، فإن ما ينجو منها قليل والباقي يسير في تيهه حتى يموت أو يقع فريسة للسباع.

وعندما ندخل معهم في العمق ونعرض رأيهم على القرآن الكريم نراهم قد شطت بهم الدار، فلا نجد لهم آية تؤيدهم ولا سورة تقف إلى جانبهم، وحسبك أن تقرأ سورة (براءة) وسورة (المنافقون) لتعرف التصنيف الإلهي لمن سموهم بالصحابة، وليكن في علمك أن المنافقين اندسوا في صفوف الصحابة فلم يتميز منهم إلى عامة الناس إلا القليل، فمما لا إشكال فيه أن كثيراً من المنافقين قد صنفوا في كتب الرجال والحديث على أنهم من الصحابة المقربين، وقد أعطانا الحبيب المصطفى ﷺ ميزاناً لنعرفهم به، وقد تقدم الكلام فيه، أعني: **«لا يبغضك يا علي..»**.

وإن تجاوزت عن حديث المنافقين فاتخذ طريقك لآيات أخرى، فهذا القرآن ينطق بالحق ويرمي أحد الصحابة بالفسق وهي صفة تقابل العدالة، على أقل تقدير في تفسيرها، قال تعالى: ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..** ﴾[٢]، والمراد بالفاسق هنا هو الوليد بن عقبة الذي أخبر بارتداد بني المصطلق كذباً كما نص على ذلك المفسرون.

وقال تعالى: ﴿ **وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبيّن كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون** ﴾[٣].

---

(١) صحيح البخاري: ٤ / ٩٤.
(٢) الحجرات: ٦.
(٣) الأنفال: ٦.

وقال تعالى: ﴿ **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم** ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾[٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فأين يرى الحق أصحابُ الحجى؟ أمع الشيعة الذين قرأوا القرآن فأحسنوا قراءته فعرفوا مضامينه وأخذوا بها، أم مع غيرهم ممن قرأوا القرآن فما اهتدوا لمرمى إشاراته ؟!

■ **لماذا رأي السنة ؟**

سؤال يطرح نفسه فيحتاج إلى إجابة صريحة وواضحة: إذا كانت الآيات والروايات بمرأى ومسمع من القوم، علمائهم وعوامهم، وهم يقرؤونها صباحاً ومساء، ولا شك أنهم يمرّون بهذه الآيات وبتلك الروايات، فلماذا يتعصبون لكل الصحابة ويدعون القرآن الكريم والسنة النبوية جانباً؟ بل يريدون منا ـ نحن الشيعة ـ أن نسير خلفهم ونضلّ الطريق الذي رسمه لنا القرآن، وخطه النبي صلى الله عليه وآله، وإلاّ فقد أسأنا الأدب مع صحابة النبي صلى الله عليه وآله ـ إن لم نكن قد كفرنا في نظرهم ـ والكفر والشرك والفسق وو.... ألفاظ توزع مجانا في سوق المتعصبين، ومن أصر على موقفه وإن كان عناداً لله سبحانه وتعالى.

الجواب المنطقي لهذا الموقف الغريب المتعثر أحد أمرين:

الأمر الأول: أن أهل السنة والجماعة قد ساروا في طريق أخرى غير التي كان عليها أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم فاضطروا لأن يأخذوا الإسلام وأحكام الدين من الصحابة الآخرين، إذ لا طريق عندهم يوصلهم إلى سنة الرسول صلى الله عليه وآله غير هؤلاء، فهم بين خيارين:

---

(١) محمد: ١٦.

(٢) الحجرات: ٤.

الخيار الأول: أن يأتوا بنظرية عدالة جميع الصحابة فتسلم لهم الروايات الكثيرة التي صدرت عنهم فتحصل لهم مجموعة أحكام شبه متكاملة في رأيهم ويعملون بها وإن كان بعضها يناقض البعض الآخر كما يظهر لمن نظر في أحاديث الصحيحين وغيرهما.

الخيار الثاني: أن يتعاملوا مع الصحابة كما يتعاملون مع بعضهم البعض وهذا ما يوجب طرح كثير من روايات الصحابة فلا يسلم لهم إلاّ القليل مما لا يؤدي الدور المطلوب، فلم يقدّموا على الخيار الأول شيئاً.

الأمر الثاني: إن هناك مجموعة من الصحابة قاموا بأعمال لا تتناسب مع المبادئ الإسلامية ـ كما يظهر لمن راجع روايات القوم وتاريخهم ـ بل حاولوا أن يحدثوا أشياء لم تكن من الإسلام في شيء لا سيما وقت المدّ الإعلامي الأموي الذي اكتسح الساحة الإسلامية بجميع الأدوات المقدورة آنذاك، ولا يمكن المحافظة على هذا التيار الغريب إلا بترسيخ فكرة عدالة الصحابة، لتسلم أعمال هؤلاء من الرمي في مزبلة التأريخ لكونهم من الصحابة! ويتمّ لهم بهذه الفكرة أيضاً أن يحدّثوا بما شاؤا متى شاؤا وينسبونها إلى الصحابة إن طوعاً وإن كرهاً وإن كذباً، وباعة الحديث على أهبة الاستعداد لأن يدخلوا في هذه السوق الرابحة بالمنظار الدنيوي، وأما من جاء من بعدهم فقد أخذ قدسية الصحابة أمراً من مسلمات الشريعة الإسلامية وإن كان على حساب قدسية الإسلام ونبي المسلمين نفسه، والله المستعان.

ويشهد للأمر الثاني القراءة المتأنية في الأحاديث المروية عندهم وأحداث التاريخ المكتوب بأيديهم.

كما يشهد للأمر الأول ما صدر عن علمائهم فهذا الجويني يقول: (والسبب في عدم الفحص عن عدالتهم، أنهم حملة الشريعة، فلو ثبت توقف في رواياتهم

لانحصرت الشريعة على عصره صلى الله عليه وآله وسلم ولما استرسلت إلى سائر العصور)[١].

وقال القرشي: (إن حفظ الدين يقتضي عدالة الصحابة، إذ كيف يَعِدُ الله سبحانه بحفظ دينه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ بينما حملته ونقلته عن نبيه مطعون في عدالتهم ونزاهتهم)[٢].

وأما شيعة أهل البيت عليهم السلام فلا يضرهم موقفهم من الصحابة فإن طريقهم إلى شرائع الإسلام هم أهل البيت عليهم السلام الذين لا يختلف في نزاهتهم وطهارتهم اثنان، وهم الامتداد الواقعي للرسول صلى الله عليه وآله، والذين بشّرنا الرسول صلى الله عليه وآله بأنهم مع القرآن لا يفترقون عنه قيد أنملة إلى أن يردوا عليه الحوض فما إن تمسكنا بهما لن نضل أبداً، وقد حفظ الدين بهم وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله، وقد نقلوا لنا من أحاديث جدهم النبي صلى الله عليه وآله وسنته ما يجعلنا في غنى عن كل من لم يمشِ على طريق الحق والهدى، والحمد لله على التوفيق لدينه ولما ارتضى من سبيله.

وعلى هذا فكلام الجويني والقرشي لا محل له من الاعتبار، ولا قيمة له في سوق الأخبار فإن الطريق غير منحصرة في روايات الصحابة حتى تنحصر الشريعة بزمن النبي صلى الله عليه وآله. بل باتخاذهم هذه الطريق غابت عنهم كثير من الأحكام الواقعية حيث عملوا بقول من لا يوثق بقوله واتخذوا القياس والاستحسان طريقاً إلى حكم الله الذي لا يصاب بالعقول.

ولقد أطلنا في هذا الحديث لأهمية الموضوع، واختلاط الأوراق فيه.

---

(١) فتح المغيث: ٣ / ١٠٣، نقلناه عن وركبت السفينة ص ٢٣٩.

(٢) ن. م، عن تنبيه ذوي النجابة إلى عدالة الصحابة: ص ٢٥.

(٢٠)

عليعليه السلام قاتل القاسطين والناكثين والمارقين

عن ابن مسعود أن رسول اللهصلى الله عليه وآله أتى منزل أم سلمة فجاء علي، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا أم سلمة هذا قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي.

أخرجهما الحاكمي، والقاسطون الجائرون من القسط بالفتح، والقسوط الجور والعدول عن الحق وأما القسط بالكسر فهو العدل[1].

■ **الحروب الثلاث في عهد الإمام عليعليه السلام**

من الحوادث المهمة في تاريخ الإسلام حروب الإمام عليعليه السلام الثلاث في أيام خلافته الظاهرية:

الأولى حرب الجمل: وهي التي كانت مع الناكثين أي الذين نكثوا بيعته.

الثانية حرب صفين: وهي التي كانت مع القاسطين، معاوية وأصحابه.

الثالثة حرب النهروان: وهي التي كانت مع المارقين الذين مرقوا من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة وهم الخوارج.

وقد حاول بعض المؤرخين وبعض حملة العلم الموصوفون في سورة (المنافقون) أن يُدينوا الإمام علياً فاعتبروا تلك الحروب حروباً شخصية أريد منها الدفاع عن ملك لا غير، فهي ليست حروباً دينية، وفي ذلك ما لا يخفى من الطعن على خلافتهعليه السلام وصحتها، وإلا فكان عليهم أن يدرجوا الأمر في مسألة حكم الخروج على الإمام، وهي مسألة مبحوثة.

وعلى كل حال فما تقدم من أحاديث، كحديث (علي مع الحق والحق مع علي) وغيره، هي ـ في الحقيقة ـ ردٌ كاسح لهذه المقولات النابعة من قلب غاص

---

(١) ذخائر العقبى ص ١١٠، البداية والنهاية ٧ / ٣٠٦، أخبار مكة ١ / ٤٧٢.

في أوحال البئر الأموية، ولا يمت لروح الإسلام بصلة وإن ادّعى أصحابها أنهم عليه القوم وشيوخ الإسلام، أو ادعّى أصحابهم لهم ذلك، وقديماً قالوا (لأمر ما جدع قصير أنفه).

ونحن إذا ما نظرنا إلى الأحاديث التي افتتحنا بها العنوان وغيرها مما ورد على ألسنة الصحابة عرفنا أن الرسولصلى الله عليه وآله - وهو يرى بعينه الغيبية ما سيؤول اليه أمر الأمة - كان حريصاً على بيان الحق، فأعطانا وأعطى صحابته المشعل الذي يخترقون به ظلمة الفتن، فأمر علياًعليه السلام أن يقاتل من يقوم ضده في أيام خلافته، كما أمر صحابة آخرين أن يكونوا معه، فأي دليل أدل على شرعية حروب الإمامعليه السلام من هذا؟!

فعليعليه السلام لم يقاتلهم إلاّ بأمر من الرسولصلى الله عليه وآله، ودفاعاً عن الحق الشرعي الذي كان يتمتع به في كل خطوة من خطواته، وقد دلّ على ذلك بالخصوص روايات تبلغ حدّ التواتر المعنوي فلا حاجة للبحث في أسنادها من أجل بيان صحتها، وإن أبيت ذلك فنقول: إننا نعلم بصدور بعض هذه الروايات على سبيل الجزم ويعلم به كل من قرأها في كتب القوم، وهذا ما يسمى عند الأصوليين بالتواتر الإجمالي، كما أوضحناه في بعض فصول الكتاب، وهو حجة كالتواتر اللفظي والمعنوي، وها نحن نذكر نماذج من تلك الروايات وسيأتي كلام آخر في الحديثين المقبلين إن شاء الله:

١ـ قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **«سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، على الله جهادهم فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيء»**[١].

٢ـ صح عن الرسولصلى الله عليه وآله قوله للزبير: **«إنك تقاتل علياً وأنت ظالم له»**[٢]، وقد

---

(١) الغدير: ٣/٢٦٩ عن الطبراني في المعجم الكبير: ١ / ٣٢١ ح ٩٥٥، ومجمع الزوائد ٩ / ١٣٤ وكنز العمال: ١١ / ٦١٣ ح ٣٢٩٧١، و ١٥ / ٤٠٢٦٦.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه في المستدرك: ٣ / ٤١٣، وراجع مصادره في كتاب الغدير: ٣ / ٢٧١.

احتجّ به أمير المؤمنين عليه السلام على الزبير في يوم الجمل.

٣ـ عن مخنف بن سليمان (كذا) قال: أتينا أبا أيوب (الأنصاري)، فقلنا: قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثم جئت تقاتل المسلمين، فقال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)[١].

٤ـ عن علقمة والأسود، قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيوب! إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله (عليك)، وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلاّ الله ؟ فقال: يا هذا (إنّ) الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول لله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قاتلناهم (وهم) أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمرواً، وأما المارقون (فهم) أهل الطرفاوات وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله[٢].

فهو يعلم بصفتهم وصفة محل قتلهم وإن لم يعلم بهم أنفسهم ولا موضع قتلهم بنفسه، وهذه الأمور من علامات النبوة والإخبارات الغيبية.

٥ـ عن أبي سعيد الخدري، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر[٣].

٦ـ عن مارق العابدي، قال: قال علي بن أبي طالب: ما وجدت من قتال القوم بدّاً أو الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله[٤].

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٣ / ١٦٩.
(٢) ابن عساكر: ٣ / ١٧٠.
(٣) م. ن: ٣ / ١٦٩.
(٤) م.ن: ٣ / ١٧٥.

(٢١)

خروج عائشة لحرب الجمل

١ـ الحاكم وغيره بسندهم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: ذكر النبي صلى الله عليه وآله خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال: «**انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت**»، ثم التفت إلى علي فقال: «**إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها**»[١].

■ **سند الحديث:**

الحديث صحيح على شرط الشيخين كما قاله الحاكم في ذيل الرواية، وجاء في سنن ابن ماجة: (قال بعضهم: كل حديث فيه الحميراء ضعيف، واستثنى من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عبد الجبار بن الورد، عن عمار الذهبي، عن سالم بن أبي الجعد، عن أم سلمة..)، ثم ذكر الحديث إلى أن قال: قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم)[٢].

■ **عائشة ونهي الرسول صلى الله عليه وآله:**

نهي الرسول صلى الله عليه وآله لعائشة عن الخروج على إمام زمانها مما سارت به الركبان وحدّث به المحدثون واشتهر النقل به، فإليك جملة من النماذج:

١ـ قول الرسول صلى الله عليه وآله لزوجاته: «**أيتكن صاحبة الجمل الأدبب ـ كثير الشعر ـ تخرج فينبحها كلاب الحوأب، يقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعد ما كادت تُقتل**»[٣].

٢ـ وقوله صلى الله عليه وآله لهن: «**كيف بإحداكن إذا نبح عليها كلاب الحوأب؟**»[٤].

٣ـ وقوله صلى الله عليه وآله لعائشة: «**يا حميراء كأني بك تنبحك كلاب الحوأب، تقاتلين علياً**

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٩، سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ٨٢٧، المناقب للخوارزمي ص ١٧٦.

(٢) سنن ابن ماجة: ٢ / ٨٢٧.

(٣) مجمع الزوائد: ١ / ٢٣٤: رواه البزّار ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: ٦ / ٥٢، وغيره أيضاً.

وأنت له ظالمة»[1].

إلى روايات أخرى كثيرة، وقد سارت أم المؤمنين، ونبحتها كلاب الحوأب، وكادت ترجع عندما سمعت نباحها، وتذكّرت قول الرسولﷺ وتحذيره إياها، ولكن الزبير أو ابنه عبد الله حال بينها وبين الرجوع، وقد وافق ذلك هوى في النفس علي ابن أبي طالب، فقدمت البصرة وتسبّبت في قتل خلق كثير من المسلمين، وصدقت نبوءة النبي محمدﷺ وهو الصادق في قوله وفعله، وقد ذكرنا طرفاً مما يتصل بواقعة الجمل وحوار أم سلمة معها في القسم الأول من الكتاب فراجعه.

ولا أريد أن أعلق على هذا الموضوع بأكثر مما ورد في الأحاديث وحوار أم سلمة (رض) لها ولكنني أنقل شعراً لأمير الشعراء (أحمد شوقي) في ذلك، حيث قال:

أما الإمام فالأغرُّ الهادي ... حامي عرين الحق والجهاد

يا جبلاً تأبى الجبال ما حملْ ... ماذا جنت عليك ربّة الجملْ

أثار عثمان الذي شجاها ... أم غصّة لم تنتزع شجاها؟

قضية من دمه تبنيها ... هبّت لها واستنفرت بنيها

ذلك فتق لم يكن بالبالِ ... كيد النساء موهن الجبال

ومنها:

صاحبة الهادي وصاحباه ... فكيف يمضون لما يأباهُ[2]

ونختم الحديث بكلام لأمير المؤمنينعليه السلام في أصحاب الجمل، قال:

---

(١) الغدير: ٣ / ٢٦٨ عن العقد ألفريد: ٢ / ٢٨٣.

(٢) الموسوعة الشوقية جمع وترتيب إبراهيم الايباري ، ج ٩ ص ٦٢، دول العرب وعظماء الإسلام.

«فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجر الأمة عند شرائها، متوجهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا[1] حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما ـ في جيش ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة، طائعاً غير مكره، فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً، وطائفة غدراً. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً معتمدين (متعمدين) لقتله، بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، إذ حضروه فلم ينكروا، لم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد. دَعْ ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم»[2].

(١) طلحة والزبير.

(٢) نهج البلاغة: رقم ١٧٢.

(٢٢)

الفئة الباغية

١ـ مسلم في صحيحه: عن أم سلمة: إن رسول الله ﷺ قال لعمار: **«تقتلك الفئة الباغية»**[1].

٢ـ وروى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«تقتل عماراً الفئة الباغية»**[2].

٣ـ وروى غيرها عنها: إن رسول الله ﷺ قال لعمار: **«تقتلك الفئة الباغية»**[3].

■ **سند الحديث:**

يكفي في صحة الحديث ـ عند أبناء السنة ـ وروده في صحيح مسلم، فما بالك وقد ورد في كتب متعددة ومعتمدة عندهم وصرح بعضهم بصحته، هذا مع أن الحديث بمضمونه من الأحاديث المتواترة كما صرح بذلك ابن حجر في الإصابة[4] فلا مجال لتصور الخدشة في صدوره عن الرسول ﷺ حتى صار (عمار) عند الأصحاب والتابعين علامة فارقة بين الفئة الباغية والفئة الثابتة على طريق الحق، ولنا تعليق على هذه النقطة فيما بعد.

■ **معنى البغي:**

قال الراغب الأصفهاني: (البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتَحرّى تجاوزه أولم يتجاوزه.. والبغي على حزبين: أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع. والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى

---

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٦. (٢) ن.م.

(٣) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٠٠، ٣١١، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٣٣، البيهقي في السنن الكبرى ج ٨ ١٨٩، كنز العمال ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي، المناقب للخوارزمي، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٠، المحلى ج ١١ ص ٩٧ مسألة (٢١٥٤)، مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٠٨.

(٤) الإصابة: ٢ / ٥١٢.

الشُبَه..)[١].

قال الطريحي: (.. والبُغاة أيضاً جمع (باغ) وهم الخارجون على إمام معصوم ـ كما في الجمل وصفين ـ سموا بذلك لقوله تعالى: ﴿ **فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء..** ﴾ والفئة الباغية الخارجة عن طاعة الإمام من البغي الذي هو مجاوزة الحد)[٢].

■ مَنْ هي الفئة الباغية ؟

المراد من الفئة الباغية في الحديث هم معاوية وأصحابه الذين بغوا على الإمام علي عليه السلام فقاموا ضده وحاربوه في صفين، وقد سمّاهم الرسول صلى الله عليه وآله بالقاسطين كما مرّ في حديث سابق، ومعنى القسط أخذ قسط الغير وذلك جور، ولهذا قيل: قسط الرجل إذا جار، في مقابل أقسط إذا عدل، قال تعالى: ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا** ﴾[٣] أي الجائرون.

فهاتان ـ الفئة الباغية والقاسطون ـ صفتان وَسَم بهما الرسول صلى الله عليه وآله معاوية وأصحابه لتكونا شاهدي عدل وصدق لمن تحرّى الحقيقة وسعى في طلبها.

■ مَنْ قَتَل عماراً ؟

قُتل عمار رضي الله عنه في معركة صفين وكان في جيش الإمام علي عليه السلام، وكان قاتله يسار بن سبع السلمي المعروف بأبي الغادية أحد جنود معاوية، وحينما قتل عمار ارتفعت الأصوات بقتله فتوقف أهل الشام عن القتال حيناً من الوقت لمعرفتهم بأن من يقتل عماراً هم الفئة الباغية كما أنبأ بذلك الرسول صلى الله عليه وآله، وكاد الوضع أن ينقلب على معاوية، ولكن الشيطان قد أوحى إليه، أو إلى ابن العاص، فتدارك

---

(١) مفردات الراغب، مادة بغى.
(٢) مجمع البحرين مادة بغا: ١ / ٥٥.
(٣) الجن: ١٥.

الموقف في لحظاته الأخيرة حينما قال: إنما قتله الذي جاء به وألقاه تحت سيوفنا! فسرت هذه الخدعة في أوساطهم فعادوا إلى مراكزهم، وهكذا مشت هذه الخدعة وغيرها من الخدع البهلوانية على عقول أهل الشام الذين ما كانوا يفرّقون بين الناقة والجمل ولم يكن التأمل الفكري في قائمة حساب أهل الشام آنذاك، وإلا لانتبهوا لما هم فيه من الضلال، لا سيما بعد ردّ الإمام علي عليه السلام على تلك الخدعة بجواب لا يحتاج في فهمه إلاّ إلى شيء من العقل وإن كان غاية في القلة، قال عليه السلام: **«إذن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة عليه السلام لأنه هو الذي جاء به إلى المعركة فقتل بسيوف كفار قريش»**؟!

بئس نظرية تلك التي جاء بها معاوية وخدع بها أمة من الناس، وبئست عقول صدقتها وعقول تابعت عليها وعلى أمثالها.

■ ابن حزم والفئة الباغية

وكما مشت تلك الخدعة على عقول أهل الشام فقد حاول مجموعة من علماء أهل السنة وكبرائهم اختراع خدعة لا تقل حجماً وخطراً عنها لتمريرها على عقول العامة من الناس، أقصد الاجتهاد الخاطئ الذي يؤجر عليه صاحبه وإن كان في مقابل النص الصريح، وحتى لو كان المتأوّل أعرابياً يبول على عقبيه، ولكن بشرط واحد فقط، أن يكون الاجتهاد ضدّ الإمام علي عليه السلام وأتباعه.

وإن كبر الأمر في نفسك فاقرأ كلام ابن حزم في حق الفئة الباغية، قال: (وإنما قتل عماراً رضي الله عنه أصحابُ معاوية وكانوا متأوّلين تأويلهم فيه، وإن أخطأوا الحق مأجورون أجراً واحداً لقصدهم الخير)[1].

ولا نعرف ولا ابن حزم يعرف الخير الذي قصدوه، حاهو قتل الإمام علي عليه السلام

---

(١) المحلى: ١١ / ٩٧، مسألة ٢١٥٤.

خير أهل الأرض في ذلك الوقت؟ أم قتل أصحابه من المهاجرين الأولين، والأنصار السابقين إلى اعتناق الإسلام والذابين عن حريمه؟ أو أن الخير هو استيلاء الطلقاء وأبنائهم على عرش الخلافة فيبدلون سنة النبي صلى الله عليه وآله بما تمليه عليهم أهواؤهم ومرتكزاتهم الجاهلية ؟!!

■ ابن حزم وأبو الغادية

ولقد طاش سهم ابن حزم وابتعد في عداوته لعلي عليه السلام عن روح الإسلام كثيراً، وقال في حق أبي الغادية: (وعمار رضي الله عنه قتله أبو الغادية يسار بن سبع السلمي، شهد عمار بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بأنه علم ما في قلبه، وأنزل السكينة عليه، ورضي عنه، فأبو الغادية متأوِّل مجتهد مخطئ فيه باغ عليه مأجور أجراً واحداً! وليس هذا كقتلة عثمان رضي الله عنه لأنهم لا مجال للاجتهاد في قتله، لأنه لم يقتل أحداً ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنى بعد إحصان ولا ارتدَّ فيسوّغ المحاربة تأويل، بل هم فساق محاربون سافكون دماً حراماً عمداً بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان، فهم فساق ملعونون)[1].

فاقرأ هذا الاجتهاد وتلك المقارنة ثم اقرأ سورة الفاتحة على الإسلام إن كان ابن حزم من حملته، واعلم بأن الحجاج أفقه من ابن حزم وأعرف منه ومن أمثاله الذين نكبوا عن الصراط، وحادوا عن الحق، وتقلّبوا في شحنائهم وغلوائهم ليندرجوا تحت قول الرسول صلى الله عليه وآله: **«لا يبغضك يا علي إلاّ منافق»**.

نعم الحجاج أفقه منهم في هذه المسألة وهو ممن عرف ببغضه للإمام علي عليه السلام وسفكه الدماء الطاهرة، وإنه لمن قوم طبع الله على قلوبهم فأنساهم ذكره، فتعالَ معي لتقرأ هذه القصة لتدرك ما أرمي إليه:

---

(١) الغدير: ١ / ٥٩٣ عن الفصل: ٤ / ١٦١.

قال ابن الأثير في الكامل: (إن أبا الغادية قتل عماراً، وعاش إلى زمن الحجاج، ودخل عليه فأكرمه الحجاج، وقال له: أنت قتلت ابن سميّة ؟ يعني عماراً.

قال: نعم.

فقال: مَنْ سرّه أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة، فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية.

ثم سأله ابن الغادية حاجته، فلم يجبه إليها، فقال: نُوطّئ لهم الدنيا، ولا يُعطونا منها ـ ويزعم أني عظيم الباع يوم القيامة.

فقال الحجاج: أجل والله من كان ضرسه مثل أحد، وفخذه مثل جبل ورقان، ومجلسه مثل المدينة والربذة، إنه عظيم الباع يوم القيامة، والله لو أن عماراً قتله أهل الأرض كلهم لدخلوا النار)[١].

هذا كلام الحجاج وذاك كلام ابن حزم، وقد صدق من قال: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين.

وسوف نذكر بعض ملاحظات (علامة الغدير) أعلى الله مقامه على ابن حزم وبيان ضلاله بشيء من الاختصار والتصرف:

المؤاخذة الأولى: إن ابن حزم شخصية أجمع فقهاء عصره على تضليله والتشنيع عليه ونهي العوام عن الاقتراب منه، وحكموا بإحراق تآليفه ومدوّناته مهما وجودوا الضلال في طيّاتها كما في لسان الميزان[٢].

المؤاخذة الثانية: حكم ابن حزم باجتهاد عبد الرحمن بن ملجم في قتله الإمام علياًعليه السلام حيث قال: (لا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل علياًعليه السلام إلاّ متأولاً مجتهداً مقدّراً أنه على صواب..).

وهذه مواجهة صريحة للحديث الصحيح من قول الرسولصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام:

---

(١) الغدير: ١ / ٥٩٨، عن الكامل: ٣ / ١٣٤. (٢) لسان الميزان: ٤ / ٢٢٩ رقم ٥٧٣٧.

«قاتلك أشقى الآخرين»، وفي لفظ **«أشقى الناس»**، وفي ثالث **«أشقى هذه الأمة»**.

أخرجه الحفاظ الأثبات ويكاد أن يكون متواتراً على ما حدّد ابن حزم التواتر به.

منهم:

١ـ إمام الحنابلة أحمد في المسند[١].

٢ـ النسائي في الخصائص[٢].

٣ـ الحاكم في المستدرك وصححه[٣].

٤ـ الذهبي في تلخيصه وصححه. وغيرهم لم نذكرهم اختصاراً.

المؤاخذة الثالثة: لم يدع أحد من العلماء الاجتهاد لأبي الغادية الرجل المجهول عند علماء الحديث إلى أن جاء ابن حزم فاخترع هذه النظرية الدالة على شيطنة لا مثيل لها في دنيا الإسلام إلاّ عند زعمائه المتقدمين معاوية وابن العاص.

المؤاخذة الرابعة: إن الاجتهاد المزعوم لأبي الغادية مقابل للنصوص النبوية في عمار والتي منها: ما أخرجه الحاكم في المستدرك[٤] وصححه كما صححه الذهبي في تلخيصه بالإسناد عن عمرو بن العاص: إني سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: **«اللهم أولعت قريش بعمار، إن قاتل عمار وسالبه في النار»**.

أقول: وإعطاء ابن حزم الأجر الواحد لأبي الغادية الملقى على وجهه في النار دليل على عدم إيمان ابن حزم بأقوال الرسولصلى الله عليه وآله فليتبوّأ مقعده مع أبي الغادية.

المؤاخذة الخامسة: رمى قتلة عثمان وفيهم بعض الأصحاب بالفسق وأنه لا مجال لاجتهادهم في ذلك بينما فتح باب الاجتهاد على مصراعيه لقاتل الإمام عليعليه السلام وقاتل عمار مع وجود النص الخاص لبيان حال من قتلهما وأنهما من أهل النار.

---

(١) ٥ / ٣٢٦.

(٢) ص ١٦٢.

(٣) ٣ / ١٤٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٤٣٧.

المؤاخذة السادسة: إن ابن حزم سبّ الصحابة بقوله في قتلة عثمان: (فهم فساق ملعونون)، وذهب جمهور أصحابه إلى تضليل من سبّهم بين مكفّر ومفسّق، وقال هو في الفصل (٣ / ٢٥٧): (وأما من سبّ أحداً من الصحابة(رض) فإن كان جاهلاً فمعذور، وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق، كمن زنى وسرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله ﷺ فهو كافر..)[1].

والقارئ المنصف يعرف الخانة التي ينزلها ابن حزم من بين الخانات الثلاث المذكورة، أعاذنا الله من زلل القول وخطل الرأي.

■ مجرّد تعليق

اعتزل بعض الصحابة الحروب الثلاث للإمام علي عليه السلام وكانت الحجة في ذلك هي ظلمة الفتنة وعدم معرفة الحق من الباطل، وقد ندم بعضهم على تركه المشاركة في حرب صفين حينما سمع بقتل عمار لمعرفته بأن الفئة التي تقتله هي الفئة الباغية، فاتضح له فيما بعد واقع الأمر وحقيقته، وأفضل ما يجاب به عن هذا المنطق الضعيف ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج:

(قال نصر فحدثنا عمر بن سعد قال: فبينا علي عليه السلام واقفاً بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفناء قحطان، إذ نادى رجل من أهل الشام: من دلَّ على أبي نوح الحميري؟

فقيل له: قد وجدته، فما ذا تريد؟ قال: فحسر عن لثامه، فإذا هو ذو الكلاع الحميري ومعه جماعة من أهله ورهطه فقال لأبي نوح: سر معي، قال: إلى أين؟ قال: إلى أن نخرج عن الصف، قال: وما شأنك؟ قال: إن لي إليك لحاجة، فقال أبو نوح: معاذ الله أن أسير إليك إلا في كتيبة، قال ذو الكلاع: بلى فسر فلك ذمة الله

---

(١) راجع الغدير: ١ / من ص ٥٨٥ إلى ص ٦٠٨.

وذمة رسوله وذمة ذي الكلاع حتى ترجع إلى خيلك، فإنما أريد أن أسالك عن أمر فيكم تمارينا فيه، فسار أبو نوح وسار ذو الكلاع فقال له: إنما دعوتك أحدثك حديثا حدثناه عمرو بن العاص قديماً في خلافة عمر بن الخطاب، ثم أذكرناه الآن به فأعاده، إنه يزعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى، ومعه عمار بن ياسر، فقال أبو نوح: نعم والله إنه لفينا، قال: نشدتك الله، أجاد هو على قتالنا؟ قال أبو نوح: نعم ورب الكعبة لهو أشد على قتالكم مني، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته، وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمي، قال ذو الكلاع: ويلك علام تمنّى ذلك منا؟ فوالله ما قطعتك فيما بيني وبينك قط، وإن رحمك لقريبة، وما يسرني أن أقتلك، قال أبو نوح: إن الله قطع بالإسلام أرحاماً قريبة ووصل به أرحاماً متباعدة، وإني قاتلك وأصحابك لأنا على الحق وأنتم على الباطل، قال ذو الكلاع: فهل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام؟ فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره بحال عمار وجدّه في قتالنا، لعله أن يكون صلح بين هذين الجندين؟

قلت: واعجباه من قوم يعتريهم الشك في أمرهم لمكان عمار ولا يعتريهم الشك لمكان علي عليه السلام! ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم ولا يعبئون بمكان علي عليه السلام، ويحذرون من قول النبي صلى الله عليه وآله: (تقتلك الفئة الباغية) ويرتاعون لذلك، ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، ولا لقوله: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق).

وهذا يدلك على أن علياً عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إخمال ذكره، وستر فضائله، وتغطية خصائصه، حتى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلاً منهم)[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٨ / ١٦ وما بعدها.

ويقرب من هذا الجواب ما روي عن أبان بن تغلب أحد أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وهو عالم معروف دانت الأمة ـ شيعة وسنة ـ بفضله ووثاقته: عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: كنا في مجلس أبان بن تغلب، فجاءه شاب فقال: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام من أصحاب رسول صلى الله عليه وآله؟

قال: فقال له أبان: كأنك تريد أن تعرف فضل علي عليه السلام بمن تبعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

قال: فقال الرجل: هو ذاك.

فقال: والله ما عرفنا فضلهم إلا باتباعهم إياه..[1].

---

(١) رجال النجاشي ترجمة أبان.

(٢٣)

فاطمة سيدة النساء

١ـ ما ورد في كتاب (الذرية الطاهرة): بسنده عن عبد الله بن وهب: أن أم سلمة أخبرته: أن رسول الله دعا فاطمة فحدثها فبكت، ثم حدثها فضحكت، قالت أم سلمة: فلما توفي رسول الله سألتها عن بكائها وعن ضحكها؟ فقالت: **«أخبرني رسول الله بموته فبكيت، ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة فضحكت»**[١].

٢ـ الترمذي بسنده عن أم سلمة أخبرته: أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة عام الفتح، فناجاها فبكت، ثم حدثها فضحكت، قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عن بكائها وضحكها، قالت: **«أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموت فبكيت، ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت»**.

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه[٢].

■ **متن الرواية:**

نقرأ رواية الترمذي فنجد فيها هذا الاستثناء (إلاّ مريم بنت عمران) فيكون معنى الرواية: إن فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة النساء ما عدا مريم بنت عمران، فتكون مريم بنت عمران هي سيدة نساء العالمين لأن من كانت سيدة نساء أهل الجنة فهي سيدة نساء العالمين على الإطلاق.

ومريم بنت عمران لاشك في فضلها وطهارتها كما نصَّ القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء**

---

(١) الذرية الطاهرة ١ / ١٠٣.

(٢) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٦٨، وجاءت الرواية أيضاً في: الذرية الطاهرة للدولابي (ت: ٣١٠)، ١ / ١٠٣، الخصائص للنسائي ٢ / ١٤٢، السنن الكبرى ٥ / ١٤٥، مسند أبي يعلى ١٢ / ١١٠، المعجم الكبير ٢٢ / ٤٢١، جزء في فضائل فاطمة لابن شاهين ت ٣٨٥، ص ٢٠.

العالمين ﴾[1]. ولكنها مع ذلك ليست بأفضل من فاطمة بنت محمد ﷺ.

إذن ماذا نعمل بالرواية وكيف نواجه الآية ؟!

أما الرواية فلنا أن نعرضها على الروايات الأخرى الواردة في الموضوع نفسه لنكتشف وجه الحقيقة، وعندها سنعرف مقدار ما تدخلت فيه أصابع الوضع والتهميش التي أشرنا اليها مرة بعد أخرى، وكيف حاولت أن تطال كلَّ شيء من فضائل أهل البيت عليهم السلام لتحقق كلمة معاوية: (ألا دفناً دفناً).

الرواية لم يكن فيها هذا الاستثناء أبداً ويشهد لذلك:

١ـ ما رواه البخاري في باب مناقب فاطمة عليها السلام، قال النبي ﷺ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[2].

٢ـ ما رواه مسلم عن عائشة في رواية مطولة نقتطع منها محل الشاهد وهو: فلما رأى جزعي سارّني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل هذه الأمة؟ فقال: فضحكت ضحكي الذي رأيت[3].

٣ـ وما رواه في السنن الكبرى من جملة رواية: (.. قال هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلّم علي وبشرني: أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)[4].

٤ـ وفي معتصر المختصر: فقال لها: أي بنية! أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟ قالت: يا ليتها كانت، وأين مريم بنت عمران؟ فقال لها: أي بنية إنها سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، والذي نفسي بيده لقد زوجتك سيداً في الدنيا وسيداً في الآخرة، ولا يبغضه إلا منافق[5].

---

(١) آل عمران: ٤٢. (٢) صحيح البخاري: ٥ / ٢٩.

(٣) صحيح مسلم: باب فضائل فاطمة ٧ / ١٤٢، مسند الطيالسي ١ / ١٩٦.

(٤) السنن الكبرى ٥ / ٨٠، ٩٥، وقريب منها مسند البزار ٣ / ١٠٢، ومسند احمد ٥ / ٣٩١.

(٥) معتصر المختصر ٢ / ٢٤٧.

٥ـ في الجمع بين الصحاح الستة في باب مناقب فاطمة عليها السلام من صحيح أبي داود السجستاني قال: إن النبي صلى الله عليه وآله سارّ فاطمة عليها السلام وقال لها: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة لنساء هذه الأمة ؟ فقلت: أين مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ؟ فقال: مريم سيدة نساء عالمها، وآسية سيدة نساء عالمها(١).

فرواية البخاري والسنن مطلقة فتشمل جميع النساء بما فيهن مريم بنت عمران، وأما رواية مسلم والجمع بين الصحيحين فهي مرددة بين كونها سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة، وليس الترديد من قبل الرسول صلى الله عليه وآله قطعاً لعلمه بالواقع على حقيقته، وليس من السيدة فاطمة عليها السلام لكونها معصومة عن النسيان، ولو تنزلنا وقلنا بمقالة أهل السنة من عدم عصمتها فلا يمكن أن تنسى هذا الفضل الكبير في مثل هذا الموقف الخطير، بل إن النسيان في مثل هذا لا يتطرق لعادي الناس فضلاً عن السيدة الزهراء عليها السلام.

فيتعين أن يكون الترديد من الراوي وقد صدر منه لأمر ما في نفسه ولكنه أخطأ المقصود لأن ذيل الرواية الثالثة يرفع الستار المسدول، إذ لا معنى للسؤال: (فأين مريم بنت عمران) إلاّ إذا كان قول الرسول صلى الله عليه وآله: (أن تكوني سيدة نساء العالمين)، ويدل على ذلك جواب النبي صلى الله عليه وآله: (مريم سيدة نساء عالمها)، ورواية المعتصر تؤيد ذلك.

ومن هذا يتضح أن الاستثناء في الرواية التي نحن بصددها إنما وضعته أيدي الرواة، ولم تأت على لسان الرسول صلى الله عليه وآله.

وأما المراد من الآية فقد جاء في تفسير القمي: قال: قال عليه السلام اصطفاها مرتين: أما الأولى فاصطفاها أي اختارها، وأما الثانية فإنها حملت من غير فحل فاصطفاها

---

(١) عنه العمدة لابن البطريق ص ٣٨٧، ٣٨٨، الحديث ٧٦٧.

بذلك على نساء العالمين[١].

وليتضح الأمر أكثر ننقل ما ذكره صاحب تفسير الميزان: (وعلى هذا فاصطفاؤها على نساء العالمين تقديم لها عليهن.

وهل هذا التقديم تقديم من جميع الجهات أومن بعضها ؟ ظاهر قوله تعالى فيما بعد الآية: ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم..** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** ﴾[٣]، حيث لم تشتمل مما تختص بها من بين النساء إلاّ على شأنها العجيب في ولادة المسيح عليه السلام إن هذا هو وجه اصطفائها وتقديمها على النساء من العالمين)[٤].

ونلفت النظر هنا إلى شيء وهو أن الموجود في الآية كلمة (الاصطفاء)، وأما الكلمة في الروايات فهي (السيادة) وبينهما اختلاف فلا تعارض بينهما.

ثم هب أن المراد من الاصطفاء هو التقديم في الفضل، لا في كونها حملت بروح الله المسيح عليه السلام من دون فحل فلا مانع من أن يكون المراد من سيادتها هي سيادتها لنساء عالمها المعاصرة له كما أوضحته الرواية السابقة، ولا ينافي هذا التفسير إطلاق (على العالمين)، فإن القرآن قد استعمل هذه العبارة في موارد أخرى ولا يريد بها الإطلاق، بل خصوص أهل الزمن المعاصر لمن فضّلهم الله كما في قوله تعالى: ﴿ **قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضّلكم على العالمين** ﴾[٥]، ولا شك أن المؤمنين من بني إسرائيل ليسوا بأفضل من مؤمني العالم من الأولين والآخرين، ولكنهم أفضل أهل عالمهم.

---

(١) تفسير القمي: في تفسير هذه الآية.

(٢) الأنبياء: ٩١.

(٣) التحريم: ١٢.

(٤) تفسير الميزان: ٣ / ١٨٩.

(٥) الأعراف: ١٤٠.

ويؤيده ما جاء في كتاب الدر المنثور للسيوطي.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي (وطهرك) قال: من الحيض ﴿ **واصطفاك علىٰ نساء العالمين** ﴾ قال: علىٰ نساء ذلك الزمان الذي هم فيه[1].

(١) الدر المنثور ٢ / ٤٢، تفسير سورة آل عمران: الآية ٤٢.

(٢٤)

تسبيح الزهراءعليها السلام

١ـ في مسند أحمد وغيره عن شهر قال: سمعت أم سلمة تحدث زعمت أن فاطمة جاءت إلى نبي اللهﷺ تشتكي إليه الخدمة فقالت: **«يا رسول الله! والله لقد مجلت يدي من الرحى، أطحن مرة، وأعجن مرة»**، فقال لها رسول اللهﷺ: **«إن يرزقك الله شيئاً يأتك، وسأدلك على خير من ذلك: إذا لزمت مضجعك فسبحي الله ثلاثا وثلاثين، وكبّري ثلاثا وثلاثين، واحمدي الله أربعاً وثلاثين، فذلك مائة فهو خير لك من الخادم، وإذا صليت صلاة الصبح فقولي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، عشر مرات بعد صلاة الصبح، وعشر مرات بعد صلاة المغرب، فإن كل واحدة منهن تكتب عشر حسنات، وتحط عشر سيئات، كل واحدة منهن كعتق رقبة من ولد إسمعيل، ولا يحل لذنب كسب ذلك اليوم أن يدركه إلا أن يكون الشرك، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو حرسك ما بين أن تقوليه غدوة إلى أن تقوليه عشية من كل شيطان ومن كل سوء»**[1].

■ **سند الحديث:**

تقدم الكلام في رجال هذا السند عند الكلام حول سند حديث الكساء وأنهم محل للاعتبار وقبول أصحاب الرجال فراجع.

■ **إيماءة:**

أطلق على الذكر الأول المشتمل على التكبير والتسبيح والتحميد تسبيح الزهراءعليها السلام، وقد ورد بصيغ أخرى غير هذه لا يهمنا الآن التعرض لها، والوجه في

---

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٨، الذرية الطاهرة ١ / ١٠٣، كنز العمال: ج ١٥ ص، مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٠٨، الذرية الطاهرة ١ / ١٠٣.

التسمية واضح لمن قرأ هذه الرواية وأمثالها، فإن أباها الرسول صلى الله عليه وآله قد علمها إياه فسمي باسمها.

(٢٥)

مقتل الحسين عليه السلام

١ـ جاء في فضائل الصحابة بسنده عن أم سلمة قالت: كان جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله والحسين معي، فبكى فتركته، فدنا من النبي صلى الله عليه وآله فقال جبريل: **«أتحبه يا محمد؟»** فقال: **«نعم»**، فقال: **«إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، فأراه إياها، فإذا الأرض يقال لها: كربلاء»**[1].

٢ـ وقال حماد بن سلمة: عن عمار بن أبي عمار، عن أم سلمة سمعت الجن تنوح على الحسين.

وقال سويد بن سعيد، عن عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أم سلمة: ما سمعت نوح الجن منذ قبض النبي صلى الله عليه وآله إلا الليلة، وما أرى ابني إلا قد قتل، تعني الحسين، فقالت لجاريتها: أخرجي فسلي فأخبرت أنه قد قتل، وإذا جنية تنوح:

ألا يا عين فانهملي بجهدي ... فمن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا ... إلى متجبر في ملك عبد[2]

وقال الهيثمي: وعن أم سلمة قالت: سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح[3].

٣ـ عن شقيق عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في بتي، فنزل جبريل فقال: **«يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك»** وأومى بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وضمه إلى صدره، ثم قال رسول

---

(١) فضائل الصحابة ٢ / ٧٨٢.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ٦ / ٤٠٩، ٤٣٩، ٤٤١، وعن نوح الجن راجع المعجم الكبير أيضاً ٣ / ١٢٢.

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٩.

الله ﷺ: «**وضعت عندك هذه التربة**» فشمها رسول الله ﷺ وقال: «**ريح كرب وبلاء**»، وقال: «**يا أم سلمة! إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل**»، فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم، وفي الباب عن عائشة وزينب بنت جحش وأم الفضل بنت الحارث وأبي أمامة وأنس بن الحارث وغيرهم[1].

٤ـ عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: أخبرتني أم سلمة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم، فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد، ثم استيقظ وهو حائر (خاثر) دون ما رأيت به المرة الأولى، ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟

قال: «**أخبرني جبريل ﷺ: أن هذا يقتل بأرض العراق، للحسين**»، فقلت لجبريل: «**أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فهذه تربتها**».

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[2].

٥ـ وفي صحيح ابن حبان وغيره بالسند عن أنس بن مالك قال: استأذن ملك القطر ربه أن يزور النبي ﷺ فأذن له، فكان في يوم أم سلمة فقال النبي ﷺ: «**احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد**»، فبينا هي على الباب إذ جاء الحسين بن علي فطفر فاقتحم ففتح الباب فدخل، فجعل يتوثب على ظهر النبي ﷺ، وجعل النبي يتلثمه ويقبله، فقال له الملك: «**أتحبه؟**» قال: «**نعم**»، قال: «**أما إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه؟**» قال: «**نعم**»، فقبض قبضة من المكان الذي يقتل فيه فأراه إياه، فجاءه بسهلة أو تراب أحمر، فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها، قال ثابت: كنا نقول: إنها كربلاء[3].

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٠٠، المعجم الكبير ٢٣ / ١٠٨.

(٢) المستدرك ٤ / ٤٤٠، والمعجم الكبير ٢٣ / ٣٠٨.

(٣) صحيح ابن حبان ١٥ / ١٤٣، مسند أبي يعلى ٦ / ١٢٩، المعجم الكبير ٣ / ١٠٦، و ٢٣ / ٣٢٨.

٦ـ الطبراني بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يقتل حسين بن علي عليه السلام عنه على رأس ستين من مهاجرتي»**[1].

٧ـ وبسنده أيضاً: عن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أم سلمة، قال: كان رسول الله ﷺ جالساً ذات يوم في بيتي فقال: **«لا يدخل علي أحد»**، فانتظرت فدخل الحسين رضي الله تعالى عنه، فسمعت نشيج رسول الله ﷺ يبكي، فاطلعت فإذا حسين في حجره والنبي ﷺ يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: **«إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت فقال: تحبه؟»** قلت: **«أما من الدنيا فنعم»**، قال: **«إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء»**، فتناول جبريل عليه السلام من تربتها فأراها النبي ﷺ، فلما أحيط بحسين حين قتل قال: **«ما اسم هذه الأرض؟»** قالوا: كربلاء، قال: **«صدق الله ورسوله، أرض كرب وبلاء»**[2].

قال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات.

وعندنا تأمل في كلمة (أما من الدنيا فنعم)، فإنه ربما يتوهم منها: أما من الآخرة فلا، ولعلها من إضافات المؤتمنين على أحاديث الرسول ﷺ!! فإن الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة بنص الرسول ﷺ فهل يعقل أنه ﷺ لا يحبهما في الآخرة؟!

وطالما رأينا هذه اليد عبثت وتصرفت بأسلوب أو بآخر لتحرف كثيراً من فضائل أهل البيت عليهم السلام عن واقعها، أو لتفرغ الأحاديث عن محتواها، ولكن للحق نوراً يكشف كل ما يصنعون.

٨ـ وبإسناده عن رزين حدثتني سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقالت: رأيت رسول الله ﷺ ـ يعني في المنام ـ وعلى رأسه

---

(١) المعجم الكبير ٣ / ١٠٥، تاريخ بغداد ١ / ١٤٢.

(٢) المعجم الكبير ٣ / ١٠٨، ١٠٩، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٨.

ولحيته التراب فقلت: ما لك يا رسول الله؟ فقال: شهدت قتل الحسين آنفاً[١].

■ سند الأحاديث

هذه الأحاديث حلقة من سلسلة كبيرة في هذا المعنى، فلا أراني جانبت الإنصاف إن ادعيت التواتر بأحد معانيه المتقدمة، مضافاً إلى أن قسماً من هذه الأحاديث صحيح الاسناد كما نقلناه عن الهيثمي.

■ دلالة الأحاديث

لهذه الأحاديث دلالات كثيرة، ومعاني كبيرة، فهي حينما تدل على الجانب الغيبي، أعني إخبار الرسول صلى الله عليه وآله بما سيجري على ولده وقرة عينه الإمام الحسين عليه السلام، تدل أيضاً على مدى العلاقة الكبيرة والحب المفعم بين الرسول صلى الله عليه وآله وبين سبطه، الأمر الذي لا يحتاج إلى ذكر شواهد من أجل إثباته، فإن كل حركة من حركات الرسول صلى الله عليه وآله فيما تخص الحسنين عليهما السلام تثبت ذلك.

والأمر الذي لا تنبغي الغفلة عنه، وتجدر الإشارة إليه هو منزلة الإمام الحسين عليه السلام عند المولى سبحانه وتعالى، فمن هو هذا الذي تتحول التربة التي يقتل عليها إلى دم عبيط؟!

أليس هذا رجلاً عظيماً بلغ من المنزلة الكبيرة عند الله مقاماً لا يرقى إليه؟

نعم هو الإمام الحسين عليه السلام الذي عجزت العلماء عن كنه معرفته، والبلغاء عن تصوير عظمته، وحسبه عظمة أن يكون هو وأخوه الإمام الحسن عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة، وحسبه شرفاً أن يكون والد الأئمة من آل البيت عليهم السلام.

وبما أن الأحاديث تحوم حول كربلاء، وما جرى فيها على الإمام الحسين عليه السلام، رأيت من المناسب أن أكتب شيئاً عن هذا الجانب، وأحببت أن يكون نقلاً مما

---

(١) المعجم الكبير ٢٣ / ٣٧٣.

كتبته في كتاب آخر لأنقل ما في إحدى يدي إلى اليد الأخرى:

(تقف اللغة خاشعة أمام عظمة الإمام الحسين، ويقف البليغ مبهوراً ومبهوتاً أمام ذلك العملاق، وتخرس ألسن الفصحاء في محراب تضحياته..

ماذا عسى القائل أن يقول؟ ومن أي المواقف سوف يبدأ؟ ونهضة الإمام الحسين عليه السلام تمثَّلت فيها خلاصة المُثُل الإنسانية، واختصرت كل المسافات ليبقى الحسين عليه السلام وحده قرآناً ناطقاً، وإسلاماً متجسداً، وإنساناً كاملاً، وروحاً مجرّدة عن كل ما يحطُّ بالإنسان إلى الحضيض، كما كان من قبله جدّه المصطفى وأبوه المرتضى وأخوه المجتبى عليهم السلام.

اجتمعت في نهضة الإمام الحسين عليه السلام كل الإثارات المنبّهة للشعور الحي، ففيها الشجاعة التي لو سمع بها الجبان لهدرت في صدره النخوة والبطولة، وفيها المشاهد الحزينة التي تهزُّ حتى الحجر الصلد، والمواقف الإنسانية التي ينشرح لها صدر كل ذي ضمير طاهر)[1].

ويقول الكاتب المصري المعروف عباس محمود العقاد: (يخيل إلى الناظر في أعماله ـ الإمام الحسين ـ بكربلاء أن خلائقه الشريفة كانت في سباق بينها، أيها يظفر بفخار اليوم، فلا يدري أكان في شجاعته أشجع، أم في صبره أصبر، أم في كرمه أكرم، أم في إيمانه وأنفته وغيرته على الحق بالغاً من تلك المناقب المثلى أقصى مداه.. إلاّ انه كان يوم الشجاعة لا مراء، وكانت الشجاعة فضيلة الفضائل التي تمدها سائرها بروافد من خلق نبيل يعينها على شأنها.

فكان الحسين ـ شبل عليّ ـ في شجاعته الروحية والبدنية معاً غاية الغايات، وكان مضرب المثل بين الرعيل الأول من أشجع الشجعان في أبناء آدم وحواء.

ملك جأشه، وكل شيء من حوله يوهن الجأش، ويحل عقدة العزم، ويغري

---

(١) من كتاب (أهل البيت عليهم السلام في الشعر القطيفي المعاصر).

بالدعة والمجاراة..

ملك جأشه ومن حوله نساؤه وأبناؤه في نضارة العمر، يجوعون ويظمئون، ويتشبثون به ويبكون، وملك جأشه روية وأناة ولم يملكه وثبة واثب إلى الغضب أو هيجة مهتاج إلى الوغى، فكان قبل القتال وفي حومة القتال قوياً بصيراً ينفض الضعف عن عزائمه، كما ينفض الأسد غبرات الحصباء عن لبده، ولم يخامره الأسف قط في ذلك الموقف المرهوب إلاّ من أجل أحبائه وأعزائه الذين يراهم ويرونه ويسمع صيحتهم ويسمعونه)[1].

---

(١) أبو الشهداء: ص ١٣٣.

(٢٦)

المهدي عليه السلام من ولد فاطمة عليها السلام

١ـ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**»[١].

٢ـ عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، عن النبي صلى الله عليه وآله: «**المهدي حق وهو من ولد فاطمة**»[٢].

٣ـ سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت أم سلمة تقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يذكر المهدي فقال: «**نعم هو حق وهو من بني فاطمة**»[٣].

٤ـ عن عبد الله بن الحارث، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يبايع لرجل بين الركن والمقام عدة أهل بدر، فيأتيه عصائب أهل العراق، وأبدال أهل الشام، فيغزوهم جيش من أهل الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم**»...[٤].

٥ـ عن مجاهد عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من بني هاشم من المدينة إلى مكة، فيجيئه ناس فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره، فيجهز إليهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم**»...[٥].

٦ـ عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت: دخل علي النبي صلى الله عليه وآله وهو مسرور فقال: «**ألا أبشركم، المهدي من ولد فاطمة**»[٦].

وأحاديث الإمام المهدي عليه السلام، وعجل الله فرجه الشريف من الأحاديث التي

---

(١) سنن أبي داود الحديث رقم: ٣٧٣٥، سنن ابن ماجة الحديث رقم: ٤٠٧٦.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ٣ / ٣٤٦.

(٣) المستدرك ٤ / ٦٠٠، المعجم الكبير ٢٣ / ٢٦٧.

(٤) المعجم الكبير ٢٣ / ٢٩٥.

(٥) سنن أبي داود الحديث رقم: ٣٧٣٧، المعجم الكبير ٢٣ / ٣٩٠.

(٦) تهذيب الكمال للمزي ٩ / ٤٣٧.

فاقت حد التواتر، فلا حاجة للبحث في أسنادها.

وقضية الإمام المهديعليه السلام، وخروجه في آخر الزمان، وأنه من ولد سيدة نساء العالمين فاطمة، من القضايا التي أجمع المسلمون قاطبة عليها بدون مخالف في ذلك.

نعم اختلف المسلمون في تعيين ذلك الذي سيخرج ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهل أنه ولد أو سيولد؟ وهل أنه من أبناء الإمام الحسنعليه السلام أو من أبناء الإمام الحسينعليه السلام؟

ذهبت الشيعة الإمامية أعزهم الله بعزه، وأيدهم بنصره إلى أنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيتعليهم السلام، وأنه محمد المهدي بن الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي الهاديعليهما السلام، من ولد الإمام الحسينعليه السلام، وقد ولد في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية، وقد غيبه الله لمصلحة في علمه، وسيخرج في آخر الزمان ليطهر الأرض من الشرك والإلحاد، ويملأها عدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

وتبعهم في هذا الرأي كثير من علماء أهل السنة والجماعة، أحصاهم المحدث النوري في كتابه كشف الأستار فبلغوا الأربعين عالماً أو يزيدون، وذكر جملة منهم السيد الأمين في كتابه أعيان الشيعة، ونقل كلماتهم.

منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد القرشي الشافعي في كتابه (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول).

٢ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتابيه: (البيان في أخبار صاحب الزمان)، و(كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب).

٣ـ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي في كتابه: (الفصول المهمة في معرفة الأئمة).

٤ـ الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بسبط بن الجوزي في كتاب (تذكرة الخواص).

وذهب أكثر علماء أهل السنة إلى القول بأنه سيولد في ما بعد.

وساق علماء الشيعة أدلتهم على موقفهم، وأشبعوا الموضوع في ذلك، وردوا الشبهات التي أثارها أهل السنة، والبحث في جميع ذلك يخرجنا عن موضوع الكتاب، فلهذا نحيل القارئ إلى الكتب المعدة لذلك وهي كثيرة قديمة وحديثة، بحيث لا يبقى لطالب حق من عذر.

وبهذا الحديث نختم هذا الفصل من كتابنا، ولله الحمد والمنة في المبدأ والختام، فهو الذي وفقنا لذلك وإلى غيره.



الفصل الثاني

ما حذفته الرقابة
من أحاديث أم سلمة

هناك أحاديث متعددة في فضائل أهل البيت عليهم السلام روتها السيدة الجليلة أم سلمة لم تصلنا عن طريق كتب أهل السنة والجماعة، وكادت تختفي في أعماق الزمن المظلم لولا أن قدّر الله فحفظها لنا علماء الطائفة المحقة رحمهم الله.

ومن الطبيعي أن تحذف مثل هذه الروايات، بل من غير الطبيعي أن تبقى هي أو تلك الروايات التي مرَّ استعراضها، لأنها لم تكن تلقى قبولاً من قبل بني أمية وبني العباس الذين أخذوا على عاتقهم أن يمحوا ذكر الإمام علي عليه السلام مهما كلف الأمر وبلغ الثمن، والتأريخ شاهد صدق على ما نقول، وفي مطاوي ما ذكرنا في البحث السابق ما يثبت للقراء ذلك، ولكن شاء الله سبحانه ـ وما شاء كان ـ أن تحفظ هذه الأحاديث مثل غيرها من أحاديث الفضائل لتبقى على طول التأريخ حجة على من يقرأها أو يسمع بها، ولله الحجة البالغة.

ولم أتعب نفسي في تحقيق أسناد هذه الأحاديث كما صنعت في الأحاديث المتقدمة لأنها لم ترو عن طريق العامة فبإمكانهم أن يخدشوا في سندها بأن رواتها شيعة، أو الكتاب الذي وجدت فيه لكاتب شيعي وهو مرفوض عندهم ولا سيما المتأخرين من أبناء العامة، مع أن رواة الشيعة دخلوا في كتبهم المعتمدة بما لم يمكنهم تركهم وإلا لذهبت كثير من آثارهم، ولقد كانوا شيوخاً لعلمائهم وأئمة الحديث عندهم، وأخذ عنهم علماء الحديث الشيء الكثير، وحسبك أن يكون في كتاب البخاري ما يزيد على مائة راوٍ شيعي، كما أحصاه العلامة شرف الدين في كتابه المراجعات، وأحصاه العلامة الأميني في كتابه المفخرة (الغدير)، هذا مع ما

طبع عليه البخاري من البغض لأهل البيتعليهم السلام وشيعتهم، حتى أنه روى عن الخوارج والنواصب ومن عرف ببغضه وعدائه الشديد لأهل البيتعليهم السلام ولم يرو عن الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام صادق القول والعمل، أستاذ أبي حنيفة ومالك والكثير من علماء أهل السنة وأئمتهم، ولم يرو عن أولاد الإمام الصادقعليه السلام من أئمة أهل البيتعليهم السلام وحملة رسالة جدهمصلى الله عليه وآله، وهم من عرفوا بالصدق والأمانة والعلم والإيمان والتقوى والزهد...

وإن أردت معرفة المزيد عن رواة الشيعة الذين دخلوا في كتب السنة فراجع الميزان للذهبي في ترجمة أبان بن تغلب لتعرف صدق ما نقول.

ومهما يكن من شيء فإني أحببت أن أقتصر في هذا الفصل على ذكر الروايات سرداً، وأجمعها جمعاً كما وجدتها في كتب الحديث، والله الموفق والمسدد.

١ـ جاء في البحار: وقال البرسي في مشارق الأنوار: روى المفيد باسناده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام: يا علي! إن محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المساءلة في القبور وأنت هناك تلقنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرفهم[1].

٢ـ وفي البحار أيضاً: عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان، ناقلاً من كتاب جمعه السيد حسن بن كبش الحسيني بإسناده عن المفيد، رفع الحديث إلى أم سلمة قالت: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام: يا علي إخوانك يفرحون في أربعة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنا وأنت شاهدهم، وعند المسائلة في قبورهم، وعند العرض، وعند الصراط[2].

٣ـ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان نبي اللهصلى الله عليه وآله قائلاً في بيتي إذ انتبه

---

(١) البحار ٦ / ٢٠٠. (٢) البحار ٢٧ / ١٦٤.

فزعاً من منامه فقلت له: الله جارك! قال: **«صدقت، الله جاري، لكن هذا جبرئيل عليه السلام يخبرني أن علياً عليه السلام قادم»**، ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام، فقام المسلمون له صفين مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا بصر بالنبي صلى الله عليه وآله ترجّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبّلهما، فقال له صلى الله عليه وآله: **«اركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان»**، فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً وانصرف إلى منزله، وتسلم المسلمون الغنائم، فقال النبي صلى الله عليه وآله لبعض من كان معه في الجيش: **«كيف رأيتم أميركم؟»** قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلا انه لم يؤم بنا في صلاة إلا قرأ فيها بقل هو الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله أسأله عن ذلك، فلمّا جاءه قال له: لِمَ لم تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص؟ فقال: يا رسول الله أحببتها، قال له النبي صلى الله عليه وآله: **«فإن الله قد أحبّك كما أحببتها»**، ثم قال له: **«يا علي لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك»**.

وقد ذكر كثير من أصحاب السير أن في هذه الغزاة نزل على النبي صلى الله عليه وآله ﴿ **والعاديات ضبحاً** ﴾ إلى آخرها، فتضمنت ذكر الحال فيما فعله أمير المؤمنين عليه السلام فيها[1].

ومن الجدير بالذكر أن عائشة قد نقلت هذه الرواية ولكنها لم تنقل التفاصيل كاملة، كما أنها لم تفصح عن اسم أمير الجيش، وأترك التعليق على ذلك للقارئ الكريم، والرواية التي روتها عائشة هي كما في صحيح ابن حبان:

عن عائشة: ثم أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم: قل هو الله أحد، ولما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فقال: **«سلوه: لأي شيء صنع هذا؟»** فسألوه، فقال: **«أنا أحب أن أقرأها»**، فقال رسول الله: **«أخبروه أن الله يحبه»**[2].

---

(١) الإرشاد ١ / ١٠٣، البحار ٢١ / ٨١. (٢) ٣: ٧٣.

وليست هذه الحركة بدعاً من حركات عائشة تجاه أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى البخاري عن عائشة وهي تحدث عن آخر أيام النبي صلى الله عليه وآله: فخرج النبي صلى الله عليه وآله بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عباس ورجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بن عباس، فقال: **«أتدري من الرجل الآخر؟»** قلت: لا، قال: **«هو علي»**[١].

فهل تراها نسيت من هو الرجل الآخر؟! لا أظن ذلك، ولكن لأمر ما يدور في ذهن المرأة.

٤ـ البحار: عن عبد العزيز بن سعيد الأنصاري، عن أبيه، عن جده، وكانت له صحبة، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله قالت: حج رسول الله صلى الله عليه وآله عام حجة الوداع بأزواجه، فكان يأوي في كل يوم وليلة إلى امرأة منهن ـ وهو حرام ـ يبتغي بذلك العدل بينهنّ قالت: فلمّا أن كانت ليلة عائشة ويومها خلا رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي بن أبي طالب عليه السلام يناجيه وهما يسيران فأطال مناجاته، فشق ذلك على عائشة فقالت: إني أريد أن أذهب إلى علي فأناله، أو قالت: أتناوله بلساني في حبسه رسول الله صلى الله عليه وآله عني، فنهيتها فنصّت ناقتها في السير، ثم إنها رجعت إلي وهي تبكي، فقلت: ما لك؟

فقالت: إني أتيت النبي صلى الله عليه وآله فقلت: يا ابن أبي طالب! ما تزال تحبس عني رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا تحولي بيني وبين علي، إنه لا يخافه في أحد، وإنه لا يبغضه ـ والذي نفسي بيده ـ مؤمن، ولا يحبه كافر، ألا إن الحق بعدي مع علي، يميل معه حيث ما مال، لا يفترقان جميعاً حتى يردا علي الحوض»**.

قالت أم سلمة: فقلت لها: قد كنت نهيتك فأبيت إلا ما صنعت[٢].

٥ـ عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي

---

(١) البخاري ١ / ٨٣.
(٢) البحار ٢٢ / ٢٤٣.

فيه: «**ادعوا لي خليلي**»، فأرسلت عائشة إلى أبيها، فلما جاء غطى رسول الله ﷺ وجهه وقال: «**ادعوا لي خليلي**»، فرجع أبو بكر وبعثت حفصة إلى أبيها، فلما جاء غطى رسول الله ﷺ وجهه وقال: «**ادعوا لي خليلي**»، فرجع عمر وأرسلت فاطمة إلى علي عليه السلام، فلما جاء قام رسول الله ﷺ فدخل، ثم جلل علياً عليه السلام بثوبه.

قال علي عليه السلام: «**فحدثني بألف حديث، يفتح كل حديث ألف حديث، حتى عرقت وعرق رسول الله ﷺ فسال علي عرقه، وسال عليه عرقي**»(١).

٦ـ أبو ثابت مولى أبي ذر سمعت أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه يقول ـ وقد امتلأت الحجرة من أصحابه ـ: «**أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول ـ معذرة إليكم ـ: ألا إني مخلف فيكم كتاب الله ربي عزّ وجل وعترتي أهل بيتي**»، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها فقال: «**هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي خليفتان نصيران لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألهما ما ذا خلفت فيهما**»(٢).

٧ـ عن عمر بن أبي سلمة عن أمه أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**علي بن أبي طالب والأئمة من ولده بعدي سادة أهل الأرض، وقادة الغر المحجلين يوم القيامة**»(٣).

٨ـ عن قيس بن أبي حازم عن أم سلمة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾(٤).

قال: «**الذين أنعم الله عليهم من النبيين أنا، والصديقين علي بن أبي طالب، والشهداء الحسن والحسين، والصالحين حمزة، وحسن أولئك رفيقاً الأئمة الاثنا عشر**

---

(١) البحار ٢٢ / ٤٦١.
(٢) البحار ٢٢ / ٤٧٦.
(٣) البحار ٢٣ / ١٢٧.
(٤) سورة النساء: ٦٩.

بعدي»[١].

٩ـ عن جابر بن يزيد عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: سئلت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«إن شيعته هم الفائزون»**[٢].

١٠ـ عن إبراهيم القرشي قال: كنا عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: **«يا علي لا يبغضكم إلا ثلاثة: ولد زنا، ومنافق، ومن حملت به أمه وهي حائض»**[٣].

١١ـ عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله في حديث طويل يقول في آخره: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأم سلمة رضي الله عنها: **«يا أم سلمة اسمعي واشهدي! هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا، وأخي في الآخرة، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا، ووزيري في الآخرة، يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا، وحامل لواء الحمد غداً في القيامة، يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدى وقاضي عداتي والذائد عن حوضي، يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»**.

قلت: يا رسول الله من الناكثون؟

قال: **«الذين يبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة»**.

قلت: من القاسطون؟

قال: **«معاوية وأصحابه من أهل الشام»**.

---

(١) البحار ٣٦ / ٣٤٧، البحار ٢٣ / ٣٣٦، كفاية الأثر ص ١٨٣.

(٢) الإرشاد ١/ ٣٦، البحار ٢٧/ ١٤٣.

(٣) علل الشرائع ١/ ١٤٢، البحار ٢٧/ ١٥٠.

ثم قلت: من المارقون؟

قال: «**أصحاب النهروان**»[١].

١٢ـ عن أبي الأسود عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**الأئمة بعدي اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل، تسعة من صلب الحسين، أعطاهم الله علمي وفهمي، فالويل لمبغضيهم**»[٢].

١٣ـ عن أبي ثابت مولى أبي ذر، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لما أسري بي إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله، محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته بعلي، ورأيت أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين، وأنوار علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، ورأيت نور الحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب درّي، فقلت: يا رب من هذا؟ ومن هؤلاء؟ فنوديت: يا محمد! هذا نور علي وفاطمة، وهذا نور سبطيك الحسن والحسين، وهذه أنوار الأئمة بعدك من ولد الحسين، مطهرون معصومون، وهذا الحجة الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً**»[٣].

١٤ـ عن ميمونة وأم سلمة زوجي النبي ﷺ قالتا: استسقى الحسن فقام رسول الله ﷺ فجدح له في غمر كان لهم، يعني قدحاً يشرب فيه، ثم أتاه به فقام الحسين عليه السلام فقال: «**اسقنيه يا أبه فأعطاه الحسن**»، ثم جدح إليه عليه السلام فسقاه، فقالت: فاطمة عليها السلام: «**كأن الحسن أحبهما إليك**»؟

قال: «**إنه استسقى قبله وإني وإياك وهما وهذا الراقد في مكان واحد في الجنة**»[٤].

١٥ـ روي عن أم سلمة أن فاطمة عليها السلام جاءت إلى النبي حاملة حسناً وحسيناً وقد حملت فخاراً فيه حريرة، فقال: «**ادعي ابن عمك**» فأجلس أحدهما على فخذه

---

(١) البحار ٣٢/ ٢٩٨.
(٢) البحار ٣٦/ ٣٤٧، كفاية الأثر ص ١٨٤.
(٣) البحار ٣٦/ ٣٤٨.
(٤) البحار ٣٧/ ٧٧.

اليمنى والآخر على فخذه اليسرى وجعل علياً وفاطمة أحدهما بين يديه والآخر خلفه فقال: **«اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»**، ثلاث مرات وأنا عند عتبة الباب فقلت: وأنا منهم؟

قال: **«أنت إلى خير»**. وما في البيت أحد غير هؤلاء وجبرئيل.

ثم أغدف خميصة كساء خيبري فجلَّلَهم به وهو معهم، ثم أتاهم جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب فأكل النبي صلى الله عليه وآله فسبّح، ثم أكل الحسن والحسين عليهما السلام فتناولا منه فسبّح العنب والرمان في أيديهما، فدخل علي عليه السلام فتناول منه فسبّح أيضاً، ثم دخل رجل من أصحابه وأراد أن يتناول فلم يسبّح، فقال جبرئيل: **«إنما يأكل من هذا نبي ووصي وولد نبي»**[١].

١٦ـ عن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأم سلمة: يا أم سلمة **«علي مني وأنا من علي، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى، يا أم سلمة! اسمعي واشهدي، هذا علي سيد المسلمين»**[٢].

١٧ـ عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إن الله اختار من كل أمة نبياً واختار لكل نبي وصياً، فأنا نبي هذه الأمة، وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي من بعدي»**.

فهذا ما شهدت من علي، الآن يا أبه فسبّه أو دعه فأقبل أبوها يناجي الليل والنهار: اللهمّ اغفر لي ما جهلت من أمر علي، فأنا ولي ولي علي، وعدو عدو علي، وتاب المولى توبة نصوحاً، وأقبل فيما بقي من دهره يدعو الله أن يغفر له[٣].

وقد مرّت عن كتب العامة، وإنما أعدناها لما في جوابها من الزيادة.

١٨ـ عن أبي رافع أنه دخل رجل على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله فأخبرها بيوم

---

(١) البحار ٣٧/ ١٠٠.
(٢) البحار ٣٧/ ٢٥٤.
(٣) البحار ٣٧/ ٢٥٤.

الجمل فقالت: إلى أين طار قلبك إذ طارت القلوب مطائرها؟

قال: كنت يا أم المؤمنين مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

قالت: أحسنت وأصبت أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«يرد علي الحوض وأشياعه والحق معهم لا يفارقونه»**[1].

١٩ـ عن ابن مسلم قال: خرجت مع الحسن البصري وأنس بن مالك حتى أتينا باب أم سلمة، فقعد أنس على الباب ودخلت مع الحسن البصري فسمعت الحسن وهو يقول: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته، فقالت له: وعليك السلام، من أنت يا بني؟

قال: أنا الحسن البصري.

فقالت: فيما جئت يا حسن؟

فقال لها: جئت لتحدثيني بحديث سمعتيه من رسول الله صلى الله عليه وآله في علي بن أبي طالب.

فقالت أم سلمة: والله لأحدِّثَنَّك بحديث سمعته أذناي من رسول الله وإلا فصمّتا، ورأته عيناي وإلا فعميتا، ووعاه قلبي وإلا فطبع الله عليه، وأخرس لساني إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: **«يا علي ما من عبد لقي الله يوم يلقاه جاحداً لولايتك إلا لقي الله بعبادة صنم أو وثن»**.

قال: فسمعت الحسن البصري وهو يقول: الله أكبر أشهد أن علياً مولاي ومولى المؤمنين، فلمّا خرج قال له أنس بن مالك: ما لي أراك تكبّر؟ قال: سألت أمّنا أم سلمة: أن تحدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله في علي فقالت: لي كذا وكذا، فقلت: الله أكبر، أشهد أنّ علياً مولاي ومولى كل مؤمن.

قال: فسمعت عند ذلك أنس بن مالك وهو يقول: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه

---

(١) البحار ٣٨/ ٢٩.

قال: هذه المقالة ثلاث مرات أو أربع مرات[١].

ولكن لم يجد هذا السماع إلى قلبهما طريقاً، فلم يؤثر على سلوكهما العملي تجاه أمير المؤمنين‰.

٢٠ـ عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: إنها قالت: سمعت رسول الله‰ يقول: **«ما قوم اجتمعوا يذكرون فضل علي بن أبي طالب إلا هبطت عليهم ملائكة السماء حتى تحف بهم، فإذا تفرقوا عرجت الملائكة إلى السماء فيقول لهم الملائكة: إنا نشم من رائحتكم ما لا نشمه من الملائكة فلم نر رائحة أطيب منها! فيقولون: كنا عند قوم يذكرون محمداً وأهل بيته فعلق فينا من ريحهم فتعطرنا، فيقولون: اهبطوا بنا إليهم، فيقولون: تفرقوا ومضى كل واحد منهم إلى منزله، فيقولون: اهبطوا بنا حتى نتعطر بذلك المكان»**[٢].

٢١ـ بلغ عمر بن عبد العزيز أن قوماً تنقصوا علياً بن أبي طالب فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي‰ وذكر علياً وفضله وسابقته، ثم قال: حدثني عراك بن مالك الغفاري عن أم سلمة قالت: بينا رسول الله‰ عندي إذ أتاه جبرئيل فناداه فتبسم رسول الله‰ ضاحكاً، فلما سرى عنه قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أضحكك؟

فقال: أخبرني جبرئيل أنه مرّ بعلي‰ وهو يرعى ذوداً له وهو نائم قد أبدى بعض جسده، قال: فرددت عليه ثوبه فوجدت برد إيمانه قد وصل إلى قلبي[٣].

٢٢ـ ومن ذلك ما روته أم سلمة زوج النبي‰ من طريق مساور الحميري عن أمه قالت: قالت أم سلمة: والله لقد أسلم علي بن أبي طالب‰ أول الناس وما كان كافراً[٤].

---

(١) البحار ٣٨/ ١٠٠.
(٢) البحار ٣٨/ ١٩٩.
(٣) البحار ٣٨/ ٢٤٨، ٣٩/ ١٠٠.
(٤) البحار ٣٨/ ٢٧١.

٢٣ـ عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن سلمة وعن أبيه عن أم سلمة قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي: **«أنت أخي وحبيبي فمن أرادك أرادني»**[1].

٢٤ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قلت لأم سلمة زوج النبيﷺ: إنك لتكثرين من القول الطيب في علي بن أبي طالب دون نساء النبيﷺ فهل سمعت من رسول اللهﷺ في علي شيئاً لم يسمعه غيرك؟

قالت: يا ابن عباس! أما ما سمعت من رسول اللهﷺ فهو أكثر مما أقدر أن أخبرك به، ولكني أخبرك من ذلك بما يكفيك ويشفيك: سمعته يقول في علي قبل موته بجمعة، فإن زاد على جمعة فلن يزيد على عشرة أيام ، وهو يقول في بيتي قبل أن يتحرك إلى بيت عائشة، وقبل أن يقطع الطواف على نسائه، فدخل علي بن أبي طالب فسلم حفياً توقيراً لرسول اللهﷺ، وردّ عليه معلناً كالمسرور بأخيه المحب له، ثم قبض على يده فقال: **«أعلي»**؟

قال: **«نعم يا رسول الله»**.

قال: **«يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وبكى علي ولا يرفع بصره تعظيماً لرسول الله»**ﷺ.

قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله إلى من تكلنا؟ وإلى من توصي بأمرنا؟.

قال: **«أكلكم إلى العزيز الغفار كما دعوتكم إليه، وأوصي بكم إلى هذا وأشار إلى علي، يا أم سلمة! هذا هو الوصي على الأموات من أهل بيتي، والخليفة على الأحياء في الدنيا، وهو قريني في الجنة كما هو أخي في الدنيا، وهو معي في الدرجة العليا، اسمعي يا أم سلمة قولي واحفظي وصيتي واشهدي وأبلغي: أن علياً هذا أخي في الدنيا والآخرة، نيط لحمه بلحمي، ودمه بدمي، منّي ابنتي فاطمة، ومنه ومنها ولداي الحسن والحسن، وعلي أخي وابن عمي ورفيقي في الجنة، وهو مني بمنزلة هارون من موسى**

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ١/ ٣١٠.

غير أنه لا نبي بعدي.

يا أُم سلمة! علي سيّد كل مسلم، إذ كان أولهم إسلاماً، وولي كل مسلم، إذ كان أسبقهم إلى الإيمان.

يا أُم سلمة! علي معدن كل علم، إذ لم يتلوث بالشرك منذ كان، يا أُم سلمة! علي يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي.

يا أُم سلمة! قال لي جبرئيل يوم عرفة بعرفات: يا محمد إن الله باهى بكم في هذا اليوم فغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة وعامة.

يا أُم سلمة! علي إمامكم فاقتدوا به وأحبوه بعدي كحبي، وأكرموه لكرامتي، ما قلت هذا لكم من قبلي ولكن أمرت أن أقوله».

ثم قالت أم سلمة: يكفيك هذا يا ابن عباس؟

فقلت: بلى يكفيني.

ثم قال ابن عباس: أما الناكثون فقوم بايعوا علياً بالمدينة ونكثوا بيعته بالبصرة، والقاسطون عندنا هم معاوية وأصحابه، والمارقون أهل النخلة والنهروان[1].

٢٥ـ في كتاب الغيبة: ثم قال علي صلوات الله عليه لأبي الدرداء وأبي هريرة ومن حوله: يا أيها الناس أتعلمون أن الله تبارك وتعالى أنزل في كتابه ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[2]، فجمعني رسول الله وفاطمة والحسن والحسين في كساء، ثم قال: «**اللهم هؤلاء أحبتي وعترتي وثقلي وخاصتي وأهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**».

فقالت أم سلمة: وأنا؟

فقال ﷺ لها: «**وأنت إلى خير، إنما أنزلت في وفي أخي علي وفي ابنتي فاطمة وفي ابني الحسن والحسين وفي تسعة من ولد الحسين خاصة ليس فيها معنا أحد غيرنا**».

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ١/ ٣٥٤. (٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

فقام جل الناس فقالوا: نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك، فسألنا رسول الله ﷺ فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة[1].

٢٦ـ عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ لعلي: **«يا علي إن الله تبارك وتعالى وهب لك حبّ المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيت بهم إخواناً ورضوا بك إماماً، فطوبى لك ولمن أحبّك وصدّق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك.**

يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها، وما تؤتى المدينة إلا من الباب.

يا علي أهل مودتك كل أواب حفيظ، وأهل ولايتك كل أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله تعالى لأبر قسمه.

يا علي إخوانك في أربعة أماكن فرحون: عند خروج أنفسهم وأنا وأنت شاهدهم، وعند المسائلة في قبورهم، وعند العرض، وعند الصراط.

يا علي حربك حربي وحربي حرب الله، من سالمك فقد سالمني ومن سالمني فقد سالم الله.

يا علي بشّر شيعتك أن الله قد رضي عنهم، ورضيك لهم قائداً ورضوا بك ولياً.

يا علي أنت مولى المؤمنين وقائد الغر المحجّلين وأنت أبو سبطي وأبو الأئمة التسعة من صلب الحسين، ومنّا مهدي هذه الأمة.

يا علي شيعتك المنتجبون ولولا أنت وشيعتك ما قام دين الله»[2].

٢٧ـ عن الأعمش عن عباية الأسدي قال: كان عبد الله بن العباس جالساً على شفير زمزم يحدث الناس، فلما فرغ من حديثه أتاه رجل فسلم عليه، ثم قال: يا عبد الله إني رجل من أهل الشام فقال: أعوان كل ظالم إلا من عصم الله منكم، سل عمّا بدا لك فقال: يا عبد الله بن عباس إني جئتك أسألك عمن قتله علي بن أبى طالب من أهل لا إله إلا الله لم يكفروا بصلاة ولا بحج ولا بصوم شهر رمضان ولا

---

(١) كتاب الغيبة ص ٧٢.

(٢) كفاية الأثر ص ١٨٤.

بزكاة؟!

فقال له عبد الله: ثكلتك أمك سل عما يعنيك ودع مالا يعنيك.

فقال: ما جئتك أضرب إليك من حمص للحج ولا للعمرة، ولكني أتيتك لتشرح لي أمر علي بن أبى طالب وفعاله.

فقال له: ويلك إن علم العالم صعب لا تحتمله ولا تقربه القلوب الصدئة، أخبرك أن علي بن أبي طالب كان مثله في هذه الأمة كمثل موسى والعالمعليهما السلام، وذلك إن الله تبارك وتعالى قال في كتابه: ﴿ **يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء** ﴾[(١)] فكان موسى يرى أن جميع الأشياء قد أثبتت له كما ترون أنتم أن علماءكم قد أثبتوا جميع الأشياء، فلما انتهى موسىعليه السلام إلى ساحل البحر فلقي العالم فاستنطق بموسى ليصل علمه، ولم يحسده كما حسدتم أنتم علي بن أبي طالب وأنكرتم فضله، فقال له موسىعليه السلام: ﴿ **هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً** ﴾[(٢)].

فعلم العالم أن موسى لا يطيق بصحبته، ولا يصير على علمه فقال له: ﴿ **إنك لن تستطع معي صبراً** ﴾[(٣)]، وكيف يصبر على ما لم يحط به خبرا.

فقال له موسى: ﴿ **ستجدني إن شاء الله صابراً لا أعصي لك أمراً** ﴾.

فعلم العالم أن موسى لا يصبر على علمه.

فقال: ﴿ **فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً** ﴾.

قال: فركبا في السفينة فخرقها العالم وكان خرقها لله عزّ وجل رضى.وسخطا لموسى، ولقي الغلام فقتله فكان قتله لله عزّ وجل رضى وسخط لموسى، وأقام

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٤.
(٢) سورة الكهف : ٦٦.
(٣) سورة الأحزاب: ٥٣.

الجدار فكان إقامته لله عزّ وجل رضى وسخط لموسى، كذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام لم يقتل إلا من كان قتله لله رضا ولأهل الجهالة من الناس سخطاً، أجلس حتى أخبرك: إن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج زينب بنت جحش فأولم، وكانت وليمته الحيس وكان يدعو عشرة عشرة، فكانوا إذا أصابوا إطعام رسول الله صلى الله عليه وآله استأنسوا إلى حديثه واستغنموا النظر إلى وجهه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يشتهي أن يخففوا عنه فيخلو له المنزل لأنه حديث عهد بعرس، وكان يكره أذى المؤمنين له فأنزل الله عزّ وجل فيه قرآنا أدبا للمؤمنين، وذلك قوله عزّ وجل: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لايستحي من الحق** ﴾[١]، فلما نزلت هذه الآية كان الناس إذا أصابوا طعام نبيهم صلى الله عليه وآله لم يلبثوا أن يخرجوا.

قال: فلبث رسول صلى الله عليه وآله سبعة أيام ولياليهن عند زينب بنت جحش ثم تحول إلى بيت أم سلمة ابنة أبي أمية وكان ليلتها وصبيحة يومها من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فلما تعالى النهار انتهى علي عليه السلام إلى الباب فدقه دقاً خفيفاً له عرف رسول الله صلى الله عليه وآله دقّه وأنكرته أم سلمة، فقال يا أم سلمة: قومي فافتحي له الباب، فقالت: يا رسول الله! من هذا الذي يبلغ من خطره أن أقوم له فأفتح له الباب، وقد نزل فينا بالأمس ما قد نزل من قول الله عزّ وجل: ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾[٢]، فمن هذا الذي بلغ من خطره أن أستقبله بمحاسني ومعاصمي؟!

قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله كهيئة المغضب: «**من يطع الرسول فقد أطاع الله، قومي فافتحي له الباب، فإن بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا بالنزق ولا بالعجول في أمره، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وليس بفاتح الباب حتى يتوارى عنه**

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.
(٢) سورة الاحزاب: ٥٣.

الوطئ»، فقامت أم سلمة وهي لا تدري من بالباب غير أنها قد حفظت النعت والمدح، فمشت نحو الباب وهي تقول: بخ بخ لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ففتحت له الباب.

قال: فأمسك بعضادتي الباب ولم يزل قائماً حتى خفي عنه الوطئ ودخلت أم سلمة خدرها، ففتح الباب ودخل فسلم على رسول الله ﷺ فقال رسول الله: **«يا أم سلمة تعرفينه؟»**.

قالت: نعم وهنيئاً له هذا علي بن أبي طالب.

فقال: **«صدقت يا أم سلمة هذا علي بن أبي طالب، لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبى طالب أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وهو عيبة علمي، وبابي الذي أوتى منه، وهو الوصي بعدي على الأموات من أهل بيتي، والخليفة على الأحياء من أمتي، وأخي في الدنيا والآخرة، وهو معي في السنام الأعلى، اشهدي يا أم سلمة واحفظي إنه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»**.

فقال الشامي: فرّجت عني يا عبد الله، أشهد أن علي بن أبى طالب مولاي ومولى كل مسلم[1].

وأورد الرواية صاحب كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفيه بعض الاختلاف فقد جاء في الأخير هكذا: اشهدي يا أم سلمة: **«إنه سيد المسلمين من بعدي وأمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وإمام المتقين»**.

اشهدي يا أم سلمة: **«أن لحمه من لحمي ودمه من دمي»**.

اشهدي يا أم سلمة: **«أنه أخي في الدنيا ورفيقي في الجنة»**.

اشهدي يا أم سلمة: **«أنه يبعث يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يقال لها:**

---

(١) البحار ١٣/ ٢٩٣، ٣٢/ ٢٤٥.

محبوبة تصك ركبته مع ركبتي وفخذه مع فخذي».

اشهدي يا أم سلمة: **«أنه معي على الصراط يقول لأعدائنا أهل البيت: تعستم تعستم».**

اشهدي يا أم سلمة: **«أنه يقاتل من بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين».**

اشهدي يا أم سلمة: **«أنه مع الحق يزول حيث ما زال، لا أخاف عليه فتنة ولا بلاء حتى يلقاني وقد وعدني ربي ـ ولن يخلف الميعاد ـ أنه يحفظني فيه ويسلم دينه حتى يلقاني».**

فقال الشامي: فرجت عني يا عبد الله أشهد أن علي بن أبي طالب مولاي ومولى كل مسلم[١].

٢٨ـ في البحار عن (ما) بسنده عن يحيى بن العلاء الرازي قال: دخل علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله و هو في بيت أم سلمة فلما رآه قال: كيف أنت يا علي إذا جمعت الأمم ووضعت الموازين وبرز لعرض خلقه ودعي الناس إلى ما لابدّ منه؟

قال: فدمعت عين أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ما يبكيك يا علي! تدعى والله أنت وشيعتك غراً محجّلين رواء مرويين مبيضة وجوههم، ويدعى بعدوك مسودة وجوههم أشقياء معذبين، أما سمعت إلى قول الله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾[٢]، أنت وشيعتك، والذين كفروا بآياتنا أولئك هم شر البرية عدوك يا علي»**[٣].

٢٩ـ عن محمد بن ثابت الأنصاري عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا يزال الدين مع علي وعلي معه حتى يردا علي الحوض»**[٤].

٣٠ـ إسماعيل بن أبان بإسناده عن أم سلمة قالت: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ١ / ٣٦٦.
(٢) البينة: ٧.
(٣) البحار ٧/ ١٨٢.
(٤) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ٢ / ٦١٦.

والحسن والحسينعليهما السلام فأخذ الحسن فوضعه على صدره واحتضن الحسين على ذراعه.

قالت أم سلمة: وكنت أنا جالسة خلفه وفاطمة بين يديه فلبث هوياً من الليل لا نرى إلا أنه قد رقد فزجل الحسين عن ذراعه فذهبت لآخذه فسبقني إليه لأخذه فقلت: يا رسول الله ما كنت أراك إلا نائماً؟

قال: ما نمت مذ أتوني، ثم قال لفاطمة بعد ما مضى من الليل صدر: أتي أهلك لا أرى إلا وقد أعجبهم أن تأتيهم، فحملت الحسين ومشى الحسن بين يديها وجلس رسول اللهصلى الله عليه وآله ينظر إليهم، ثم قال: «**اللهم هؤلاء عترتي وأهل بيتي اللهم إني أحبهم فأحبهم**» ـ ثلاث مرات ـ[1].

٣١ـ عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان النبيصلى الله عليه وآله عليلاً وكان علي بن أبي طالب يحب أن لا يسبقه إليه أحد فغدا إليه ذات يوم وهو في صحن داره فإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي فسلم عليه فردعليه السلام، ثم قال: «**يا حبيبي أدن مني، لك عندي مدحة نزفها إليك: أنت أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وسيد ولد آدم يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، لواء الحمد بيدك، تزف أنت وشيعتك معي زفاً قد أفلح من تولاّك وخاب وخسر من تخلاك، محبو محمد محبوك ومبغضو محمد مبغضوك لن تنالهم شفاعتي، أدن مني**» قالت: فأخذ رأس النبيصلى الله عليه وآله فوضعه في حجره[2].

٣٢ـ وعن أم سلمة عنهصلى الله عليه وآله قال: لو لم يخلق علي ما كان لفاطمة كفو[3].

٣٣ـ في البحار عن المناقب: ابن عباس وابن مسعود وجابر والبراء وأنس وأم سلمة والسدي وابن سيرين والباقرعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **وهو الذي خلق من الماء بشراً**

---

(١) شرح الأخبار ٣/ ٨٥.
(٢) البحار ٤٠ / ١٦.
(٣) البحار ٤٠ / ٧٧.

فجعله نسباً وصهراً﴾[1] قالوا: هو محمد وعلي والحسن والحسين، **﴿ وكان ربك قديراً﴾** القائم في آخر الزمان لأنه لم يجتمع نسب وسبب في الصحابة والقرابة إلا له فلأجل ذلك استحق الميراث بالنسب والسبب[2].

٣٤ـ أقول روى بعض مؤلفي أصحابنا عن هشام بن عروة عن أم سلمة أنها قالت: رأيت رسول الله يلبس ولده الحسين حلة ليست من ثياب الدنيا، فقلت له: يا رسول الله ما هذه الحلة؟ فقال: **«هذه هدية أهداها إلي ربي له، وإن لحمتها من زغب جناح جبرئيل، وها أنا ألبسه إياها وأزينه بها، فإن اليوم يوم الزينة وإني أحبه»**[3].

٣٥ـ وروي في مؤلفات بعض الأصحاب عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ذات يوم ودخل في إثره الحسن والحسين وجلسا إلى جانبيه، فأخذ الحسن على ركبته اليمنى والحسين على ركبته اليسرى، وجعل يقبل هذا تارة وهذا أخرى، وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: **«يا رسول الله إنك لتحب الحسن والحسين!»** فقال: **«وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا وقرتا عيني»**.

فقال جبرئيل: **«يا نبي الله إن الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له»**.

فقال: **«وما هو يا أخي؟»**

فقال: **«قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً، وإن لكل نبي دعوة مستجابة، فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسين، فادع الله أن يسلمهما من السم والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة»**.

فقال النبي: **«يا جبرئيل أنا راض بحكم ربي، لا أريد إلا ما يريده، وقد أحببت**

---

(١) سورة الفرقان : ٥٤.
(٢) البحار ٤٣ / ١٠٦.
(٣) البحار ٤٣ / ٢٧١.

أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي، ويقضي الله في ولدي ما يشاء»[1].

٣٦ـ جاء في البحار: ووجدت في بعض الكتب أنهعليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة رضى الله عنها فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء.

فقال لها: «**يا أماه وأنا والله أعلم ذلك وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حفرتي ومضجعي**»، ثم أشارعليه السلام إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده.

فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً وسلّمت أمره إلى الله، فقال لها: «**يا أماه قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً**»[2].

٣٧ـ في المناقب عن الحسن البصري وأم سلمة: أن الحسن والحسين دخلا على رسول اللهصلى الله عليه وآله وبين يديه جبرئيل، فجعلا يدوران حوله يشبهانه بدحية الكلبي، فجعل جبرئيل يومئذ بيده كالمتناول شيئاً فإذا في يده تفاحة وسفرجلة ورمانة فناولهما، وتهلّلت وجوههما وسعيا إلى جدّهما، فأخذ منهما فشمها، ثم قال: «**صيرا إلى أمكما بما معكما، وبدوكما بأبيكما أعجب**»، فصارا كما أمرهما فلم يأكلوا حتى صار النبي إليهم، فأكلوا جميعاً، فلم يزل كلما أكل منه عاد إلى ما كان

---

(١) البحار ٤٠ / ٢٤١.

(٢) البحار ٤٠ / ٢٤١.

حتى قبض رسول الله ﷺ، قال الحسين عليه السلام: **«فلم يلحقه التغيير والنقصان أيام فاطمة بنت رسول الله حتى توفيت، فلما توفيت فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيام أبي، فلما استشهد أمير المؤمنين فقد السفرجل، وبقي التفاح على هيئته عند الحسن حتى مات في سمه، وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء فكنت أشمها إذا عطشت فيسكن لهب عطشي، فلما اشتد علي العطش عضضتها وأيقنت بالفناء»**.

قال علي بن الحسين عليه السلام: **«سمعته يقول ذلك قبل مقتله بساعة، فلما قضى نحبه وجد ريحها في مصرعه، فالتمست فلم ير لها أثر فبقي ريحها بعد الحسين عليه السلام، ولقد زرت قبره فوجدت ريحها يفوح من قبره، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فليلتمس ذلك في أوقات السحر فإنه يجده إذا كان مخلصاً»**[1].

وقال في هذا المعنى أحد شعراء الولاء الشيخ فرج المادح:

هلا شممت روائح التفاحِ	سحراً بقبة خامس الأشباحِ

٣٨ـ عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عما يتحدث الناس أنه دفعت إلى أم سلمة صحيفة مختومة؟

فقال: إن رسول الله ﷺ لما قبض ورث علي عليه السلام علمه وسلاحه وما هناك، ثم صار إلى الحسن عليه السلام، ثم صار إلى الحسين عليه السلام، فلما خشينا أن نغشى استودعها أم سلمة، ثم قبضها بعد ذلك علي بن الحسين عليه السلام.

قال: فقلت: نعم ثم صار إلى أبيك ثم انتهى إليك وصار بعد ذلك إليك؟

قال: نعم[2].

٣٩ـ عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ قالت: ما سمعت نوح الجن منذ قبض النبي إلا الليلة، ولا أراني إلا وقد أصبت بابني.

---

(١) البحار ٤١ / ٩١.
(٢) الكافي ١ / ٢٣٥.

قال: وجاءت الجنية منهم تقول:

ألا يــا عـين فـانهملي بـجهدي فمن يبكي على الشهداء بعدي

عــلى رهــط تـقودهم المـنايا إلى متجبر فـي مـلك عـبد[1]

(١) البحار ٤١/ ٢٣٨.



الفصل الثالث

الأحاديث الموضوعة

حينما نصل إلى هذا الموضع من الكتاب نعرف بأن السيدة الجليلة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من النساء المواليات لأهل البيت عليهم السلام، بل من المخلصات في ولائهن لهم عليهم السلام، والمتفانيات في عقيدتهن، كما يظهر ذلك من مجموع الروايات التي روتها عن الرسول صلى الله عليه وآله في حقهم عليهم السلام، ومن المواقف الكثيرة التي وقفتها للدفاع عنهم عليهم السلام، ولسنا بحاجة إلى أن ندلل على ذلك بعد ما قرأنا تأريخها المجيد من بداية مسيرتها في ظل الإسلام إلى يوم وفاتها رضي الله تعالى عنها.

فلهذا اتخذ بعض أعداء أهل البيت عليهم السلام اسمها ورقة لألاعيبهم وأكاذيبهم[1]، لكي يمرروا لعبتهم من خلال ذلك على من ليس له معرفة بالتأريخ الإسلامي، فرووا عن الرسول صلى الله عليه وآله روايات باسمها، وجعلوها الواسطة في النقل وهي بريئة مما نسب إليها براءة الذئب من دم يوسف، كما أن الرسول صلى الله عليه وآله يبرأ مما نسب إليه أيضاً فيما يخص ذلك.

فنحن لا نشك في وضعها على لسانها رضي الله عنها، وذلك بعد أن نعرضها على كتاب الله سبحانه وتعالى، أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله الصحيحة، أو بعد أن نعرضها على ميزان النقد الداخلي للنص.

وهذه الروايات هي كالتالي:

---

(١) أفاد سيدنا الأستاذ آية الله العظمى السيد محمد علي الموحد الأبطحي دام ظله في مجالس متفرقة وبمناسبات مختلفة: أن رواة أهل السنة يروون كثيراً من الروايات التي تخالف ما عليه الشيعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام ويسندونها إلى الرسول صلى الله عليه وآله برواية أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم لا يروون عن الإمام الصادق أو الباقر عليهما السلام في الأمور المتفق عليها، ولكن يروون عنهما ما يخالف مذهب الشيعة، وبالأحرى ما يخالف مذهبهما مما رواه شيعتهم، وربما يروون الرواية غير المقبول معناها عندنا عن الإمام علي عليه السلام، وما ذاك منهم إلا عناداً للحق وما عليه الشيعة، وفي ظنهم انهم يدحضون بذلك حجتهم.

(١)

عن أم سلمة زوج النبيﷺ أن الحارث بن هشام أتى النبيﷺ يوم حجة الوداع فقال: يا رسول الله إنك تحث على صلة الرحم، والإحسان إلى الجار، وإيواء اليتيم، وإطعام الضيف، وإطعام المسكين، وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة، فما ظنك به يا رسول الله؟

فقال رسول اللهﷺ: كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جذوة من النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه إلي فجعله في ضحضاح من النار[١].

في البدء لابدّ أن نلاحظ أولاً سند الحديث لنرى مقدار ما عليه من الصدق، ثم نتكلم حول متنه، أما السند فقد علّق الهيثمي عليه بقوله:

رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو منكر الحديث لا يحتجون بحديثه وقد وثق.

وفي سند الطبراني غير من ذكره الهيثمي ممن رمي بالضعف من قبل علماء أهل السنة، كعمرو بن ثابت، فالملاحظ أن في ضمن سلسلة السند من لا يحتج بحديثه عندهم، وهذا المقدار يكفي لسقوط الرواية عن الاعتبار.

ولا يهمنا الآن البحث في السند بمقدار ما يهمنا البحث في المتن والدلالة، لأن حديث الضحضاح رووه في صحاحهم، كالبخاري ومسلم، ونسبوا الرواية إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، تأييداً لما نقلناه عن السيد الأبطحي حفظه الله في الهامش.

وهذه الرواية التي نحن بصددها رووها عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وهو من سادات المسلمين وعلماء أهل البيتعليهم السلام كما جاء في كتاب

---

(١) المعجم الكبير ٢٣ / ٤٠٥، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١: ١١٨.

المجروحين[١]، وإنما يفعلون ذلك إمعاناً في الحقد على أمير المؤمنين عليه السلام، كما أن عمرو بن ثابت إنما ضعف عندهم لطعنه على السلف كما جاء في صحيح مسلم: (وقال محمد سمعت علي بن شقيق يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف)[٢].

ولا يخفى أن التعبير بـ(سب السلف) فيه كثير من الإيهام والإبهام والأوهام، فربما أطلقوه على من روى حديثاً أو موقفاً يحكي عن مطعن في أحد رجالات السلف وإن كان ذلك الحديث أو الموقف ثابتاً وصحيحاً، لأنهم لا يريدون ذكر ما فيه شائبة الطعن على من أخذوا عنه معالم دينهم، لكيلا ينقض أساس بنيانهم من تحت.

فلنتجاوز البحث السندي ونأتي إلى المتن لنعرف أن ذيل الحديث ـ على فرض ثبوت أصل هذا الحديث ـ قد أقحم إقحاماً، فالراوي أراد أن يدس السم في العسل فأتى بقوله: (وقد وجدت عمي..)، ويمكن أن يشير إلى هذا الدس حديث آخر لأم سلمة فقد قالت:

قلت: يا رسول الله إن عمي هشام بن المغيرة كان يطعم الطعام، ويصل الرحم، ويفعل ويفعل، فلو أدركك أسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كان يعطي للدنيا وحمدها وذكرها، وما قال يوماً قط اللهم اغفر لي يوم الدين[٣].

فإن أم سلمة عندما سألت عن عمها هشام لم يكن في جواب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعريض لعمه أبي طالب عليه السلام، بل بيّن الوجه في عدم استفادة هشام مما صنعه في الجاهلية: بأنه إنما فعل ذلك للدنيا وحمدها.

---

(١) جاء في كتاب المجروحين ٢ / ٣: عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي، أمه زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب، يروي عن ابن عمر وجابر، روى عنه ابن عجلان والثوري وزهير بن معاوية، وكان عبد الله من سادات المسلمين، من فقهاء أهل البيت وقرانهم، إلا أنه كان رديء الحفظ..

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٦.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١: ١١٨.

ومع غض النظر عن ذلك فيدلنا على إقحام هذه الزائدة الدودية ما يدلنا على إيمان أبي طالب عليه السلام من الأدلة الكثيرة، فصاحب قبره يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا تنطبق عليه القاعدة المذكورة في كلام الرسول صلى الله عليه وآله، أعني: (كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جذوة من النار).

ورمي أبي طالب عليه السلام بالكفر إنما نشأ في زمان الأمويين الذين أرادوا الإساءة إلى الإمام علي عليه السلام بأي وسيلة حصلت، وأعانهم على ذلك رواة لا دين لهم إلا الدرهم والدينار، فرووا ما شاء الله من الأحاديث، وقد تعرضنا إلى بعض ذلك فيما مضى من أبحاث.

وقد بحث علماؤنا مسألة إيمان أبي طالب عليه السلام بجميع أبعادها فأثبتوا كذب دعوى موته على الكفر جملة وتفصيلاً، وقد ألفت في ذلك مؤلفات كثيرة، وتابعهم في هذا الرأي جملة من علماء أهل السنة أيضاً، وبما أن الكتاب لم يوضع لذلك فسوف نومي إلى بعض الأدلة الدالة على إيمان شيخ البطحاء إيماء، بل أنه لم يكن مشركاً فأسلم، وإنما كان على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين.

والأدلة على ذلك كثيرة منها:

الدليل الأول: أشعاره التي يصرح فيها بإيمانه بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وأنه كالنبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام، مرسل من قبل الله سبحانه وتعالى، وسوف نقتطع من كل قصيدة أو مقطوعة محل الشاهد روماً للاختصار.

فمنها ما أرسله إلى النجاشي في شأن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين:

ليعلم خيار الناس أن محمداً ... وزير لموسى والمسيح بن مريمِ

أتانا بهدي مثل ما أتيا به ... فكلٌّ بأمر الله يهدي ويعصم

وإنكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث مبرجم[(١)]

ومنها:

أمين حبيب في العباد مسوّمٌ ... بخاتم ربّ قاهر في الخواتمِ

يرى الناس برهاناً عليه وهيبة ... وما جاهل في قومه مثل عالم

نبيٌ أتاه الوحي من عند ربه ... ومن قال: لا، يقرع بها سنّ نادم[(٢)]

ومنها ما قاله في أمر الصحيفة:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً ... رسولاً كموسى خُطّ في أول الكتبِ

وانّ عليه في العباد محبةً ... ولا حيف في من خصّه الله بالحبّ[(٣)]

ومنها:

على ما مضى من بغيكم وعقوقكم ... وغشيانكم في أمرنا كلّ مأثمِ

وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى ... وأمر أتى من عند ذي العرش قيّمِ[(٤)]

ومنها وهو يخاطب النبي ﷺ:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقرّ منك عيونا

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد دعوت وكنت ثمّ أمينا

---

(١) المستدرك ٢ / ٦٢٣، راجع الغدير ٧ / ٣٣١، وسوف ننقل الأشعار عن الغدير فمن شاء فليراجع، وسوف نكتب المصدر الذي اعتمده في ذيل الأبيات فالتفت إلى ذلك.

(٢) ديوان أبي طالب ص ٣٢، وشرح ابن أبي الحديد ٣ / ٣١٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٣٧٣، شرح ابن أبي الحديد ٣ / ٣١٣، بلوغ الارب ١ / ٣٢٥، خزانة الأدب للبغدادي ١ / ٢٦١، الروض الانف ١ / ٢٢٠، تاريخ ابن كثير ٣ / ٨٧، أسنى المطالب ص ٦، ١٣، طلبة الطالب ص ١٠.

(٤) ديوان أبي طالب ص ٢٩، شرح ابن أبي الحديد ٣ / ٣١٢.

ولقـد عـلمت بـأن ديـن محمد — مـن خـير أديـان البرية ديـنا[١]

قال صاحب الغدير: رواها الثعلبي في تفسيره وقال: قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل، وعبد الله بن عباس، والقسم بـن مـحضرة، وعطاء بن دينار، ثم ساق مصادر الشعر[٢].

ومنها:

نصرت الرسول رسول المـليك — بـبيض تـلالا كـلمع البـروقِ

أذبُّ وأحـمي رسـول الإله — حـماية حـام عـليه شفيقِ[٣]

ومنها:

إنَّ عـليّاً وجـعفراً ثـقتي — عـند مـلمِّ الزمـان والنوبِ

لا تخذلا وانصرا ابن عـمّكما — أخي لأمي من بينهم وأبي

والله لا أخـذل النـبيّ ولا — يخذله من بنيَّ ذو حسبِ[٤]

ومنها وهو يخاطب سيد الشهداء الحمزة:

فـصبراً أبـا يـعلى عـلى ديـن أحـمد — وكـن مـظهراً للـدين وفّـقت صـابرا

وحط من أتى بالحق مـن عـند ربـه — بـصدق وعـزم لا تكـن حـمزُ كـافرا

فـقد سـرّني إذ قـلت: إنّك مؤمن — فكن لرسول الله فـي الله نـاصرا

وبـاد قـريشاً بـالذي قـد أتـيته — جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحرا[٥]

ومنها قصيدته العصماء المطولة اللامية التي مطلعها:

---

(١) خزانة الأدب ١ / ٢٦١، تاريخ ابن كثير ٣ / ٤٢، شرح ابن أبي الحديد ٣ / ٣٠٦، تاريخ أبي الفداء ١ / ١٢٠، فتح الباري ٧ / ١٥٣، ١٥٥، الاصابة ٤ / ١١٦، السيرة الحلبية ١ / ٣٠٥، إلى غير ذلك كثير.

(٢) الغدير ٧ / ٣٣٤.

(٣) ديوان أبي طالب ص ٢٤.

(٤) ديوان أبي طالب ص ٣٦، وشرح ابن أبي الحديد ٣ / ٣١٤.

(٥) أسد الغابة ١ / ٢٨٧، شرح النهج ٣ / ٣١٥، الإصابة ٤ / ١١٦، السيرة الحلبية ١ / ٢٨٦.

خليليّ ما أذني لأولّ عاذلٍ ... بصغواء في حق ولا عند باطلِ

قال صاحب الغدير: وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه ٣ / ٥٣ ـ ٥٧، وقال ص ٥٧: قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلاّ من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات أخر والله أعلم[1].

إلى غير ذلك من الأشعار المذكورة في الديوان وغيره من كتب التأريخ والسيرة والأدب، مما يصرح فيها بإيمانه بالنبيﷺ ورسالته الإسلامية، ويدافع عنهما حد الموت، ويرد على دعاوى المشركين واتهاماتهم الموجّهة للرسولﷺ.

وتصريح الإنسان بنفسه عن ما يكنه داخل قلبه خير طريق إلى إثبات دعواه، لا سيما إذا كانت الظروف عكسية، يعني ربما يصرح الإنسان بخلاف ما يعتقد إذا كان تصريحه بما يعتقد مضراً له، أو لم يكن يأتي له بخير، أو كان تصريحه بخلاف ما يعتقد مما يجلب له المصلحة، وهو أمر متسالم على فعله عند العقلاء، وربما ألزموا صاحب الموقف على القيام به، ولاموه عند امتناعه، ومن المستبعد من العاقل أن يصرح بما يدخله في الضرر وهو يؤمن به، فكيف يصرح به وهو لا يؤمن به؟!

وأن تصريح شيخ البطحاء بإيمانه أمام الملأ من كفار قريش وهو سيد البطحاء ربما يدخله في الضرر، ولا أقل من سلب مصلحته الشخصية من بين يديه، فالسكوت عن ذلك أولى له فأولى، وكان عليه أن لا يصرح بإيمانه وهو مؤمن والحال هذه، فما باله يصرح بإيمانه وهو غير مؤمن؟! أيعقل صدور ذلك من رجل عاقل وحكيم؟! أيعقل أن يصرح بما فيه خطر عليه وهو لا يعتقد به ؟! كلاّ .. وألف كلاّ وهو ربّ الحكمة والحجى.

---

(١) الغدير ٧ / ٣٤٠.

فتصريحات شيخ البطحاء بإيمانه ووقوفه مع النبيﷺ في مسيرته الإسلامية بكل قوة دليل واضح على إيمانه العميق بما جاء به الرسول محمدﷺ، ولا ينكر ذلك إلا من أبت نفسه إلا العناد والوقوف أمام الحق وجهاً لوجه.

الدليل الثاني: مواقفه المشرفة.

وهي كثيرة ونستعرض بعضاً منها:

١ـ ما أخرجه فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه (نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول ـ بإسناده عن طاووس عن ابن عباس في حديث طويل، وفيه: إن الله لما أمر الرسولﷺ بإظهار دعوته ذهب إلى عمه العباس وأخبره فأشار عليه أن يأتي إلى عمه أبي طالب، ولما أتياه وأخبراه قال أبو طالب: أخرج ابن أبي فإنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلقك لسانٌ إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلّنّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ولقد قال: إن من صلبي لنبيّاً لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به[١].

أتراه يقف هذا الموقف في أول الدعوة، ويروي هذه الرواية في مبدأ البعثة مؤيداً للرسولﷺ بها وهو لا يمشي عليها؟! إن هذا إلا شيء عجاب!

ثم إن هذا القول من أبي طالبعليه السلام قد شفعه بالعمل ما وجد لذلك سبيلاً، فلم يهن ولم ينكل في جميع المواقف التي تعرض لها الرسولﷺ، وتعرضت لها دعوته المباركة.

٢ـ قوله لابنه الإمام عليعليه السلام: يا بني الزم ابن عمك فإنّك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل[٢].

---

(١) الغدير ٧ / ٣٤٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣ / ٣١٤، وبلفظ آخر رواه كل من سيرة ابن هشام ١ / ٢٦٥، تاريخ الطبري ٢ / ٢١٤، عيون الأثر ١ / ٩٤، الإصابة ٤ / ١١٦، أسنى المطالب ص ١٠، راجع الغدير ٧ / ٣٥٥.

٣ـ قوله لابنه جعفر: صل جناح ابن عمك، وذلك عندما رأى النبيﷺ يصلي وعليعليه السلام يصلي عن يمينه[١].

الدليل الثالث: وصيته الخالدة حين موته.

عن الكلبي قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعني الكعبة)، فإن فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق ففيها هلكة القرون قبلكم، أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل فإنّ فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإنّ فيهما محبّة في الخاص، ومكرمة في العام.

وإنّي أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش، والصّدّيق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم بهن وقد جاءنا بأمر قَبِله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأنّي أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش! ابن أبيكم، كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد بهديه إلا سعد، ولو كان

---

(١) الغدير ٧ / ٣٥٧.

لنفسي مدّة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي[١].

وفي هذه الوصية من معاني الخير، ومُثُل الإسلام ما لا يدركه إلا ذو حظ عظيم في العلم والمعرفة الإلهية، ولا يدين به إلا من محض الإيمان محضاً، وأعطي عقلاً مباركاً نيّراً، ومن غير المعقول صدور مثل هذه الحِكَم والوصايا من رجل عاش عقله ووهن عظمه في الكفر والضلال، والشرك والإلحاد، فهي لا تصدر إلا من قلب سليم، وعقل مستقيم، لم تدنسه الجاهلية الجهلاء، ولم تشرك فيه فتن الأهواء، وإن هذه الوصية الخالدة تحتاج إلى دراسة مستقلة، وبحث مختص، حتى يبين مقاصدها، وما احتوت عليه من ودائع الحكمة، وجواهر المعاني.

دع عنك ما صرح به في الأخير من إيمانه بنبوة ابن أخيه محمد بن عبد الله ﷺ، وعلّل إخفاء إيمانه في ما مضى من عمره الشريف بأخصر القول وأبلغه: (مخافة الشنآن)، فهي من قبيل ﴿ **وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾.

وعلق صاحب الغدير بقوله: في هذه الوصية الطافحة بالإيمان والرشاد دلالة واضحة على أنه عليه السلام إنما أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الآونة التي يأس فيها عن الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لانثيالهم عنه المؤدي إلى ضعف المنّة وتفكك القوى، فلا يتسنى له حينئذ الذب عن رسول الله ﷺ وإن كان الإيمان به مستقراً في الجنان من أول يومه، لكنه لما شعر بأزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجنته أضالعه فأوصى بالنبي ﷺ بوصيته الخالدة.

ولعل مراد الشيخ الأميني من التصديق باللسان هو التصريح الواضح بانتمائه لدعوته ﷺ، وإلا فأبو طالب صرح في شعره ومواقفه بإيمانه بالرسول ﷺ، بل هو داعية للإسلام أيضاً كما في شعره للنجاشي، مضافاً إلى أنه راوية لحديثه ﷺ.

---

(١) الغدير ٧ / ٣٦٦، نقلها عن: الروض الأنف ١ / ٢٥٩، المواهب ١ / ٧٢، تاريخ الخميس ١ / ٣٣٩، ثمرات الأوراق هامش المستطرف ٢ / ٩، بلوغ الارب ١ / ٣٢٧، السيرة الحلبية ١ / ٢٧٥، السيرة لزيني دحلان هامش الحلبية ١ / ٩٣، أسنى المطالب ص٥.

الدليل الرابع: كلمة الإمام السجاد عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: روي عن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن إيمان أبي طالب عليه السلام فقال: واعجباً إنّ الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى الممات[1].

الدليل الخامس: كلمة الإمام الباقر عليه السلام.

سئل عليه السلام عن ما يقوله الناس أن أبا طالب في ضحضاح من نار فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه، ثمّ قال: ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وابنه وأبي طالب في حياته ثمّ أوصى في وصيته بالحج عنهم[2].

ونكتفي بهذا المقدار ففيه الكفاية وفوق الكفاية لمن أراد الحق واتباعه، وليعلم أننا في هذا البحث قد اعتمدنا على ما سطرته يراعة العلامة الأميني في غديره، ومن أراد زيادة في الاطلاع فعليه بذلك المورد العذب ففيه ما يروي الغليل ويشفي العليل، فرحمه الله رحمة الأبرار.

---

(١) الغدير ٧/ ٣٨٠.

(٢) الغدير ٧ / ٣٨٠.

(٢)

عن أم سلمة قالت: قال النبي ﷺ: **«من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً»**، قال: فبلغ ذلك عمر فأتاها يشتد، أو يسرع فقال: أنشدك الله أنا منهم؟ قالت: لا ولا أبرأ بعدك أحداً أبداً[١].

قال الهيثمي: (وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة يخطىء).

ورواها الشيخ المفيد بسنده إلى شقيق عن أم سلمة زوج النبي ﷺ بهذا النحو: قال: دخل عليها عبد الرحمن بن عوف فقال: يا أمه قد خفت أن تهلكني كثرة مالي، أنا أكثر قريش مالاً، قالت: يا بني فأنفق فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه»**.

قال: فخرج عبد الرحمن فلقي عمر بن الخطاب فأخبره بالذي قالت أم سلمة، فجاء يشتد حتى دخل عليها فقال: يا أمه أنا منهم؟ فقالت : لا أعلم ولن أبرأ بعدك أحداً[٢].

ولنا وقفة إشارة على مثل هذا الحديث: فإن القوم رووا حديث العشرة المبشرة بالجنة وفيهم (عمر) فما باله جاء مسرعاً ليطمئن على نفسه؟!

ثم إن أم سلمة لم تذكر أنها تعرفهم، بل قالت: من أصحابي.. فهي تحكي قول الرسول ﷺ، فما باله جاء مسرعاً ليسألها عن نفسه؟!

---

(١) مجمع الزوائد ١ / ١١٢.

(٢) أمالي المفيد ص ٣٨.

(٣)

وعن عائشة قالت: كانت عندنا أم سلمة فجاء النبيﷺ عند جنح الليل، قالت: فذكرت شيئاً صنعه بيده، وجعل لا يفطن لأم سلمة، قالت: وجعلت تومىء إليه حتى فطن، قالت أم سلمة: أهكذا الآن، أما كان واحدة منا عندك إلا في خلائه (خلابة) كما أرى، وسبت عائشة، فجعل النبيﷺ ينهاها فتأبى، فقال النبيﷺ: **«سبيها، فسبتها حتى غلبتها»**.

فانطلقت أم سلمة إلى علي وفاطمة فقالت: إن عائشة سبتها، وقالت لكم، وقالت لكم، فقال علي لفاطمة: اذهبي إليه فقولي له: إن عائشة قالت لنا، وقالت لنا.

فأتته فذكرت ذلك له فقال لها النبيﷺ: **«إنها حبة أبيك وربِّ الكعبة»**، فرجعت إلى علي فذكرت له الذي قال لها.

فقال: أما كفاك إلا أن قالت لنا عائشة وقالت لنا حتى أتتك فاطمة فقلت لها: إنها حبة أبيك ورب الكعبة[١].

قال الهيثمي: رواه أبو داود غير أنه جعل مكان أم سلمة زينب بنت جحش وهو أيضا أخصر من هذا والله أعلم بالصواب، رواه أحمد وفيه علي بن زيد وفيه ضعف وحديثه حسن[٢].

ومع غض النظر عن سند هذا الحديث فالحديث غير قابل للقبول أصلاً، وذلك بملاحظة النقد الداخلي للنص، وما هو إلا من مخترعات الناصبة الذين آلوا على أنفسهم إلا أن يسيئوا لأهل البيتعليهم السلام بما فيهم النبيﷺ، وعدم قبوله لأمور لا تخفى على العاقل فضلاً عن العالم وهي:

الأول: ورد في الحديث: (فذكرت شيئاً صنعه بيده، وجعل لا يفطن لأم سلمة).

ولا ندري أين كانت أم سلمة مختبئة بحيث غابت عن نظر الرسولﷺ فلم

---

(١) مسند احمد ٦ / ١٣٠، الحديث رقم: ٢٥٠٣٠. (٢) مجمع الزوائد ٤ / ٣٢١.

يفطن لها وهي تراه وتفطن إليه، وهل يخفى وجودها على الرسولﷺ وهو المسدد بالوحي الإلهي، وفي بيت لم يتسع إلا بضعة أذرع ؟!

الثاني: اعتراض أم سلمة ـ على فرض حصول مثل هذا الأمر منهﷺ ـ غير متوقع منها، فقد مرّ علينا أدبها مع الرسولﷺ واحترامها له، ومرّ أيضاً أن الرسولﷺ قد دعا بذهاب الغيرة منها، وهذا الاعتراض لا يحصل إلا ممن ركبتها الغيرة إلى قمة الرأس وهو غيرها، فكيف حصل منها وقد أذهب الله عنها الغيرة؟!

الثالث: إن صدور السباب من أم سلمة في حضرة الرسولﷺ غير معقول منها أيضاً، فقد عرف عنها الاحترام البالغ للرسولﷺ كما قدمنا، والإيمان العميق الذي يمنعها من الإقدام على مثل هذا العمل حيث كانت، فضلا عن كونها في محضر الرسولﷺ.

الرابع: لو فرضنا صدور السب من أم سلمة فهل يعقل أن يأمر الرسولﷺ عائشة بسب أم سلمة؟! وهو القائل: «**سباب المسلم فسوق**»[1]، وهو صاحب الخلق العظيم، والقائل: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[2]، و«**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[3]؟!

فهل ترى الرسولﷺ يعالج الأمر القبيح بقبيح مثله؟! أفهل أعجزه الأسلوب الحسن في هذا الموقف بالذات؟! أما أنا فأقول: حاشاه من كل ما فيه شائبة الباطل.

الخامس: إن الرواية اتهمت أم سلمة بالكذب، والبهتان، والنميمة، حيث ذهبت إلى الإمام عليعليه السلام والسيدة الزهراءعليها السلام وقالت لهما: إن عائشة قالت لكم وقالت لكم، ولم تتعرض الرواية إلى أن عائشة قالت في علي وفاطمةعليهما السلام في هذا الموقف كلاماً غير محمود، بل لا مناسبة للتعرض لهماعليهما السلام!

---

(١) البحار ٧٧ / ٩١، سنن ابن ماجة ٢ / ١٢٩٩. (٢) البحار ٧١ / ٣٨٢.

(٣) البحار ٧١ / ٣٨٢.

ولا يخطر في ذهن أحد من المسلمين أن ترتكب أم سلمة هذه الذنوب الكبيرة وهي المرأة التي لا يشك في فضلها وإيمانها.

ولا يخطر في ذهن أحد من المسلمين أن تتكلم عائشة في علي وفاطمة عليهما السلام في محضر الرسول صلى الله عليه وآله ثم لا يردعها صلى الله عليه وآله، وقد ردعها في أقل من ذلك كما أسلفنا في حديث أم سلمة معها.

السادس: ردّ الرسول صلى الله عليه وآله على ابنته بهذا الأسلوب الجاف، وقد عرف حبه العميق لها، وأنها أحب خلق الله إليه باعتراف عائشة نفسها كما سيأتي، وأنها سيدة نساء العالمين، وأنها من الذين أذهب الله عنهم الرجس، وكان يكفي في الجواب لها أن يقول صلى الله عليه وآله: إن عائشة لم تقل ذلك.

السابع: مواجهة الإمام علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله بهذه المواجهة خلاف ما يتمتع به الإمام علي عليه السلام من أخلاق إسلامية، واحترام للرسول صلى الله عليه وآله لا يفوقه احترام، وخلاف سيرته منذ تربى في حضن الرسول صلى الله عليه وآله وإلى أن اختار الله لرسوله دار كرامته، مضافاً إلى إيمانه العميق بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله، ومعرفته بأنه ﴿ **ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾.

فلهذه الأمور نجزم جزماً لا يشوبه أدنى شك أو ارتياب بأن هذه الرواية من الموضوعات التي اخترعتها ذهنية النواصب، ومن لم يدخل الإيمان في قلبه، فإنها تسيء إلى الرسول صلى الله عليه وآله قبل كل أحد، أعاذنا الله من زلل الفكر وبغي القلم، وشرّ كل حاسد إذا حسد.

(٤)

بعثني عبد الله بن عمرو إلى أم سلمة سلها: أكان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم؟ فإن قالت: لا، فقل: إن عائشة تخبر الناس أنه كان يقبل وهو صائم، فقالت: لعله أنه لم يكن يتمالك عنها حباً أما إياي فلا[١].

وهذا الحديث يتنافى مع ما رواه البخاري عن زينب بنت أم سلمة: وحدثتني (تعني أمها): أن النبي ﷺ: **«كان يقبلها وهو صائم»**...[٢].

ورواه ابن القيم عن عمر بن أبي سلمة في اعلام الموقعين[٣].

ورواه الطبراني أيضاً في المعجم الأوسط ٥/ ٨١.

ونحن وإن كان عندنا تأمل في تقبيل الرسول ﷺ وهو صائم، فإن ذلك من المكروهات إلا أن يقوم به الرسول ﷺ لبيان الحكم الشرعي بالجواز لكيلا يتوهم الناس حرمته، ولكن الهدف من ذكر هذه الروايات نفي ما نسب إلى أم سلمة من قولها بأن الرسول ﷺ لا يتمالك حباً لعائشة.

ثم إن التعبير بـ(لا يتمالك) فيه شيء من الحساسية النكراء، إذ يشعر بأن الأمر الذي قام به الرسول ﷺ لم يكن له ما يبرره إلا عدم التمالك، وهذا عذر قبيح لا يمكن أن ننسبه إلى الرسول ﷺ، لأنه يعني أن الرسول ﷺ لم يستطع أن يخالف هواه في أمر لا يريده الله، ونعوذ بالله من أن ننسب مثل هذا إلى الرسول ﷺ.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢ / ١٧٢، المعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ٣٤٠ ح ٧٨٩.

(٢) البخاري الحديث: ٣١١.

(٣) إعلام الموقعين ابن قيم ج ٢ جزء ٤ ص ٢٩٤.

(٥)

عن بن أبي مليكة أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها سمعت الصرخة على عائشة فقالت لجارية: اذهبي فانظري، فجاءت فقالت: وجبت، فقالت أم سلمة: والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباها[١].

وعن أم سلمة أنها قالت يوم ماتت عائشة: اليوم مات أحب شخص كان في الدنيا إلى رسول الله ﷺ، ثم قالت: أستغفر الله ما خلا أباها[٢].

قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

ونحن عندما نريد أن نبحث عن صحة هذا الحديث أو سقمه علينا أن نعرضه على الروايات الأخرى التي بينت فضل الإمام علي عليه السلام وسيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومنزلتهما عند الرسول ﷺ، لنلاحظ أنهما الأحب إليه من كل أحد، ويكفي أن نقرأ المحاورة التي دارت بين أم سلمة وبين عائشة لنعرف أي العلاقتين أقوى، علاقة الرسول ﷺ بالإمام علي عليه السلام أم علاقته ﷺ بأبي عائشة، وقد تقدمت في موضع سابق فراجعها، وعلينا أن نقرأ حديث المؤاخاة المشهور بين الفريقين لنعرف صاحب الصلة الحميمة بالرسول ﷺ.

ومن ذلك ما روته أم سلمة في ما تقدم عنها: هذا أخي، وابن عمي، وأحب الخلق إلي..

وما روته هي وغيرها أن السيدة الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين، أو سيدة نساء أهل الجنة، ومن غير المعقول أن تكون الأحب إلى قلب الرسول ﷺ امرأة لم تكن سيدة للنساء وابنته سيدة النساء موجودة أمام عينيه.

وإن شئت فاقرأ هذه الرواية التي روتها عائشة نفسها، فقد روى الثعلبي في

---

(١) المستدرك ٤ / ١٥.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ٢٤٢، المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ الزبير بن بكار ٢ / ٣٨.

تفسيره بسنده إلى العوام بن حوشب، حدثني ابن عم لي من بني الحارث بن تيم الله يقال له مجمع قال: دخلت مع أمي على عائشة فسألتها عن عليعليه السلام فقالت: سألتني عن أحب الناس كان إلى رسول اللهﷺ..[١].

واقرأ ما رواه الحاكم في مستدركه، وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإليك محل الشاهد من الحديث:

قال حدثني أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: ثم كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي فقالا لي: يا أسامة استأذن لنا على رسول اللهﷺ، فدخلت على النبيﷺ فاستأذنته فقلت له: إن العباس وعلي يستأذنان، قال: هل تدري ما حاجتهما؟ قلت: لا والله ما أدري، قال: لكني أدري، ائذن لهما، فدخلا عليه فقالا: يا رسول الله! جئناك نسألك أي أهلك أحب إليك؟ قال: أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد..[٢].

وأخيراً نختم بهذه الرواية الصحيحة: عن جميع بن عمير قال: ثم دخلت مع أمي على عائشة فسمعتها من وراء الحجاب وهي تسألها عن علي فقالت: تسألني عن رجل والله ما أعلم رجلاً كان أحب إلى رسول اللهﷺ من علي، ولا في الأرض امرأة كانت أحب إلى رسول اللهﷺ من امرأته.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٣].

وبهذا يتضح سبب وضع مثل هذه الرواية.

---

(١) العمدة لابن البطريق / ص٢٣، ٤٠، نقلاً عن تفسير الثعلبي.

(٢) المستدرك ٢ / ٤٥٢.

(٣) المستدرك ٣ / ١٦٧.

(٦)

عن خارجة بن عبد الله عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: **«إن في السماء ملكين أحدهما يأمر بالشدة والآخر يأمر باللين وكل مصيب، جبريل وميكائيل، ونبيان أحدهما يأمر باللين والآخر يأمر بالشدة وكل مصيب، وذكر إبراهيم ونوحاً، ولي صاحبان أحدهما يأمر باللين والآخر بالشدة وكل مصيب، وذكر أبا بكر وعمر»**[١].

والملاحظ على هذا الحديث:

أولاً: أن الواقعة الواحدة لا تحتاج إلا إلى حلٍ واحد فقط، فإما أن تكون الحكمة في اللين فالأمر بالشدة خلاف الحكمة، وإما أن تكون الحكمة في الشدة فيكون اللين على خلافها، فجعل الإصابة في الأمرين غير معقول، فلا يصدر من الرسول ﷺ.

نعم إذا تعدد الزمان أو المكان فالحكمة تختلف باختلافهما، ففي الزمان الأول تكون الحكمة في اللين، والأمر بالشدة على خلافها، وفي الزمان الثاني تكون في الشدة، واللين على خلافها، فلا يمكن أن تكون الشدة واللين مصيبين في زمان واحد ومكان واحد كما هو ظاهر الرواية، فاللين والشدّة الدائميان ليسا مع الحكمة في طريق، ولا مع الإصابة في مكان.

ثانياً: إن ملائكة الله وأنبيائه لا يقومون بعمل من الأعمال إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى ووحي منه، فهم مأمورون حتى في شدتهم ولينهم، ولهذا خاطب الله سبحانه نبيه موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ **وقولا له قولاً ليناً** ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ **واغلظ عليهم** ﴾[٤]، فقياس

---

(١) المعجم الكبير ٢٣ / ٣١٥، مجمع الزوائد ٩ / ٥١.

(٢) سورة طه: ٤٤.

(٣) سورة النحل: ٢٥.

(٤) سورة التوبة: ٧٣، وسورة التحريم: ٩.

أحد من البشر عليهم غير صحيح، ولا يصدر من الرسولﷺ، فإن البشر غير الأنبياء والرسل قد تأخذهم العواطف وأحاسيس النفس البشرية، وربما يحاولون تحكيم عقولهم فيضلون السبيل، فكيف يقاسون بمن يؤيد بروح القدس، ومن يأخذ أوامره من الله سبحانه وتعالى؟!

فبهذا نعرف أن الحديث من موضوعات باب الفضائل التي كثرت في عهد الأمويين حتى بلغت حدّ التخمة.

ثم إذا يممنا شطر السند عرفنا الوضع بصورة أوضح، فقد جاء في كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي: خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت أبو زيد الأنصاري مديني، قال أحمد والدارقطني ضعيف[١].

وفي ميزان الاعتدال: خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري المدني ... ضعفه أحمد والدارقطني[٢].

وفي ميزان الاعتدال: عبد الله بن أبي سفيان عن عدي بن زيد قال: حمى رسول اللهﷺ كل ناحية من المدينة بريداً، فلا يعرف عدي إلا بهذا الحديث، ولا يدرى من هو عبد الله في خلق الله[٣].

فخارجة ضعف، وعبد الله بن أبي سفيان مجهول، فكيف يركن العقل لمثل هذه الرواية؟!

---

(١) ١ / ٢٤٣.

(٢) ٢ / ٤٠٣.

(٣) ٤ / ١١٠.

(٧)

عن ضبة بن محصن عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنه سيكون أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برىء، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»**، قالوا يا رسول الله أفلا نقاتلهم قال: **«لا ما صلوا لكم الخمس»**[١].

وبعد أن شرحه صاحب *فيض القدير* قال: وفيه حرمة الخروج على الخلفاء بمجرد ظلم أو فسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الدين[٢].

ونقول: لهذه الاستفادة وضعت هذه الرواية، أي أن الرواية اصطنعت لتكون غطاء يتستر به أمراء الأمويين وعمالهم الذين عاثوا في الأرض فساداً وهم آمنون من الخروج عليهم.

فعندما يمر القارئ على مثل هذه الرواية يستوقفه مضمونها كثيراً، فإن الرواية تتحدث عن أمراء لم يسيروا على هدي الإسلام، ولهذا قال أصحابه ﷺ: أفلا نقاتلهم؟

ومع ذلك فقد نهى الرسول ﷺ أصحابه من الخروج عليهم وقتالهم، وإذا كان الأمر كذلك، فللقارئ أن يسأل: لماذا نهى الرسول ﷺ عن قتالهم، ولا أقل لماذا لم يأمر بمطالبة عزلهم لتتخلص الأمة من وبائهم، فإن الناس على دين ملوكهم، فربما يجرون الأمة إلى جادة الكفر والطغيان ـ والعياذ بالله ـ والأمة لا تقدر على تحريك ساكن!

لا نجد لهذا الأمر جواباً إلا كون الرواية من الموضوعات.

يضاف إلى ذلك: إنه يمكن المناقشة في السند أيضاً، فإن الراوي عن أم سلمة وهو ضبة بن محصن مجهول الحال، فلم يذكر في كتب الرجال بمدح.

---

(١) مسند أبي يعلى ١٢ / ٤١٥، مسند أبي عوانة ٤: ٤١٧، المصنف لابن أبي شيبة ٧ / ٤٦٩، مسند أحمد ٦ / ٢٩٥.

(٢) فيض القدير ٤ / ٩٩.

(٨)

عن أم سلمة قالت: كلمنني صواحبي أن أكلم رسول الله ﷺ: أن يأمر الناس فيهدوا له حيث كان، فإن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نحب الخير كما تحب عائشة، فسكت رسول الله ﷺ ولم يراجعني، فجاءني صواحبي فأخبرتهن إنه لم يكلمني، فقلن: والله لا ندعه، قالت: فكلمته مثل المقالة الأولى مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: **«يا أم سلمة! لا تؤذيني في عائشة، فإني والله ما نزل الوحي علي وأنا في بيت امرأة من نسائي غير عائشة»**، قالت: فقلت: أعوذ بالله أن أسوءك في عائشة[1].

وقد بينا عدم صحة هذه الرواية في الفصل الرابع مفصلاً فراجع.

---

(١) صحيح ابن حبان ١٦ / ٤٣.

(٩)

عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، عن النبي ﷺ قال: **«لكل أمة أمين، وأبو عبيدة أمين هذه الأمة»**.

يقال: تفرد برواية هذا الحديث دعلج عن عبد الله فإنه لم يوجد عند غيره[1].

ولا نريد أن ندخل في بحث من ناحية السند، فإن القوم رووها بأسانيد أخرى عن غير أم سلمة وهي صحيحة عندهم، ولكن لنفتح الباب من ناحية مضمون الرواية، وما هو المراد من هذه الأمانة؟!

ما تكشفه كلمات علماء السنة ـ حسب ما استفادوه من الروايات ـ: هي الوثاقة، ففي فيض القدير: إن أمين هذه الأمة، أي الثقة الرضي، أبو عبيدة عامر بن الجراح، قد شاركه غيره من الصحب في الأمانة، ولكن ﷺ خص بعضهم بصفات غلبت عليه وكان أخص بها[2].

وفي ٢ / ٥٠٧: إن لكل أمة أميناً، أي ثقة رضياً تعول النفس عليه، وتسكن القلوب إليه، وإن أمين هذه الأمة الذي له الزيادة من الأمانة هو أبو عبيدة.

وفي ٥ / ٤٧٠: ما من أحد من أصحابي، وفي رواية ما منكم من أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه في بعض خلقه بالضم، غير أبي عبيدة عامر بن الجراح، قد كشف بهذا الحديث عن سرّ كونه أمين هذه الأمة، بيّن أن أبا عبيدة إنما ظفر بهذه الخصلة حتى صار واحد هذه الأمة في الأمانة بما أخبر به هنا من طهارة خلقه.

وفي شرح سنن ابن ماجة: هذا أمين هذه الأمة قال الطيبي: أي هو الثقة المرضي، والأمانة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، لكن النبي ﷺ خص بعضهم بصفات غلبت عليه وكان بها أخص[3].

---

(١) تاريخ بغداد ١٤ / ١٦٥.
(٢) فيض القدير ٢ / ٤٣١.
(٣) شرح سنن ابن ماجة ١ / ١٣.

وفي نوادر الأصول في شرح أحاديث الرسولﷺ: فالأمانة ترك الأشياء في مواضعها كما وضعت و إنزالها حيث أنزلت[١].

وهذا النحو من الأمانة لا يستحق صاحبه أن يعطى وساماً كبيراً مثل هذا الوسام: (أمين هذه الأمة)، إذ يشاركه غيره من الصحابة في ذلك، بل إن هناك منهم من لم يصل أبو عبيده إلى أخمص قدميه في الأمانة والوثاقة والصدق، كالإمام عليعليه السلام، بل حتى غيره كما ورد في أبي ذر: (ما أقلّت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر)[٢].

ثم إنا لو رجعنا إلى سيرة الرجل وحياته بما تعرض لها من ترجم للصحابة لما وجدنا له أثراً يذكر من هذه الناحية، فلم نقرأ في سيرته العملية ما يكون شاهد صدق على هذا الوسام، نعم ذكر أنه أحد العشرة المبشرة، وحديث العشرة فيه ما فيه مما بينه أصحاب الفن، ومع ذلك فهو أجنبي عن موضوع الأمانة والوثاقة.

فمن هذا نعرف إنما أعطي هذا الوسام الخالد لأنه كان أحد المهاجرين الثلاثة في يوم السقيفة، فيستحق هذا الوسام وما هو أكبر منه، لأنه وقف موقفاً أبعد فيه علي بن أبي طالبعليه السلام عن موقعه المعد له من قبل السماء، فرضي عنه الأمويون ومن كان على سيرتهم ونهجهم.

ونكتفي بهذا المقدار من الأحاديث التي جاءت على لسان أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عمن تابعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

وقد تم الفراغ من ذلك يوم ميلاد الإمام الحسينعليه السلام لذكره الشرف والمجد،

---

(١) نوادر الأصول في شرح أحاديث الرسول ٢٩ / ١١٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٢٣٢، ٣٨٥، ٣٨٧، و ٤ / ٥٢٦، صحيح بن حبان ١٦ / ٧٦، سنن الترمذي ٥ / ٦٦٩، سنن ابن ماجة ١ / ٥٥، وغيرهم الكثير.

الثالث من شهر شعبان سنة ألف وأربعمائة وإحدى وعشرين من الهجرة النبوية، في بلدة الجش من منطقة القطيف المحروسة.

فهرس مصادر الكتاب

١ـ القرآن الكريم

٢ـ أبو الشهداء .... **عباس العقاد**

٣ـ أحاديث أم المؤمنين عائشة.......... **السيد مرتضى العسكري**

٤ـ الاحتجاج........................... **الطبرسي**

٥ـ إحقاق الحق......................... **القاضي التستري**

٦ـ أخبار أصفهان....................... **أبو نعيم الأصفهاني**

٧ـ أخبار مكة........................... **الفاكهي**

٨ـ الاختصاص .... **الشيخ المفيد**

٩ـ الإرشاد .... **الشيخ المفيد**

١٠ـ إرشاد الساري .... **القسطلاني**

١١ـ أسباب النزول .... **الواحدي**

١٢ـ الاستيعاب .... **ابن عبد البر**

١٣ـ أُسد الغابة .... **الجزري**

١٤ـ الإصابة في تمييز الصحابة.......... **ابن حجر**

١٥ـ إعلام الموقعين .... **ابن القيم**

١٦ـ أعلام النساء .... كحالة

١٧ـ إعلام الورىٰ .... الطبرسي

١٨ـ إكمال الكمال .... ابن ماكولا

١٩ـ الأمالي .... الشيخ المفيد

٢٠ـ الإمامة والتبصرة .... الشيخ الصدوق

٢١ـ الإمامة والسياسة .... ابن قتيبة

٢٢ـ أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين .... أمنية الحسيني

٢٣ـ الأنساب .... السمعاني

٢٤ـ أهل البيت عليهم السلام في الشعر القطيفي المعاصر .... نزار آل سنبل

٢٥ـ بحار الأنوار .... العلّامة المجلسي

٢٦ـ البداية والنهاية .... ابن كثير

٢٧ـ بصائر الدرجات .... محمد بن الحسن الصفار

٢٨ـ تاريخ ابن خلدون .... ابن خلدون

٢٩ـ تاريخ ابن عساكر .... ابن عساكر

٣٠ـ تاريخ الإسلام .... شمس الدين الذهبي

٣١ـ تاريخ بغداد .... الخطيب البغدادي

٣٢ـ تاريخ الخلفاء .... السيوطي

٣٣ـ تاريخ الطبري .... الطبري

٣٤ـ التاريخ الكبير .... البخاري

٣٥ـ تاريخ المدينة .... ابن شبة

٣٦ـ تاريخ اليعقوبي .... اليعقوبي

٣٧ـ تحفة الأحوذي .... المباركفوري

٣٨ـ تعجيل المنفعة .... ابن حجر العسقلاني
٣٩ـ تفسير ابن كثير .... ابن كثير
٤٠ـ تفسير البغوي .... البغوي
٤١ـ تفسير الطبري .... الطبري
٤٢ـ تفسير فرات الكوفي .... فرات الكوفي
٤٣ـ تفسير القمي .... علي بن إبراهيم
٤٤ـ تهذيب الأسماء .... محيي الدين النووي
٤٥ـ تهذيب التهذيب .... ابن حجر العسقلاني
٤٦ـ تهذيب الكمال .... المزي
٤٧ـ جامع الرواة .... الأردبيلي
٤٨ـ الجامع الصغير .... السيوطي
٤٩ـ الجرح والتعديل .... أبو حاتم الرازي
٥٠ـ جزء في فضائل فاطمة عليها السلام .... ابن شاهين
٥١ـ الجمل .... الشيخ المفيد
٥٢ـ حلية الأولياء .... أبو نعيم الأصفهاني
٥٣ـ حياة الحيوان الكبرىٰ .... الدميري
٥٤ـ الخرائج والجرائح .... ابن الراوندي
٥٥ـ الخصائص .... النسائي
٥٦ـ الخصائص الكبرىٰ .... السيوطي
٥٧ـ الخلاف .... الشيخ الطوسي
٥٨ـ الدرجات الرفيعة .... ابن معصوم المدني
٥٩ـ الدرّ المنثور .... السيوطي

٦٠ـ دروس في فقه الإمامية .... د. عبد الهادي الفضلي
٦١ـ دلائل النبوة .... الفريابي
٦٢ـ دليل المتحيرين .... الشيخ علي المحسن القطيفي
٦٣ـ الديوان .... السيد مصطفىٰ جمال الدين
٦٤ـ ذخائر العقبىٰ .... الطبري
٦٥ـ الذريّة الطاهرة .... الدولابي
٦٦ـ الرجال .... الشيخ الطوسي
٦٧ـ الرجال .... النجاشي
٦٨ـ سنن ابن ماجة .... ابن ماجة
٦٩ـ سنن أبي داود .... أبو داود السجستاني
٧٠ـ سنن البيهقي .... البيهقي
٧١ـ سنن الترمذي .... أبو عيسىٰ الترمذي
٧٢ـ سنن الدارقطني .... الدارقطني
٧٣ـ سنن النسائي .... النسائي
٧٤ـ السنة .... ابن أبي عاصم
٧٥ـ سير أعلام النبلاء .... شمس الدين الذهبي
٧٦ـ السيرة النبوية .... ابن كثير
٧٧ـ السيرة النبوية .... ابن هشام
٧٨ـ شرح الأخبار .... القاضي نعمان المصري
٧٩ـ شرح صحيح مسلم .... النووي
٨٠ـ شرح المقاصد .... التفتازاني
٨١ـ شرح نهج البلاغة .... ابن أبي الحديد

٨٢ـ شعب الإيمان .... **البيهقي**

٨٣ـ صحيح ابن حبان........ **ابن حبان**

٨٤ـ صحيح البخاري .... **البخاري**

٨٥ـ صحيح مسلم........ **مسلم بن الحجاج**

٨٦ـ الصحيح من سيرة الرسول الأعظم ﷺ........ **السيّد جعفر مرتضى العاملي**

٨٧ـ صفة الصفوة .... **ابن الجوزي**

٨٨ـ الصواعق المحرقة .... **ابن حجر**

٨٩ـ الطبقات الكبرىٰ........ **ابن سعد**

٩٠ـ علل الشرائع........ **الشيخ الصدوق**

٩١ـ العمدة........ **ابن البطريق**

٩٢ـ عمدة القارئ .... **الإمام العيني**

٩٣ـ عيون الأثر .... **ابن سيد الناس الأندلسي**

٩٤ـ الغدير .... **العلّامة الأميني**

٩٥ـ فتح الباري .... **ابن حجر العسقلاني**

٩٦ـ الفتنة ووقعة الجمل........ **الضبّي**

٩٧ـ الفتوح .... **ابن أعثم**

٩٨ـ الفصول المهمة........ **السيّد عبد الحسين شرف الدين**

٩٩ـ فضائل الصحابة........ **أحمد بن حنبل**

١٠٠ـ فيض القدير .... **المناوي**

١٠١ـ قرب الإسناد........ **الحميري**

١٠٢ـ الكافي .... **الكليني**

١٠٣ـ الكامل في التاريخ........ **ابن الأثير**

١٠٤ـكتاب الغيبة .... محمد بن ابراهيم النعماني

١٠٥ـكتاب المجروحين .... ابن حبان

١٠٦ـكفاية الأثر .... الخزاز القمي

١٠٧ـالكلمة الغراء في تفضيل الزهراء عليها السلام .... السيّد عبد الحسين شرف الدين

١٠٨ـكنز العمال .... المتقي الهندي

١٠٩ـلسان الميزان .... ابن حجر العسقلاني

١١٠ـمباني تكملة المنهاج .... السيد أبو القاسم الخوئي

١١١ـمجمع الأمثال .... الميداني

١١٢ـمجمع البحرين .... الشيخ فخر الدين الطريحي

١١٣ـمجمع الزوائد ومنبع الفوائد .... الهيثمي

١١٤ـالمجموعة الشوقية .... شعر أحمد شوقي، جمع وترتيب إبراهيم الأبياري

١١٥ـالمحلّىٰ .... ابن حزم

١١٦ـمختصر تاريخ دمشق .... ابن منظور

١١٧ـالمراجعات .... السيد عبد الحسين شرف الدين

١١٨ـالمستدرك علىٰ الصحيحين .... الحاكم النيسابوري

١١٩ـمسند ابن المبارك .... ابن المبارك

١٢٠ـمسند أبي يعلىٰ .... أبو يعلىٰ الموصلي

١٢١ـمسند أحمد .... أحمد بن حنبل

١٢٢ـمسند البزار .... أبو بكر البزار

١٢٣ـمسند الشاشي .... أبو سعيد الشاشي

١٢٤ـمسند الطيالسي .... أبو داود الطيالسي

١٢٥ـالمصنف .... ابن أبي شيبة

١٢٦ـ المصنف .... عبد الرزاق

١٢٧ـ المعارف .... ابن قتيبة

١٢٨ـ معاني الأخبار .... الشيخ الصدوق

١٢٩ـ المعتصر من المختصر .... أبو المحاسن يوسف الحنفي

١٣٠ـ المعجم الأوسط .... الطبراني

١٣١ـ معجم رجال الحديث .... السيّد ابو القاسم الخوئي

١٣٢ـ المعجم الصغير .... الطبراني

١٣٣ـ المعجم الكبير .... الطبراني

١٣٤ـ المغني .... ابن قدامة

١٣٥ـ مفردات غريب القرآن .... الراغب الأصفهاني

١٣٦ـ ملحمة عيد الغدير .... بولس سلامة

١٣٧ـ مناظرات في العقائد والأحكام .... عبد الله الحسن

١٣٨ـ المناقب .... الخوارزمي

١٣٩ـ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام .... ابن المغازلي

١٤٠ـ المنتخب من أزواج النبي صلى الله عليه وآله .... الزبير بن بكار

١٤١ـ المنتقى .... ابن الجارود

١٤٢ـ منهاج السنة .... ابن تيمية

١٤٣ـ موسوعة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته في الشعر العربي ... لجنة تابع دار الأدب الاسلامي

١٤٤ـ ميزان الاعتدال .... شمس الدين الذهبي

١٤٥ـ الميزان في تفسير القرآن .... السيّد محمد حسين الطباطبائي

١٤٦ـ النجوم الزاهرة .... ابو المحاسن الأتابكي

١٤٧ـ نساء أهل البيت عليهم السلام .... خليل جمعة

١٤٨ـ نوادر الأصول في شرح أحاديث الرسول ﷺ .... الترمذي
١٤٩ـ نهج البلاغة .... الإمام علي عليه السلام
١٥٠ـ وركبت السفينة .... مروان خليفات
١٥١ـ الوفاة .... النسائي
١٥٢ـ الوفاء .... ابن الجوزي
١٥٣ـ وفاء الوفاء .... السمهودي
١٥٤ـ ينابيع المودة .... القندوزي

الفهرس

الفصل الثالث

مميزات شخصيتها

الفصل الرابع
مكانتها الاجتماعية

الفصل الخامس
مواقفها العقائدية

الباب الثاني

الفصل الاول

أحاديثها في أهل البيت عليهم السلام دراسة وتحليل